سلسلة جرعة وعي ‹2›

حيدر حب الله

عاشورائيات

الجزء الثاني [أسئلة وإجابات]

إعداد: خليفة بن أحمد

دار الولاء
لصناعة النشر

دار الولاء
لصناعة النشر

الرويس، شارع الرويس، بيروت - لبنان
Mob: 00961 3 689 496 | TeleFax: 00961 1 545 133
info@daralwalaa.com | daralwalaa@yahoo.com
P.O. Box: 307/25 | www.daralwalaa.com

ISBN 978-614-420-663-8

عاشورائيات [الجزء الأول]

دراسات ومقالات

المؤلف: حيدر حب الله.
إعداد: خليفة بن أحمد.

الناشر: دار الولاء لصناعة النشر.
الطبعة: الأولى بيروت_لبنان ١٤٤٣هـ/٢٠٢١م.

تنفيذ طباعي
eight
press & production

www.8eightproduction.com | 009613 017 565

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

حيدر حب الله

عاشورائيات

الجزء الثاني

أسئلة وإجـــابات

إعداد

خليفة بن أحمد

إهداء

إلى من زرع في القلب والعقل حب الحســـين عليه السلام

وسعى للإصلاح، وأرشد إلى الفلاح والانفتاح

ودل على علماء الوعي.. والدي رحمه الله

خليفة

المحتويات

تقديم الشيخ د. حيدر حب الله ١١
مقدمة..... ١٣

القسم الأول
عاشوراء في العقيدة والتاريخ والحديث

بين علم الإمام بموته بالسمّ ـ مثلاً ـ وإقدامه على شربه!! ١٧
ما مدى صحّة حديث الريان بن شبيب مع الإمام الرضا في بداية دخول شهر محرّم الحرام؟ ٢٢
معنى الوراثة في زيارة وارث المشهورة..... ٢٤
هل خطبة الإمام الحسين عليه السلام «خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة» ثابتة؟..... ٢٥
هل (كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء) حديث شريف أم لا أصل لها؟ ٢٨
ما قيمة سند زيارة عاشوراء وفقًا لنظريات السيد الخوئي؟ ٢٩
هل صحّ حديث: (يعيّر خادم الحسين كما تعيّر الزانية)؟..... ٥٦
مع حديث: «إذا هلّ هلال المحرّم نشرت الملائكة قميص الحسين.. فنراه نحن وشيعتنا»..... ٥٧
معنى «الموت أولى من ركوب العار، والعار أهون من دخول النار»..... ٥٨
تعليق لغوي على نقد متني لنصوص نطح السيدة زينب رأسها ٦٠
نقل مواقف لغير المسلمين حول الإسلام دون توثيق بما يثير سخرية الآخرين!! ٦٢
معنى عزاء الله في حديث:«يا أختاه تعزّي بعزاء الله» ٦٧
(نطح) الإمام زين العابدين رأسه بالجدار على شهادة والده ٦٩
ألا يمكن تفسير روايات المشي لزيارة الحسين بالذهاب، لا بخصوص المشي على القدمين؟..... ٧١
ما وجه الربط بين العزاء الحسيني والثورة مع أنّ كل الروايات تطالب بالحزن ٧٣
زيارة الإمام الحسين عليه السلام في الأربعين ٧٦
حكم الصور المنسوبة للمعصومين والمنتشرة في الأسواق..... ٨٢

القسم الثاني
عاشوراء وفقه العزاء

استفهامات حول الجزع والظواهر المفرطة في العزاء الحسيني..... ٨٧
مدى الحاجة للسؤال عن شرعية الطقوس الشعبيّة الدينية غير المخالفة للدين..... ٩٠
ما هو رأيكم الشخصي في التطبير؟ ٩٦
الموقف من نهي من يقلّد القائل بحرمة التطبير شخصاً يقلّد القائل باستحبابه ٩٧
حكم النهي عن المنكر في قضايا الخلاف الاجتهادي والتقليدي ١٠٣
ظاهرة التطبير في العتبات المشرّفة في كربلاء وتنجيسها كلّ عام!..... ١٠٨
نقاط الاختلاف المركزيّة في قضيّة الشعائر الحسينية ١١٣
رسائل مثيرة بأعمال دينية خاصّة عبر وسائل التواصل الاجتماعي ١١٦
النطح والتطيين و.. وشعائر عاشوراء!..... ١٢٠
زمان ركعتي الزيارة قبل أو بعد الزيارة؟ ١٢٤
هل شهر صفر شهر حزن وبكاء، أم أنّه يختلف عن شهر محرّم الحرام؟ ١٢٦
شهر صفر ليس شهر حزن، تعليقات على انتقادات ١٢٨

القسم الثالث
عاشوراء، فكر وثقافة

عاشوراء والجدل المتكرّر كلّ عام ما هو الموقف من هذا الجدل؟ ١٤١
هل تصحّحون نسبة كتاب (الملحمة الحسينية)للشيخ المطهري؟ وهل تنصحون بقراءته؟ ١٥١
الموقف من بعض القنوات الفضائية المذهبية..... ١٥٢
بين يدي عاشوراء ماذا علينا أن نفعل؟ وكيف نستفيد منها؟ ١٥٦
استغراق حركة الإصلاح الديني في جزئيّات الخلافات العقدية والشعائريّة..... ١٦٨
تعليق على كلام د. مصطفى محمود حول الإسلام الطقوسي والشعائري..... ١٧٦
هل الحسين شعار المرحلة؟ وماذا عن هدر الأموال في عاشوراء؟! ١٧٩
أسباب المبالغة بالشعائر والمندوبات وتقديمها على الواجبات ١٨٨
أشعار بعض الشعراء والمدّاحين ومسألة الغلوّ..... ١٩٦
سعة مفهوم (هيهات منّا الذلّة) في الحياة الاجتماعيّة والمدنيّة..... ٢٠٢
المنبر الديني والأزمة الطائفية والمذهبية ٢٠٥
الإصلاح والتجديد في الشعائر الحسينيّة..... ٢٠٧
الوعي التاريخي والتأسيس لفهم إنساني للسيرة ٢٠٩

بين الفهم السياسي والنصوص النبويّة المخبرة بشهادة الحسين ٢١١
هل استشهد وهب الأنصاري مع الحسين نصرانيًّا أم مسلمًا؟ ٢١٧
رواية الغرائب التاريخيّة ثم تكلّف تأويلها! ٢١٨
رواية تاريخيّة حول حزن الإمام الكاظم في شهر محرّم ٢٢٣
كيفيّة إثبات انتساب مرقدٍ ما لنبيّ أو إمام أو وليّ ٢٢٧
كيف نواجه الفتنة بين التيارات والعلماء في القضايا المذهبيّة والشعائريّة؟ ٢٣٣
الاختلاف في نقل قرّاء العزاء للمرويّات الضعيفة أو للسان الحال ٢٤٠
التعامل المالي لقرّاء العزاء في موسم عاشوراء وغيره ٢٥٠
حكم الإزعاج بالأصوات العالية، وماذا عن المساجد والحسينيّات؟ ٢٦٥
البُعد الاجتماعي في رفع الأدعية و.. عبر مكبّرات الصوت ٢٧١

القسم الرابع
كلمات واقتباسات

أولاً: كلمات ٢٧٧
العقل البراغماتي والعقل المبدئي ٢٧٧
دعوة للإماميّة للانفتاح على زيد الشهيد ٢٧٨
مجالس العزاء وحالة بعض العقلانيين ٢٧٩
الحاجة لتوثيق ما قيل في الحسين عند غير المسلمين ٢٨٠
رسالة لأخي المطبّر ٢٨١
الوحدة المذهبية عنوان عاشوراء هذا العام ٢٨٢
للقضيّة الحسينية رحلتان بين الماضي والحاضر ٢٨٤
بين الحافظة والتفكير، وبين العلامة والخطيب ٢٨٥
وقفة احترام للشيخ الوائلي رحمه الله ٢٨٦
كلمتان حول المشكلة الأخيرة في (الشعائر) ٢٨٧
عذراً شيخنا الوائلي! ٢٩٢

ثانيًا: اقتباسات ٢٩٧
المصادر ٣١٩
صدر للمؤلف ٣٢٠

تقديم الشيخ د. حيدر حب الله

سبق لي ـ والتوفيق من الله ـ أن كانت لديّ بعض المشاركات والكتابات المتواضعة المتفرّقة حول القضيّة الحسينيّة وما يتصل بها من وقائع تاريخيّة وشعائر دينيّة، وقد حاولت في هذه الأعمال أن أقدّم فهمي البسيط لهذه الأمور من بعض الزوايا، وإلا فالدراسات والبحوث ذات الصلة أوسع من أن تختصرها بضع كلمات.

وقد سعى أخونا الفاضل العزيز الأستاذ خليفة بن أحمد (رعاه الله تعالى) لكي يجمع متفرّقات مساهماتي هذه ويصنّفها ضمن كتاب مرتّبةً على فصول، ليتسنّى للمتابعين من الإخوة والأخوات الاطّلاع عليها. إنّني إذ أشكره من عميق قلبي على هذا الجهد الطيّب، أسأل الله له التوفيق في كلّ أموره وأن يحشره مع الأنبياء والصالحين، مع محمّد وآله الطاهرين.

كما يسعدني أن تلقى هذه المشاركات نصيبها من التأمّل والتقويم والنقد من قبل القرّاء الأعزاء؛ علّ ذلك يُسهم في تطوّر أفكارنا جميعاً إن شاء الله، والله ولي التوفيق.

حيدر محمّد كامل حبّ الله

١٨ ـ ٩ ـ ١٤٤٢هـ

٣٠ ـ ٤ ـ ٢٠٢١م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

إن الحديث عن عاشوراء الحسين عليه السلام حديث ذو شجون، لابد أن يكون العقل حاضراً فيه مع العاطفة والعِبرة مع العَبرة؛ وذلك من أجل أن تزيد فاعلية عاشوراء في تربية الفرد والأمة.

ومساهمة في نشر المعرفة والوعي وتقديم ما فيه خدمة للنهضة الحسينية؛ تم العمل على جمع ما له صلة بعاشوراء مما دونه سماحة الشيخ الدكتور حيدر حب الله (وفقه الله) في فترات مختلفة من دراسات ومقالات، وإجابات وكلمات؛ ليكون هذا الكتاب بين يديّ القارئ مرجعاً جامعاً نافعاً إن شاء الله تعالى، وهو للتداول والنقد البناء كما يعبر سماحة الشيخ عادة في أكثر من مورد.

وفي تقديري مما يمتاز به سماحة الشيخ المؤلف-بالإضافة إلى علوّ همته في التَّعلم والتَّعليم والتأليف- حسن الإدارة النفسية والسلوكية لبلوغ المعرفة وخدمتها، والجرأة في طرح ما توصَّل إليه في أبحاثه استنتاجاً أو ترجيحاً أو توقفاً، فحري بنا الاستفادة من منهجه هذا ونتاجه العلمي، ومن نظرائه ذوي العلم والوعي والخلق النبيل.

إن هذا الكتاب (عاشورائيات) هو الإصدار الثاني من سلسلة جرعة وعي، ويتكون من جزئين، تضمن الجزء الأول دراسات ومقالات حول عاشوراء الحسين عليه السلام، أما الجزء الثاني فقد احتوى أسئلة وإجابات، كلمات واقتباسات ذات صلة بالمناسبة.

ختامًا، جزيل الشكر والامتنان للأستاذ الشيخ حب الله على

جميل تعاونه في إنجاز هذا العمل مع خالص الدعوات له بالتوفيق والسداد في خدمة الإسلام، كما أشكر أسرتي وكل من كان داعماً ومحفزاً، ولا يفوتني شكر الإخوة الكرام الذين عملوا على تنسيق وإخراج هذا الكتاب، أسأل الله لهم ولنا التوفيق والرشاد، وأن يثبت أقدامنا جميعاً للسير على نهج الحسين عليه السلام ويرزقنا شفاعته يوم الورود إنه سميع مجيب وهو أرحم الراحمين.

خليفة بن أحمد
١٥/ ٩/ ١٤٤٢هـ

القسم الأول

عاشوراء في العقيدة والتاريخ والحديث

بين علم الإمام بموته
بالسمّ ـ مثلاً ـ وإقدامه على شربه!![1]

◈ **السؤال: يقال بأنّ للأئمّة عليهم السلام علماً حضوريّاً، ومنه علمهم بالغيب، ويندرج تحت هذا (إن صحّ هذا الكلام) علمهم بمكان ووقت وكيفيّة استشهادهم عليهم السلام. إلا أنّ السؤال الذي يطرأ في الذهن: كيف ومع علمهم هذا يُقبلون على ذلك المكان؟ ألا يُعتبر هذا من قبيل إلقاء النفس في التهلكة؟**

◈ الجواب: هذه الإشكاليّة قديمة جديدة معاً، بل قد وردت في بعض أسئلة أصحاب الأئمّة لهم عليهم السلام، وتعرّض لها بعض العلماء منذ قديم الأيّام. ولكي نفهم خارطة الموضوع بطريقة علميّة، سوف أقوم ببعض التقسيمات البسيطة لكي نصل إلى حلّ لهذه المشكلة المفترضة، فنقول:

تارةً نقول بأنّ الأنبياء والأئمة لا يعلمون الغيب ولا يعلمون عن موتهم شيئاً، فهنا لا محلّ لتساؤلكم ويرتفع الإشكال، ومرّةً أخرى نتحدّث عن علمهم بالغيب بما في ذلك العلم بموتهم، وهنا توجد أقوال وآراء وفرضيّات تنتج عنها نتائج مختلفة، لا بأس بعرض أهمّها لنعرف أنّ إشكالكم على أيّها يرد وعلى أيّها لا يرد:

١. القول بأنّهم يعلمون وفاتهم إجمالاً لا تفصيلاً، وهو ما ذهب إليه بعض العلماء، مثل ما يفهم من بعض كلمات الشيخ المفيد وابن شهر آشوب والعلامة الحلي وغيرهم، كالقول بأنّ الإمام الحسين عليه السلام يعلم بأنّه سوف يموت شهيداً في كربلاء وأنّ النبي أخبر بذلك، وهذا ما دلّت عليه العديد من الروايات، لكنّه

(١) حيدر حب الله، إضاءات في الفكر والدين والاجتماع ٣:٦٣

لا يعلم متى بالضبط سيكون ذلك، فعندما سافر إلى العراق خارجاً من مكّة المكرّمة كان يعلم بأنّ نهايته في كربلاء، لكنّ الأحاديث لا تقول بأنّ النبي أخبر متى ستكون هذه الحادثة، هل في عام ٦٠ أو ٦١ أو ٦٢ أو ٨٠هـ.

فالإمام تحرّك عالماً بأنّ شهادته في كربلاء لكنّه ليس عالماً بأنّ هذه الشهادة ستكون في نفس هذا العام الذي خرج فيه أو في الذي يليه، فخرج ليقلب النظام الفاسد كما هي وظيفته الشرعية، عالماً بأنّه سيقتل في كربلاء لكن من الممكن أن يقتل بعد عشرين عاماً لا الآن، والأحاديث التي يستند إليها بعض العلماء لإثبات علمه بقتله من خلال مثل إخبارات النبي عن ذلك وأنّه على هذا الأساس خرج ليموت، لا تفيد غالبيتها إن لم يكن جميعها هنا، إذ غاية ما تفيد أنّه يعلم بأنّ نهاية حياته هي الشهادة في كربلاء، أمّا أنّ هذه النهاية ستقع في هذا العام بالتحديد فهذا ما لم تخبر عنه هذه المجموعة من النصوص (وطبعاً هي غير مثل رواية: شاء الله أن يراني قتيلاً و...).

نعم، ربما في الطريق بدأت تتجمّع عنده القرائن التي ترفع من احتمال أنّ ما أخبر به الرسول سيكون في هذا العام، لاسيما عندما وصل إلى كربلاء وسأل عن اسمها ونحو ذلك.

إذن، ففي فرضيّة العلم الإجمالي بالوفاة لا تنافي بين هذا العلم وبين حركة المعصوم، ولا يلزم من ذلك الإلقاء في التهلكة أساساً، فهذا مثل أن يقال لك بأنّك سوف تموت يوماً ما في حادث سير، فهل يحكم العقل بحرمة ركوبك لأيّ سيارة؟!

٢. فرضيّة العلم التفصيلي بالوفاة، سواء كان علماً حصوليّاً أم

حضوريّاً، وهنا يمكن فرض حالات متعدّدة تبعاً لاختلاف النظريات وأبرزها:

أ. فرضيّة العلم التفصيلي التعليقي، وهي التي تنتج عن الرأي القائل بأنّ المعصوم لا يعلم الغيب بنحو الفعليّة، بل هو لو أراد المعرفة علم، وفي هذه الحال ليس هناك تنافٍ بين هذا الرأي وبين إقدامه على أسباب موته على تقدير أنّه لم يطلب معرفة موته فيكون حاله حالنا من حيث عدم المعرفة. نعم لو طلب فعلم تفصيلاً جاء الإشكال وسيأتي التعليق.

ب. فرضيّة العلم التفصيلي الفعلي والتعليقي معاً، وهي النظرية التي ذهب إليها بعض العلماء مثل الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، وهي تقول ـ خلافاً لبعض كلمات العلامة الطباطبائي ـ بأنّ المعصوم يعلم بزمان وفاته بنحو العلم بلوح المحو والإثبات، بمعنى أنّ ما يعلمه هو المدوّن في هذا اللوح، وهذا اللوح عندهم قابلٌ لعروض البداء عليه، بمعنى أنّ ما فيه يمكن أن يتغيّر، فهو يعلم فعلاً بأنّه سيموت تفصيلاً لكنّ معلومه قابل للتغيّر من عند الله، ولا يعلم المعصوم بالمتغيّر الجديد، فهو يذهب إلى كربلاء مثلاً عالماً بأنّ موته هناك، لكنّه يحتمل أنّ الله قد يغيّر قراره بذلك فيجعل موته بعد خمسة أعوام مثلاً. فكأنّ المعصوم يعلم هنا بما هو مقتضى الأصل، لكنّ علمه هذا لن يكون نهائيّاً لاحتمال التغيّر في المعلوم. وسؤالكم أعلاه يأتي هنا لكن بدرجة أخفّ حيث يكون

إقدام المعصوم على شرب الماء المفترض أنّه مسموم إقدامٌ على شرب ما يفترض أن يميته قاعدةً مع احتمال العدم.

ج. فرضيّة العلم التفصيلي الفعلي المسلوب، وهي قول تمّ الاستناد فيه لرواية فهموا منها أنّ المعصوم يسلب منه العلم بوفاته قبيل الوفاة فيُقدم على مقدّمات الموت غير عالم، ولو صحّ هذا الرأي لرفع إشكالكم أيضاً. إلا أنّ الرواية التي اعتمدت هنا فيها عدّة صيغ بحسب النقل وفيها تصحيف، لهذا يصعب الوثوق بالصيغة التي تنفع في هذا المضمار.

د. فرضيّة العلم التفصيلي الفعلي مطلقاً، بلا فرض البداء، وهنا يأتي سؤالكم، والجواب عليه ـ على ما أفاده كثيرون مثل العلامة المجلسي والمحدّث يوسف البحراني وغيرهما ـ هو أنّه لا يوجد دليل على الحرمة أو القبح المطلق في إلقاء النفس في التهلكة، فالجهاد إلقاءٌ للنفس في التهلكة، ومع ذلك هو واجب، وتسليم النفس للقضاء لكي يعاقب الإنسان بالجلد أو الرجم أو قطع اليد واجب عند بعض الفقهاء، مع أنّ فيه تعريض النفس للتهلكة.

وقد ذكر بعض العلماء أنّ العقل والشرع يحكمان بحرمة إلقاء النفس في التهلكة على تقدير عدم وجود هدف أسمى يجب تحقيقه، فيقال بأنّ المعصوم يفعل ذلك لأنّ لديه هدفاً أسمى، ولا مشكلة في ذلك.

بل يمكن صياغة الجواب بشكل آخر، وهو أنّه يمكن فرض أنّ المعصوم مكلّف شرعاً بقتل نفسه أو تعريضها للخطر والهلاك، فكما

يجيزون مثل العمليات الاستشهادية بهذا التخريج، يمكن فرض هذا التخريج نفسه في فعل المعصوم فيرتفع الإشكال.

ولا ينبغي لنا الاستغراب من مثل هذا الكلام دينيّاً، فهذا إبراهيم الخليل عليه السلام يخبر ابنه بقضيّة الذبح ويقبل الولد إسماعيل (أو غيره) بذبح والده له، بل هو يطلب منه ذلك! فكما اعتبر الذبيح عليه السلام أنّ هذا تكليف إلهيّ ووضع نفسه موضع الهلاك، أيّ مانع أن يكون ذلك عينه في حقّ سائر الأنبياء والأئمّة؟

والنتيجة أنّه يمكن مناقشة الإشكال المثار في سؤالكم على جميع التقادير المفترضة في نظريات علم المعصوم بالغيب، وهناك تخريجات أخرى لا نطيل فيها الساعة وبعضها غير مقنع.

ما مدى صحّة حديث الريان بن شبيب مع الإمام الرضا في بداية دخول شهر محرّم الحرام؟[1]

◈ السؤال: ما مدى صحّة سند حديث الريان بن شبيب حيث قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أوّل يوم من المحرم، فقال لي: «يا ابن شبيب، أصائم أنت؟» فقلت: لا. فقال عليه السلام: «إنّ هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريا ربّه عز وجل فقال: (ربّ هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء)، فاستجاب الله له وأمر الملائكة فنادت زكريا وهو قائم يصلّي في المحراب أنّ الله يبشرك بيحيى، فمن صام هذا اليوم ثم دعا الله عز وجل استجاب الله له كما استجاب لزكريا عليه السلام». ثم قال عليه السلام: «يا ابن شبيب، إنّ المحرّم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يُحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الأمّة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه وانتهبوا ثقلة، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً. يا ابن شبيب، إنّ كنت باكيًا لشيءٍ فابكِ للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً، ما لهم في الأرض شبيهون، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره، فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره شُعْثٌ غُبْرٌ إلى أن يقوم القائم، فيكونون من أنصاره، وشعارهم يا لثارات الحسين. يا ابن شبيب، لقد حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، أنه لما قتل جدي الحسين أمطرت السماء دمًا وترابًا أحمر. يا ابن شبيب، إن بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خدّيك غفر الله لك كل ذنب أذنبته، صغيرًا كان أو كبيرًا، قليلاً كان أو كثيراً. يا ابن شبيب، إنْ سرّك أن تلقى الله عز وجل ولا ذنب عليك، فزُر الحسين عليه السلام. يا ابن شبيب، إنْ سرّك

(١) إضاءات ١: ١٨٠

أن تسكن الغُرف المبنيّة في الجنّة مع النبي ﷺ، فالعن قتلة الحسين. يا ابن شبيب، إنْ سرّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين، فقلْ متى ما ذكرته: يا ليتني كنتُ معهم فأفوزَ فوزًا عظيمًا. يا ابن شبيب، إنْ سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان، فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا، فلو أن رجلاً تولّى حجرًا لحشره اللّه معه يوم القيامة».

◈ الجواب: أمّا مصادر هذا الحديث، فقد أورده الشيخ الصدوق في (الأمالي: ١٩٢ ـ ١٩٣)، وفي (عيون أخبار الرضا ١: ٢٦٨ ـ ٢٦٩)، وسائر الكتب نقلت في الغالب عن هذين المصدرين، وليس للحديث إلا سند واحد، وهو محمد بن علي ماجيلويه، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الريان بن شبيب، والريان ثقة، ومشكلة السند هي محمد بن علي ماجيلويه، حيث اختلفوا في حكمه، فوثقه جماعة، فيما ذهب جماعة آخرون ـ منهم السيد الخوئي ـ إلى عدم ثبوت وثاقته، والصحيح عندي هو عدم ثبوت وثاقته. وأغلب مضمون هذا الحديث مؤيّد من نصوص أخرى معتبرة، لكنّ التصديق ببعض فقراته يحتاج إلى بحث وكلام.

معنى الوراثة في زيارة وارث المشهورة[1]

◈ **السؤال: ما معنى الوراثة عندما نقول: السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله...؟**

◈ الجواب: المفهوم ـ عرفاً ولغةً ـ من الوراثة هو أنّك تحمل إرث هؤلاء وما تركوه في العلم والأخلاق والكمالات والصفات النبيلة، فأنت تقول: إنّ العالم الفلاني هو وارث العلماء، بمعنى أنّ إرث العلم الذي تركوه قد ناله هو ووصل إليه، فتكون التعابير الواردة في زيارة وارث كاشفة عن حمله إرث الأنبياء السابقين ومسؤولياتهم، وكأنّه البقيّة الباقية من هذه المجموعة الطاهرة. وهو من التعابير اللغوية البليغة والقويّة في الإفادة.

(١) إضاءات ١: ٢١٨

هل خطبة الإمام الحسين عليه السلام «خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة» ثابتة؟[1]

◈ السؤال: ما هي المصادر الأصليّة للرواية التالية؟ وهل هي ثابتة من ناحية السند؟ وهي «خطّ الموت على وُلد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يُوسُف وخير لي مصرع أنا لاقيه كأني بأوصالي تُقطعها عُسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربةً سُغباً، لا محيص عن يوم خُط بالقلم رضا الله رضانا أهل البيت نصبرُ على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذّ عن رسول الله لُحمته بل هي مجموعة له في حظيرة القدس تقرّ بهم عينه وينجز بهم وعدُهُ، من كان باذلاً فينا مُهجتهُ ومُوَطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنني راحل مصبحاً إن شاء الله».

◈ الجواب: وردت هذه الرواية/ الخطبة عند: (ابن نما الحلي، مثير الأحزان: ٢٩؛ والحلواني، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ٨٦؛ وابن طاووس، اللهوف: ٣٨؛ والإربلي، كشف الغمّة ٢: ٢٣٩؛ والزرندي الشافعي، معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول: ٩٤؛ والعلامة المجلسي، بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٦ـ٣٦٧؛ والبحراني، العوالم: ٢١٦ ـ ٢١٧).

وأمّا سندها وقيمتها التاريخيّة، فهي لم ترد في مصادر التاريخ الأولى، وإنّما جاءت في مصادر لاحقة وبلا سند أساساً، وأقدم مصدر لها هو الحلواني (ق ٥هـ) في نزهة الناظر، والأغلب أَخَذَها من مثير الأحزان، لابن نما الحلّي (٦٤٥هـ)، ومن اللهوف لابن

(١) إضاءات ٢: ١٩٧

طـاووس (٦٦٤هـ)، ومن كشـف الغمّـة للإربلي (٦٩٣هـ)، فيصعب الاسـتناد إليهـا، إذ كيـف يمكـن اعتمادهـا ولم تنقـل لنـا إلا بعـد أربعـة قـرون مـن الحادثة بلا سـند ولا بيان مصـدر، فيما تجاهلهـا كلّ المؤرّخين والمحدّثـين الشـيعة والسـنّة بحسـب ما وصلنـا، بمن فيهم مـن كَتَبَ في الإمـام الحسـين عليه السلام وفي ثورتـه وفي تاريخهـا، وفي زيارتـه عليه السلام؟!

فمـن يحصـل لـه وثـوق بمثـل هـذه المنقـولات التاريخيّـة فهـو حجّة لـه وعليـه، ولكنّنـي لا أراه وثوقـاً موضوعيّـاً، إذ على مبنـى حجيّة خبر الواحـد الثقـة لا يوجد سـند لهـذه الخطبـة ولا مصدر حتـى نصحّحها، وأمّـا عـلى مبنـى الوثـوق، فقد تفـرّد بنقلهـا شـخصٌ واحد بعـد أربعة قـرون مـن الحادثـة دون بيـان مصدرهـا ولا سـندها فيـما تجاهلهـا كلّ المؤرّخـين والمحدّثـين قبلـه وحتـى بعـده بقرابـة قرنـين أيضـاً، فـما هي قرائـن الوثـوق هنـا؟ ومجـرّد عـدم وجـود دليـل عـلى بطلانها أو فسـاد متنهـا لا يعنـي دليـلاً عـلى صحّتهـا، بـل تكـون محتملـةً حينئذٍ.

نعـم، المقاطـع التـي في هذه الخطبـة والتي وردت في نصـوصٍ أخرى عـن الإمام الحسـين عليه السلام، بحيث تظافـرت النصوص فيهـا، يمكن القول بثبوتها ثبوتاً نوعيّاً لا شـخصّياً، والفرق بين الثبوت النوعي والشـخصي دقيـقٌ هنـا، وغالبـاً مـا تقـع فيـه أخطـاء، فلو فرضنـا أنّـه جاءتنـي مائة روايـة ضعيفـة السـند في موضوعـات مختلفـة، ولكـنّ هـذه الروايـات المائـة اشـتركت في فكـرة واحـدة تمثـل جـزءاً مـن كلّ رواية، ففـي هذه الحـال قـد يمكننـي أن أقـول بـأنّ هـذه الفكرة التـي تمّـت ملاحظتها في مجمـوع هـذه الروايات ـ رغـم اختلاف هـذه الروايـات في موضوعاتها ومضامينهـا ـ هـذه الفكـرة يمكـن الجـزم بصدورهـا وفقـاً لحسـاب الاحتـمال مثـلاً، لكـنّ الجـزم بصدورهـا هو جـزم نوعي، بمعنـى أنّه لا

يمكنني أن أضع يدي على واحدة من هذه الروايات المائة، وأقول: إذاً فهذه قطعاً قد صدرت؛ لأنّ فيها ذلك المقطع الذي تظافرت النصوص لتأكيده. فهنا أنا أجزم بهذه الفكرة المشتركة بين مائة نصّ حديثي أو تاريخي مختلف الموضوع، وفي الوقت عينه لا أصحّح أيّ رواية من هذه الروايات المائة بعينها وشخصها على تقدير ضعفها بنفسها، وهذه نقطة مهمّة جدّاً في علم الحديث والأصول غالباً ما تتمّ الغفلة عنها كما رأيت. والله العالم.

هل (كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء) حديث شريف أم لا أصل لها؟[1]

◈ **السؤال: من هو القائل: «كلّ يوم عاشوراء، وكلّ أرض كربلاء»؟ هل هو الإمام الصادق عليه السلام أم لا؟ ومن هو أوّل من أطلق هذا الشعار؟ وأساساً هل هو حديث شريف أم لا؟**

◈ الجواب: لم أعثر ـ بعد التتبّع ـ على هذا النصّ بوصفه حديثاً مرويّاً عن أحد من الأنبياء أو الأئمّة عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام، وقد أقرّ بذلك بعض العلماء المعاصرين المتتبّعين، وهو السيد جعفر مرتضى العاملي، في كتابه (مختصر مفيد ١١: ١٠٤)، والشيخ محمّد صحّتي سردرودي، في بحثه حول: التحريف في السيرة الحسينية (كتاب جدل ومواقف في الشعائر الحسينية: ٢٤٩ ـ ٢٥٠).

ولم يظهر لي تاريخ ظهور هذا الشعار أو المصطلح قبل فترتنا الحاليّة، ولعلّه لا يعود لأكثر من بضعة عقود. وربما يكون من أطلقه من دعاة الثورة ضدّ الظلم فأراد به أن يؤكّد مفهوم استمراريّة المنطق الثوري، أو يكون قصده من ذلك إبقاء عاشوراء حيّةً في كلّ زمان ومكان.

(١) إضاءات ٢: ٢٧٣

ما قيمة سند زيارة عاشوراء وفقًا لنظريات السيد الخوئي؟[1]

◈ **السؤال: شيخنا الجليل، نظراً لمعرفتكم العميقة بمباني ونظريات السيد الخوئي الرجاليّة والحديثية، نريد منكم أن تعلّقوا على هذه الرسالة التي كتبها أحد العلماء الكبار حول سند زيارة عاشوراء، من وجهة نظر السيّد الخوئي خاصّة لا بقيّة العلماء، وشكراً لكم.**

◈ الجواب: سأحاول أن أسير ـ كما طلبتم ـ على منهج مثل السيد الخوئي في التعليق على هذا النصّ خاصّة، وإلا فالحديث عن ثبوت متن زيارة عاشوراء أو عدمه له بحث آخر ومجال مختلف بعض الشيء لا نخوض فيه الساعة، وسوف أنقل كلّ مقطع من مقاطع نصّ العلامة الجليل... ثم أذكر التعليق وفقاً لمناهج السيد الخوئي.

يقول العلامة الجليل..:

«سند زيارة الحسين في يوم عاشوراء، إنّ استحباب زيارة سيّد الشهداء الحسين بن علي عليهما السَّلام في اليوم العاشر من محرّم الحرام ممّا أصفق عليه علماء الطائفة الإمامية عبْر القرون، واتفاقهم هذا من أتقن الأدلّة على صحّتها وصدورها عن أئمّة أهل البيت عليهم السَّلام».

التعليق:

إجماع الطائفة إذا أريد منه الاستدلال على أصل وجود زيارة في يوم عاشوراء فهذا لا بأس به، بل إنّ احتمال وجود هذه الزيارة في يوم العاشر احتمال قويّ جداً ولو من دون الإجماع، لبُعد احتمال أنّ

(١) إضاءات ٢: ٢٨٠

الأئمة لم يذكروا لأبي عبد الله روحي فداه زيارةً في هذا اليوم العظيم. أما اذا قصد بذلك الاستدلال على هذا النصّ الخاص للزيارة، فهو فرع أنّهم عملوا به، وإحراز ذلك صعب، ولو سلّم فهو إجماع مدركي اعتمدوا فيه على وجود الروايات فلا حجيّة فيه، وسيأتي بعض التعليق المتصل بهذه النقطة في آخر الكلام إن شاء الله.

ويقول العلامة الجليل..:

«قد ورد إلينا سؤال عن سندها في كتب الإمامية، فقمنا بتأليف هذه الرسالة لإزالة الشبهة العالقة ببعض الأذهان، فنقول: إنّ زيارة سيّد الشهداء في العاشر من محرّم وردت بطرق خمسة، رواها شيخ الطائفة بطرق ثلاثة، غير أنّ السند الأوّل يختصّ ببيان ثواب الزيارة دون النصّ المعروف، والأخيرين طريقان لنفس النصّ، ويعلم ذلك بالإمعان في ما نقله الشيخ في هذا المضمار. ورواها ابن قولويه بطريقين، فيكون الطرق إليها خمسة.

وإليك الأسانيد بنصّها وتحليلها: قال الشيخ الطوسي: روى محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن صالح بن عقبة، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: من زار الحسين بن علي عليهما السَّلام في يوم عاشوراء من محرّم الحرام حتّى يظلّ عنده باكياً ألقى اللهّ عزّ وجلّ يوم يلقاه ثواب ألفي حجّة وألفي عمرة وألفي غزوة، ثواب كلّ غزوة وحجّة وعمرة كثواب من حجّ واعتمر وغزا مع رسول اللهّ صلى الله عليه وآله ومع الأئمّة الراشدين. قال: قلت: جعلت فداك فما لمن كان في بعيد البلاد وأقاصيه ولم يمكنه المصير إليه في ذلك اليوم؟ قال: إذا كان كذلك برز إلى الصحراء أو صعد سطحاً مرتفعاً في داره وأومأ إليه بالسلام واجتهد في الدعاء على قاتله وصلّى من بعدُ ركعتين، وليكن ذلك في

صدر النهار قبل أن تزول الشمس، ثمّ لينـدب الحسين عليه السلام ويبكيه، ويأمر من في داره ممن لا يتّقيه بالبكاء عليه، ويقيم في داره المصيبة بإظهار الجزع عليه، وليعزَّ بعضهم بعضاً بمصابهم بالحسين عليه السلام، وأنا الضامن لهم إذا فعلوا ذلك على الله تعالى جميع ذلك.

قلت: جعلت فداك أنت الضامن ذلك لهم والزعيم؟! قال: أنا الضامن وأنا الزعيم لمن فعل ذلك. قلت: فكيف يُعزّي بعضنا بعضاً؟ قال: تقولون: أعظم الله أُجورنا بمصابنا بالحسين عليه السلام وجعلنا وإيّاكم من الطالبين بثاره مع وليّه الإمام المهدي من آل محمد عليهم السَّلام، وإن استطعت أن لا تنتشر يومك في حاجة فافعل فإنّه يوم نحس لا يُقضى فيه حاجة مؤمن، فإن قضيت لم يبارك له فيها ولم يرَ فيها رشداً، ولا يدَّخرن أحدكم لمنزله فيه شيئاً فمن ادّخر في ذلك اليوم شيئاً لم يبارك له فيما ادّخره، ولم يبارك له في أهله، فإذا فعلوا ذلك كتب الله تعالى لهم أجر ثواب ألف حجّة وألف عمرة وألف غزوة كلّها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وكان له أجر وثواب مصيبة كلّ نبي ورسول ووصي وصدّيق وشهيد مات أو قتل منذ خلق الله الدنيا إلى أن تقوم الساعة.

إلى هنا تمّ سند الشيخ إلى بيان ثواب زيارة الحسين يوم عاشوراء، دون أن يذكر فيه نصّ خاص للزيارة، بل اقتصرت الرواية في نيل الثواب على ما جاء في الرواية من البروز إلى الصحراء أو الصعود إلى السطح المرتفع والإيماء إليه بالسلام والاجتهاد في الدعاء على قاتله.. إلى آخر ما جاء في نفس الرواية، وليس فيها أيّ أثر من الزيارة الخاصّة التي نحن بصدد تقويم سندها. وإليك دراسة سندها: أقول: قد أخذ الشيخ الرواية من كتاب محمد بن إسماعيل

بـن بزيـع، ونقـل سـنده إلى كتابـه في الفهرسـت بالنحـو التـالي: ابن أبي جيـد، عـن محمـد بـن الحسـن بـن الوليـد، عـن عـلي بـن إبراهيـم، عن محمّـد بـن إسـماعيل بن بزيـع. وعلى هـذا فالشـيخ يـروي ثـواب زيارة الحسـين عليه السلام في يوم عاشـوراء عن المشـايخ التاليـة: ابن أبي جيـد. ومحمّد بـن الحسـن بـن الوليـد. وعـلي بـن إبراهيـم. ومحمّـد بـن إسـماعيل بن بزيـع. وصالـح بـن عقبـة. وعقبـة بن قيـس. عـن أبي جعفـر الباقر عليه السلام. وإليـك دراسـة أحوالهم».

التعليق:

لعـلّ سـماحة العلامـة الجليـل.. نسي ترجمة ابـن أبي جيد الـذي صدّر السـند بـه في طريـق الطـوسي إلى ابـن بزيـع، وابـن أبي جيـد ثقـة عنـد السـيد الخوئـي؛ لكونه من مشـايخ الشـيخ النجاشي الذين حكم السـيد الخوئـي بوثاقتهـم. ولكـنّ هـذه النظريّـة الرجاليّة محلّ نظـر عندي.

يقول العلامة الجليل..:

«محمـد بـن الحسـن بـن الوليـد (المتـوفّى عـام ٣٤٣هــ)، وهومـن مشـايخ الطائفـة وأجلاّئهـا، غنـيٌّ عـن الوصـف والبيان، ويصـدر عنه الشـيخ الصـدوق في التعديـل والتجريـح.

عـلي بـن إبراهيـم القمّـي: عـلي بـن إبراهيـم، وهـو شـيخ الكلينـي الـذي كان حيّـاً عـام ٣٠٧هـ، وهـو من مشـايخ الطائفة الذين لا يُشـق غبارهم.

محمّد بن إسـماعيل بن بزيـع، من أصحاب أبي الحسـن الأوّل والرضا والجـواد عليهـم السَّـلام، يقـول الشـيخ في رجالـه: ثقة صحيـح كوفي. ويقـول النجاشي: مـن صالحي هـذه الطائفـة وثقاتهم، كثـير العمل.

صالح بن عقبة، وهو صالح بن عقبة بن قيس بن سمعان. عرّفه النجاشي بقوله: صالح بن عقبة بن قيس بن سمعان بن أبي ربيحة. روى عن أبيه عن جدّه. وروى عن زيد الشحام. روى عنه محمّد بن الحسين بن أبي الخطاب. وابنه إسماعيل بن صالح بن عقبة.

وليس المراد منه صالح بن عقبة بن خالد الأسدي؛ وذلك لأنّ محمد بن إسماعيل بن بزيع يروي عنه بواسطة محمّد بن أيوب، كما يظهر من طريق النجاشي إلى كتاب خالد الأسدي، حيث قال، بعد ذكر عدّة من المشايخ:.. عن محمد بن إسماعيل بن بزيع عن محمّد بن أيّوب عن صالح بن عقبة بن خالد الأسدي. كما أنّ الشيخ اقتصر على ذكر شخص واحد، وقال: صالح بن عقبة له كتاب، أخبرنا به ابن أبي جيد عن ابن الوليد عن الصفار محمد بن الحسين عن محمد بن إسماعيل بن بزيع عنه. ومراده هو: صالح بن عقبة بن قيس لا خالد الأسدي.

فما احتمله المحقّق التستري ليس في محلّه. إذا ظهر ذلك فاعلم: أنّ الضابطة في كلّ ما يذكره النجاشي هو أنّه إماميّ، فلو كان غير إمامي لتعرّض إلى مذهبه، كما أنّه لو كان قدح فيه لذكره. وعلى ذلك بنى جمع من علمائنا الرجاليين كالسيد بحر العلوم الطباطبائي رحمه اللّه في الفائدة العاشرة من فوائده الرجاليّة.

فذهب إلى أنّ جميع من ذكره الطوسي والنجاشي في كتابيهما من الشيعة الإمامية صحيح المذهب، ممدوح بمدح عام يقتضيه الوضع لذكر المصنّفين العلماء والاعتناء بشأنهم وشأن كتبهم، وذكر الطريق إليهم، وذكر من روى عنهم، ومن رووا عنه إلاّ من نصّ فيه على خلاف ذلك من الرجال كالزيدية والفطحية والواقفية وغيرهم.

وعلى ضوء ذلك فهو إمامي ممدوح بمدح عام والذي جاء سبباً لذكره في الكتب. هذا من جانب. ومن جانب آخر يروي عنه شيخان عظيمان من مشايخ الشيعة الكبار هما: محمد بن الحسين بن أبي الخطاب (المتوفّى عام ٢٦٢هـ)، ومحمّد بن إسماعيل بن بزيع، من كبار مشايخ الشيعة. نعم ضعّفه ابن الغضائري، كما نقله العلاّمة في خلاصته وقال: غالٍ، كذّاب لا يلتفت إليه.

ولكنّ ذمّ الغضائري لا يعتدّ به، لأنّه قدح كثيراً من ثقاتنا وعلمائنا الذين لا يُشق غبارهم وقد كان له عقائد خاصّة في حقّ الأئمّة الاثني عشر، فمن تجاوز عنها وصفه بالغلو، ومن روى رواية في ذلك الموضوع برواية لا توافق عقيدته وصفه بالكذب، ولذلك رتّب في كلامه على كونه غالياً، قوله: كذّاباً لا يلتفت إليه. وهذا دليل على أنّ وصفه بالكذب، لتوهّم الغلوّ فيه.

كيف يمكن أن يوصف بالغلو والكذب من هو من مشايخ محمد بن الحسين بن أبي الخطاب أو محمّد بن إسماعيل بن بزيع الذي ذكر عند الرضا عليه السلام، فقال: وددت أنّ فيكم مثلَه، ومن اعتنى بذكره وذكر كتابه الشيخان النجاشي والطوسي. فوثاقته قويّة وروايته معتبرة».

التعليق:

لست أدري كيف ثبت أنّ الأصل في كلّ اسم ذكره الطوسي والنجاشي في كتابيهما أنّه ممدوح بمدح عام، فهذا مما لم يقبل به أغلب العلماء، ولا أظنّ أنّ العلامة الجليل.. يلتزم به في مباحثه الرجالية المنشورة، ولا يقبل بذلك السيد الخوئي الذي اعتبر المئات من الأشخاص مجاهيل رغم ورودهم في كتابي الطوسي والنجاشي، مع أنّ الطوسي والنجاشي ضعّفا عشرات الأشخاص في هذين الكتابين،

نعم كون الرجل شيعيّاً يمكن تعقّله، أمّا ثبوت وثاقته بمجرّد ذكر اسمه في أسماء مصنّفي الشيعة فهو لا دليل عليه أبداً، لاسيما وأنّ كتابي الطوسي والنجاشي معقودان لبيان أسماء المصنّفين والمصنَّفات، وليسا في مقام بيان أحوال الرواة دوماً. ما لم يقصد من المدح العام نفس أنّه إمامي أو نفس أنّ له كتاب، وهذا لا يفيدنا هنا حيث غرضنا إثبات إمكان الاعتماد على حديثه.

أضف إلى ذلك أنّ كونه ممن روى عنه بعض الرواة الكبار مثل ابن بزيع ليس دليلاً على التوثيق عند مشهور العلماء ومنهم السيد الخوئي وغيره، فإنّ الرواة يروون أحياناً بداعي جمع التراث وليس بداعي الاعتقاد، وقد ألمح إلى مثل ذلك ابن إدريس الحلّي في كتاب السرائر عند تعليقه على كتاب النهاية للطوسي في مواضع متعدّدة. لكن على أيّة حال فإنّ صالح بن عقبة ثقة عند السيد الخوئي لوروده في أسانيد تفسير القمّي (معجم رجال الحديث ١٠: ٨٤ـ ٨٦).

يقول العلامة الجليل..:

«عقبة بن قيس بن سمعان، عنونه الشيخ في رجاله وعدّه من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام، وكونه من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام يدلّ على أنّه إمامي، ولم يظفر الشيخ بشيء من الذمّ فيه».

التعليق:

مجرّد عدم ورود الذمّ في الراوي لا يعني أنّه ثقة، فقد يكون مجهولاً عند المتقدّمين أيضاً، وهذا المبنى الذي يذكره سماحة العلامة الجليل لم يقبل به مشهور الفقهاء، ولا أظنّه يقبل به هو نفسه في أبحاثه الفقهية والرجاليّة، كما لا يقبل به السيد الخوئي.

ثم كون الشخص من أصحاب الإمام الباقر لا يعني أنّه إمامي؛ فالفطحيّة والزيديّة وغيرهم يمكن أن يكونوا من أصحاب الباقر، بل وما أكثرهم، لاسيما وأنّ بعض الفرق ظهرت بعد وفاة الإمام الباقر، فكيف تكون صحبة هذا الإمام عليه السلام دليل عدم كون الراوي واقفياً بعد ذلك؟! ولهذا كلّه كان عقبة بن قيس بن سمعان مجهول الحال عند السيد الخوئي لم تثبت وثاقته (معجم رجال الحديث ١٢: ١٧٢).

يقول العلامة الجليل..:

«إلى هنا تمّت دراسة السند الأوّل للشيخ إلى بيان ثواب زيارة الحسين في يوم عاشوراء. والسند لا بأس به، وهو من الحسن بمعنى الممدوح بالمدح العام لا الممدوح بالمدح الخاصّ».

التعليق:

تبيّن عدم صحّة هذا السند عند السيد الخوئي، لا أقلّ بجهالة عقبة بن قيس بن سمعان. وهو الصحيح، ولا أدري هل الممدوح بالمدح العام يعني أنّه حجّة أم لا؟ هذا ما سكت عنه العلامة الجليل، وإن كان ظاهره الأخذ.

ويقول العلامة الجليل..:

«المهم في المقام هو دراسة سند الشيخ إلى نصّ الزيارة، قال قدَّس سرَّه: صالح بن عقبة، وسيف بن عميرة، قال علقمة بن محمد الحضرمي، قلت لأبي جعفر عليه السلام: علّمْني دعاءً أدعو به ذلك اليوم إذ أنا زرته من قرب وأومأت من بعد البلاد، ومن داري بالسلام إليه. قال: فقال لي: يا علقمة، إذا أنت صلّيت الركعتين بعد أن تومئ إليه بالسلام فقل عند الإيماء إليه من بعد التكبير هذا القول، فإنّك إذا

قلت ذلك فقد دعوت بما يدعو من زوّاره من الملائكة، وكتب اللهّ لك مائة ألف ألف درجة وكنت كمن استشهد مع الحسين عليه السلام حتى تشاركهم في درجاتهم ثمّ لا تعرف إلاّ مع الشهداء الذين استشهدوا معه وكتب لك ثواب زيارة كلّ نبي وكلّ رسول وزيارة كلّ من زار الحسين عليه السلام، منذ يوم قتل عليه السلام وعلى أهل بيته.

الزيارة: السّلام عليك يا أبا عبداللهّ، السّلام عليك يا ابن رسول اللهّ، السّلام عليك يا ابن أمير المؤمنين وابن سيد الوصيّين، السّلام عليك يا ابن فاطمة سيدة نساء العالمين.. ثمّ قال ـ بعد السلام مرّة واللعن مرة ـ: ثمّ تسجد وتقول: اللّهمّ لك الحمد، حمد الشاكرين لك على مصابهم، الحمد للهّ على عظيم رزّيتي، اللّهمّ ارزقني شفاعة الحسين عليه السلام يوم الورود، وثبّت لي قدم صدق عندك مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام.

قال علقمة: قال أبو جعفر عليه السلام: وإن استطعت أن تزوره في كلّ يوم بهذه الزيارة من دارك فافعل فلك ثواب جميع ذلك. إلى هنا تمّت زيارة عاشوراء سنداً ومتناً، وإليك دراسة السند فنقول: سياق العبارة ظاهر في أنّ الشيخ أخذ الرواية من كتاب محمّد بن إسماعيل بن بزيع الذي لا كلام في وثاقته، إنّما الكلام فيمن يروي هو عنه، فقد روى محمد بن إسماعيل نصّ الزيارة بالسند التالي: صالح بن عقبة وسيف بن عميرة، وهما عن علقمة بن محمّد الحضرمي.

أمّا صالح بن عقبة فقد تقدّمت ترجمته، وقد عرفت أنّه في الكتب الرجاليّة إمامي ممدوح بالمدح العام لا الخاص، ولكن دلّت القرائن على كونه مقبول الرواية، وأنّ ذمّ الغضائري لايعتدّ به. فلو افترضنا عدم ثبوت وثاقته، فلا يضرّ بصحّة هذا السند؛ لأنّ محمد

بـن إسـماعيل بـن بزيـع يـروي نـصّ الزيـارة عـن شـخصين، أحدهمـا صالـح بـن عقبة والآخر سـيف بن عمـيرة، والثـاني ثقة بـلا كلام. قال النجـاشي: سـيف بـن عمـيرة النخعـي، عـربي، كـوفي، ثقة، يـروي عن أبي عبـد اللهّ وأبي الحسـن، لـه كتـاب يرويه عنـه جماعات مـن أصحابنا. وصرّح بوثاقتـه الشـيخ في الفهرسـت.

فالـرواة إلى هنـا كلّهـم ثقـات، فالروايـة صحيحـة. إنّـما الـكلام في الـراوي الأخـير، أعنـي: علقمـة بـن محمـد الحضرمـي. وأمّـا علقمـة فعـدّه الشـيخ في رجالـه في أصحـاب الباقـر عليه السلام، والصـادق عليه السلام. وليـس في الكتـب الرجاليـة تصريـح بوثاقتـه، ولكـنّ القرائن تدلّ عـلى وثاقته: روى الكـشي عـن بـكار بـن أبي بكـر الحضرمـي، قـال: دخـل أبـو بكر وعلقمـة عـلى زيـد بن عـلي وكان علقمـة أكبر مـن أبيه فجلـس أحدهما عـن يمينـه والآخـر عـن يسـاره وكان بلغهـما أنّه قـال: ليس الإمـام منّا مـن أرخـى عليـه سـتره، إنّـما الإمام من شـهر سـيفه. فقـال له أبـو بكر ـ وكان أجرأهمـا ـ: يـا أبـا الحسـين، أخـبرني عـن عـلي بـن أبي طالب عليه السلام أكان إمامـاً وهـو مـرخ عليـه سـتره أو لم يكـن إمامـاً حتى خرج وشـهر سـيفه، وكان زيـد يبـصر الـكلام فسـكت فلـم يجبه، فـردّ عليـه الكلام ثـلاث مـرات كلّ ذلـك لا يجيبه بشيء. قال لـه أبو بكـر: إن كان علي بن أبي طالـب عليه السلام إمامـاً فقد يجوز أن يكـون بعده إمام مرخ سـتره، وإن كان عـلي عليه السلام لم يكـن إمامـاً وهو مـرخ عليه سـتره فأنت مـا جاء بك هـا هنا. فطلـب علقمة مـن أبي أن يكـفّ عنه فكـفّ. والحديث يكشـف عن أنّ الأخويـن كانـا عـلى بصيرة مـن أمـر الإمامة».

التعليق:

هـذه الروايـة لـو صحّـت سـنداً تـدلّ على كـون علقمـة شـيعياً غير

زيدي، وأيّ ربط لها بوثاقته وأمانته في النقل؟! فليس كل شيعي ثقة بإجماع العلماء، والسيد الخوئي معهم. بل إنّ هذه الرواية نفسها غير معتبرة عند السيد الخوئي، حيث قال فيها محقّاً: «أقول: محمّد بن جمهور ضعيف، وبكّار مجهول، فلا اعتماد على الرواية» (معجم رجال الحديث ٨: ٣٦٣).

ويقول العلامة الجليل..:

«ما سيوافيك عند دراسة السند الثالث للشيخ من أنّ سيف بن عميرة الثقة، اعترض على صفوان بن مهران الثقة بأنّ ما دعا به، لم يرد في رواية العلقمي عن الباقر عليه السلام واعتذر صفوان ـ بما سيوافيك في محله ـ بأنّه سمعه من الإمام الصادق عليه السلام عند زيارته لجدّه الحسين. فالاحتجاج بعدم نقله، والجواب عنه بأنّه سمعه من الإمام الصادق عليه السلام، حاك عن تسليم الرجلين الثقتين، وثاقة علقمة بن محمد الحضرمي، وإلاّ لما احتجّ به سيف بن عميرة، ولما أجاب عنه صفوان بالسماع عن الصادق عليه السلام».

التعليق:

مجرّد ذلك لا يثبت الوثاقة، فقد تسأل أنت شخصاً ثقة عن شيء وتقول له: إنّ كلامك يعارض كلام زيد من الناس، ويكون زيد مجهول الحال عندك، لا دليل على ضعفه ولا دليل على وثاقته، فيجيبك بأنني سمعت ذلك من الإمام، فأيّ دلالة في هذا على التوثيق، نعم هذا يدلّ على عدم كونه ضعيفاً عنده، وعدم ثبوت الضعف لا يساوي ثبوت الوثاقة.

ويقول العلامة الجليل..:

«وبذلك يعلم: أنّ الدعاء الوارد بعد الزيارة ليس لعلقمة، وإن اشتهر بأنّه منه، بل هو لصفوان بن مهران. فخرجنا بالنتيجة التالية: إنّ سند الشيخ إلى كتاب محمّد بن إسماعيل بن بزيع صحيح في الفهرست. وأنّ محمد بن إسماعيل بن بزيع ثقة بالاتفاق. وأنّ سيف بن عميرة ثقة، صرّح بها النجاشي. وأنّ علقمة بن محمد الحضرمي، ثقة حسب القرائن التي عرفتها. إلى هنا تمّ السند الثاني، فلو قلنا بوثاقة علقمة كما هو الحقّ فالسند صحيح، وإلاّ فهو حسن بالمدح العام».

التعليق:

بما قلناه ظهر ضعف هذا السند أيضاً، والسيد الخوئي يوثق علقمة الحضرمي بناء على مبنى كامل الزيارة (معجم رجال الحديث ١٢: ٢٠١)، وهذا يعني أنّه عدل عن توثيقه له بعد ذلك لأنّه عدل عن هذا المبنى، وليس علقمة من المشايخ المباشرين لابن قولويه، فالحضرمي عند السيد الخوئي في رأيه المتأخّر غير ثابت الوثاقة.

ويقول العلامة الجليل..:

«السند الثالث إلى نصّ الزيارة. ثمّ إنّ للشيخ سنداً ثالثاً في «مصباح المتهجّد» إلى نصّ الزيارة نأتي بنصّه: قال الشيخ الطوسي: وروى محمد بن خالد الطيالسي، عن سيف بن عميرة، قال: خرجت مع صفوان بن مهران الجمّال وعندنا جماعة من أصحابنا بعدما خرج أبو عبد اللهّ عليه السلام [فسرنا] من الحيرة إلى المدينة. فلمّا فرغنا من الزيارة صرف صفوان وجهه إلى ناحية أبي عبد اللهّ [الحسين] عليه السلام، فقال لنا:

تـزورون الحسـين عليه السلام مـن هـذا المـكان مـن عنـد رأس أمـير المؤمنـين صلـوات اللهّ عليـه مـن هـا هنـا، وأومـى إليـه أبـو عبـد اللهّ [الصـادق] عليه السلام وأنـا معـه. قـال: فدعا صفـوان بالزيارة التـي رواها علقمـة بن محمّد الحضرمـي عـن أبي جعفـر عليه السلام في يـوم عاشـوراء، ثـمّ صـلّى ركعتين عند رأس أمـير المؤمنـين عليه السلام، وودّع في دبرهمـا أمـير المؤمنـين عليه السلام، وأومـى إلى الحسـين بالسـلام منصرفـاً بوجهـه نحـوه، وودّع وكان فيـما دعـاه في دبرهـا: يـا اللهّ، يـا اللهّ، يـا اللهّ، يـا مجيـب دعـوة المضطرّيـن.. (الدعـاء المعـروف بدعـاء علقمة).

والروايـة صريحـة في أنّ صفـوان زار الإمـام الحسـين عليه السلام بالزيـارة التـي رواهـا علقمـة بن محمـد الحضرمـي وفي آخـر الرواية، قال سـيف بـن عمـيرة: فسـألت صفـوان: إنّ علقمـة بـن محمـد الحضرمـي لم يأت بهـذا (الدعـاء) أعنـي: يا اللهّ يـا اللهّ يـا اللهّ، يا مجيـب دعـوة المضطرين.. وإنّـما أتانـا بدعـاء الزيـارة (أي نـصّ الزيـارة)، فقـال صفـوان: وردت مـع سـيدي أبـا عبـدالله عليه السلام إلى هـذا المـكان ففعـل مثـل الـذي فعلناه في زيارتنـا ودعـا بهذا الدعاء عنـد الـوداع. فالاختلاف إنّـما كان في الدعاء الـذي يُقـرأ بعـد الزيـارة بعد تسـليم نصّهـا المعـروف. إنّ الشـيخ أخذ الروايـة مـن كتـاب محمّـد بـن خالـد الطيالـسي، وذكـر سـنده إلى كتابه في الفهرسـت، وقـال: لـه كتـاب رويناه عـن الحسـين بـن عبيـد اللهّ (الغضائـري)، عـن أحمـد بـن محمـد بـن يحيـى (شـيخ الصـدوق)، عن أبيـه (محمـد بـن يحيـى العطـار القمّي)، عـن محمد بـن علي بـن محبوب، عنـه. وسـنده إلى الكتـاب صحيـح، وأحمـد بـن محمـد بـن يحيـى مـن مشـايخ الصـدوق وينقل عنه مـع الترضّي عليـه، والمشـايخ في غنى عن التوثيق».

التعليق:

أحمد بن محمد بن يحيى لم يوثقه أحد من القدماء، وأدلّة توثيقه كلّها ضعيفة؛ ولهذا لم يوثقه السيد الخوئي (معجم رجال الحديث ٣: ١٢٢)، فطريق الشيخ الطوسي إلى الطيالسي غير معتبر عند السيد الخوئي كما صرّح هو بنفسه في ذلك (معجم رجال الحديث ١٧: ٧٦)، والحقّ معه.

ويقول العلامة الجليل..:

«إذا علمت ذلك، فاعلم أنّ الحكم بصحّة السند، يتوقف على دراسة أحوال الرواة الواردين فيه وهم: محمد بن خالد الطيالسي. سيف بن عميرة. صفوان بن مهران الجمال.

أمّا الثاني أعني سيف بن عميرة فقد عرفت أنّ النجاشي وثّقه، بقي الكلام في الأوّل والثالث. أمّا محمد بن خالد الطيالسي فقد عدّه الشيخ في رجاله في أصحاب الكاظم عليه السلام، وتؤيّد وثاقته رواية المشايخ الأعاظم عنه نظراء: علي بن الحسن بن فضال. سعد بن عبد اللهّ القمّي. حميد بن زياد، قال الشيخ في فهرسته: محمّد بن خالد الطيالسي يكنى أبا عبد اللهّ روى عنه حميد أُصولاً كثيرة. علي بن إبراهيم القمّي. محمد بن علي بن محبوب. محمد بن يحيي المعادي. معاوية بن حكيم.

وقال النجاشي: محمد بن خالد بن عمر الطيالسي التميمي أبو عبد اللهّ مات لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ٢٥٩، وهو ابن ٩٧ سنة. ولعلّ هذا المقدار يثبت وجاهته في الحديث وأنّ له منزلة عند المحدّثين، فيكون إماميّاً ممدوحاً بل مقبول الرواية».

التعليق:

لم يوثق أحدٌ الطيالسي هذا، ومجرّد رواية العلماء عنه ليس دليل توثيق، ولهذا لم يوثقه السيد الخوئي، إلا بناء على كتاب كامل الزيارة الذي عدل عنه آخر عمره، فانظر: (معجم رجال الحديث ١٧: ٧٥). والغريب أنّ العلامة الجليل قال هنا بأنه ممدوح بل مقبول الرواية، بما يفهم منه أنّ الممدوحية لا تساوق قبول الرواية، مع أنّه في الأسانيد السابقة تحدّث عن الممدوحيّة العامّة فقط!!

ويقول العلامة الجليل..:

«وأمّا الثالث، أعني: صفوان بن مهران، فهو كوفي ثقة، يكنّى أبا عبد الله. إلى هنا تمّت دراسة أسانيد الشيخ الثلاثة، فخرجنا بالنتيجة التالية: إنّ السند الأوّل من الأسانيد الثلاثة، طريق الشيخ إلى ما يترتب على زيارة الحسين عليه السلام على وجه الإطلاق من الثواب، وهو ليس بمطروح عندنا في هذا المقال، وإنّما ذكرناه استطراداً؛ لأنّ الشيخ روى الجميع في مقام واحد. وأمّا السند الثاني فرواه الشيخ عن سيف بن عميرة وهو ثقة بالاتفاق. عن علقمة بن محمد الحضرمي ولم يصرّح بوثاقته، وإنّما دلّت القرائن على وثاقته. وأمّا السند الثالث فرواه الشيخ عن محمّد بن خالد الطيالسي، عن سيف بن عميرة، عن صفوان بن مهران. والأخيران ثقتان والأوّل لم يصرّح بوثاقته، وإنّما دلّت القرائن على مقبوليّة روايته في الحديث».

التعليق:

لم تثبت ـ كما تقدّم ـ وثاقة الطيالسي ولا علقمة الحضرمي فهذه الأسانيد غير صحيحة، حتى على رأي السيّد الخوئي.

ويقول العلامة الجليل..:

«فحان البحث عن سند ابن قولويه إلى نصّ الزيارة: سند ابن قولويه إلى زيارة عاشوراء: روى ابن قولويه في كتاب «كامل الزيارات» زيارة عاشوراء بالسند الآتي: حدّثني حكيم بن داود بن حكيم وغيره. عن محمّد بن موسى الهمداني، عن محمّد بن خالد الطيالسي، عن سيف بن عميرة وصالح بن عقبة جميعاً، عن علقمة بن محمّد الحضرمي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: من زار الحسين يوم عاشوراء حتّى يظلّ عنده باكياً لقى الله عزّ وجلّ يوم القيامة بثواب ألفي حجّة. ومحمّد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن مالك الجهني، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء من محرّم حتى يظلّ عنده.. وقد تمّ السند الأوّل بقوله: عن علقمة بن محمّد الحضرمي».

التعليق:

قلنا بأنّ علقمة الحضرمي والطيالسي لم تثبت وثاقتهما عند السيد الخوئي، كما هو الصحيح، فهذا السند هو بعينه مرجع الأسانيد السابقة وليس شيئاً جديداً، فهو ضعيف.

ويقول العلامة الجليل..:

«ثمّ ابتدأ بسند آخر، وقال: ومحمّد بن إسماعيل عن صالح بن عقبة. وعلى ذلك ففي قوله: ومحمد بن إسماعيل احتمالان: الأوّل: أنّ ابن قولويه شرع بأوّل السند وأخذ الرواية عن كتاب محمد بن إسماعيل بن بزيع، لما عرفت من أنّ الشيخ روى نفس الزيارة عن ذلك الكتاب، وطريقه إليه صحيح فينتج قيام الحجّة على وجود

نـصّ الزيـارة في ذلـك الكتـاب، وقد تنـاول كلّ مـن العلمـين الطوسي وابـن قولويـه نقلهـا مـن ذلـك الكتاب، غـير أنّا نعلم بسـند الشـيخ إلى الكتـاب ولا نعلم سـند ابـن قولويه إليـه، ولكنّه لايضرّ بصحّـة الرواية للعلـم بوجـود الروايـة في ذلـك الكتاب عـن طريق الشـيخ.

وهـذا الاحتـمال هـو الأوجه، وعليـه يكون لابـن قولويه سـندان إلى زيـارة عاشـوراء. الثـاني: إنّ قولـه: ومحمّـد بـن إسـماعيل، عطـف على قولـه: محمد بـن خالد الطيالسي، وأنّ سـند ابـن قولويـه إلى كتاب محمّد بـن إسـماعيل نفس سـنده إلى كتـاب محمّد بن خالـد الطيالـسي، فيروي كتـاب ابـن بزيـع عـن الطريق الـذي يـروي به كتـاب الطيالـسي. وعلى ذلـك يكون سـنده إليـه كالتـالي: حكيم بـن داود، عن محمّد بن موسـى الهمـداني، عـن محمد بن إسـماعيل بـن بزيع. وهـذا الاحتـمال بعيد.

وثمّـة احتـمال ثالـث لا يتفوّه به مـن له إلمـام بالرجال، وهـو أنّ قوله «ومحمـد بن إسـماعيل» عطف عـلى قوله: «علقمة بـن محمد الحضرمي»، وجـزء مـن السـند السـابق؛ لأنّـه بعيد عـن الصـواب غاية البعـد؛ لأنّ علقمـة مـن أصحاب الباقـر والصـادق عليهما السَّـلام، وابـن بزيع من أصحـاب الرضـا والجـواد عليهـما السَّـلام، ومـع الاختـلاف في الطبقة كيـف يعطـف المتأخّـر طبقـةً، عـلى المتقـدّم كذلـك؟! إذا عرفـت ذلـك فلنتنـاول رواة السـند الأوّل بالبحث:

١ـ حكيـم بـن داود بـن حكيـم، أحـد مشـايخ جعفـر بـن قولويـه، وقـد وثّـق مشـايخه إجمـالاً في أوّل كتابـه، فقـال: لا يذكر في كتابـه إلاّ ما وقـع لـه مـن جهـة الثقـات، وروى عنـه في كامـل الزيـارات في البـاب الثـاني، الحديـث١١ والبـاب ٥٤ الحديـث الثالـث. مضافـاً إلى البـاب ٧١، الحديـث ٩.

٢ـ محمد بن موسى بن عيسى الهمداني، ذكره النجاشي بقوله: محمد بن موسى بن عيسى أبو جعفر الهمداني السمان، يروي عنه محمد بن يحيى العطار القمّي على ما في طريق النجاشي إلى كتابه، حيث قال: أخبرنا ابن شاذان، عن أحمد بن محمد بن يحيى، عن أبيه، عنه بكتبه. كما يروي عنه محمّد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، الذي هو شيخ مشايخ الكليني، وقد ورد في أسناد نوادر الحكمة للأشعري، غير أنّ الغضائري ضعّفه، ومع ذلك قال: ضعيف، يروي عن الضعفاء ويجوز أن يخرج شاهداً. وضعّفه ابن الوليد أُستاذ الصدوق. غير أنّ تضعيف هؤلاء يرجع إلى الاختلاف في مقامات الأئمّة، فإنّ للقمّيين وعلى رأسهم محمّد بن الوليد عقائد خاصة في حقّ أهل البيت عليهم السَّلام ربما لا يرتضيه محقّقو الإمامية. يقول الشيخ المفيد في تصحيح الاعتقاد: وقد سمعنا حكاية ظاهرة عن أبي جعفر محمد بن الحسن بن الوليد لم نجد لها دافعاً في التفسير، وهي ما حكي عنه أنّه قال: أوّل درجة في الغلو نفي السهو عن النبي والإمام عليهما السلام، فإن صحّت هذه الحكاية عنه فهو مقصّر مع أنّه من علماء القمّيين ومشيختهم، وقد وجدنا جماعة وردوا إلينا من قم يقصّرون تقصيراً ظاهراً في الدين وينزلون الأئمّة عليهم السَّلام عن مراتبهم، ويزعمون أنّهم كانوا لا يعرفون كثيراً من الأحكام الدينية حتى ينكت في قلوبهم، ورأينا في أُولئك من يقول إنّهم ملتجئون في حكم الشريعة إلى الرأي والظنون، ويدّعون مع ذلك أنّهم من العلماء، وهذا هو التقصير الذي لا شبهة فيه. وعلى هذا فلا بعد أن يكون تضعيفه من جانب ابن الوليد لأجل اختلافهما في مقامات الأئمّة، ولأجل ذلك لمّا نقل النجاشي قول ابن الوليد بأنّه يقول كان يضع الحديث، عقّبه بقوله: والله أعلم».

التعليق:

ما جاء في كتاب الغضائري من تضعيف الهمداني لا قيمة له ـ كما هو الحقّ ـ عند السيد الخوئي؛ لعدم صحّة نسبة كتاب الغضائري الموجود بين أيدينا اليوم إليه، لكنّ هذا لا يثبت وثاقة الهمداني؛ إذ لم يوثقه أحد، ومجرّد كونه شيخ شيخ الكليني لا يثبت وثاقته، كما هو واضح من مباني السيد الخوئي. بل إنّ محمد بن الحسن بن الوليد ضعّف الهمداني صريحاً بحسب نقل النجاشي، وضعّفه القميّون أيضاً، كما ضعّفه الشيخ الصدوق صريحاً واتهمه بالكذب، ولهذا لم يوثقه ولم يأخذ بأحاديثه السيد الخوئي، فانظر (معجم رجال الحديث ١٨: ٢٩٧ ـ ٢٩٩)، وعلى تقدير عدم الأخذ بتضعيفاتهم، فهذا لا يثبت وثاقته؛ لأنّه لا دليل على الوثاقة حتى لو لم يكن هناك دليل على الضعف، فالهمداني لا احتجاج بحديثه عند السيد الخوئي، وهو الصحيح.

ويقول العلامة الجليل...:

٣ ـ محمّد بن خالد الطيالسي، قد مرّت ترجمته عند دراسة السند الثالث للشيخ الطوسي، وقد دلّت القرائن على كونه مقبول الرواية.

التعليق:

قد مرّ عدم ثبوت وثاقته عند السيد الخوئي، كما هو الصحيح أيضاً.

ويقول العلامة الجليل...:

٤ ـ سيف بن عميرة، قد مرّ أنّه ثقة بلا إشكال.

٥ ـ صالح بن عقبة، مرّت ترجمته عند دراسة السند الأوّل للشيخ.

وأنّه إمامي ممدوح بالمدح العام.

٦ ـ علقمة بن محمد الحضرمي، تقدّمت ترجمته عند دراسة سند الشيخ إليه، وقلنا بأنّ القرائن تدلّ على وثاقته. إلى هنا تمّ السند الأوّل للشيخ ابن قولويه».

التعليق:

تقدّم أنّ سيف بن عميرة ثقة، وصالح بن عقبة ثقة عند السيد الخوئي ولم تثبت وثاقته عندي، وأمّا علقمة فقد بيّنا سابقاً عدم ثبوت وثاقته، لا عندي ولا عند السيد الخوئي. وعليه فقد تبيّن عدم صحّة هذا السند عند السيد الخوئي بوجود علقمة فيه أيضاً.

ويقول العلامة الجليل..:

«وإليك دراسة السند الثاني: دراسة السند الثاني لابن قولويه: روى محمّد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن مالك الجهني، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء من محرم حتّى يظلّ عنده باكياً. وهذا السند غنيّ عن الدراسة إلاّ ترجمة مالك الجهني».

التعليق:

على القارئ الكريم أن يلاحظ هنا كيف أنّ الرواة يتكرّرون في أكثر الأسانيد، وهذا يعني أنّها ليست أسانيد متعدّدة، بل يمكن إجراء طريقة اختزال الأسانيد عليها.

ويقول العلامة الجليل..:

«فإنّ محمد بن إسماعيل وصالح بن عقبة قد تقدّمت ترجمتهما،

وأمّا مالك الجهني فقد عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الباقر ومن أصحاب الصادق عليهما السَّلام، قائلاً: الكوفي مات في حياة أبي عبد الله عليه السلام. ويمكن استظهار وثاقته من الأُمور التالية:

الأوّل: ما رواه علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن يحيى الحلبي، عن مالك الجهني، قال: قال أبو جعفر: يا مالك أنتم شيعتنا ألا ترى أنّك تفرّط في أمرنا، إنّه لا يقدر على صفة الله فكما لا يقدر على صفة الله، كذلك لا يقدر على صفتنا، وكما لا يقدر على صفتنا كذلك لا يقدر على صفة المؤمن، إنّ المؤمن ليلقى المؤمن فيصافحه، فلا يزال الله ينظر إليهما والذّنوب تتحاتُّ عن وجوههما، كما يتحاتُّ الورق من الشّجر، حتّى يفترقا، فكيف يقدر على صفة من هو كذلك. والرواية وإن كانت تنتهي إلى نفس مالك الجهني لكنّ اعتناء علي بن إبراهيم القمي ومحمد بن عيسى بن عبيد ويونس بن عبدالرحمن بنقلها حاك عن اعتمادهم على روايته».

التعليق:

هذه الطرق في إثبات الوثاقة غير صحيحة عند المحقّقين من علماء الرجال، ومنهم السيد الخوئي، والذي اتبعها هو كلّ من الوحيد البهباني والشيخ النمازي، ويعدّان من المفرطين في منهج التوثيق بين علماء الإمامية، فهي لو تمّت تثبت صحّة كلّ روايات الشيعة، إذ من البعيد أن يروي الصدوق أو الكليني أو الطوسي أو المفيد رواية ولا يكون واثقاً بها، ومعتمداً على رجالها، وبهذه الطريقة لا قيمة لكلّ أبحاثنا في الرجال والحديث ونقد الحديث والتحقيقات السندية والمتنيّة، ولا أدري كيف يتبنّى العلامة الجليل.. مبنى الأصوليين وهو من علماء الرجال المعاصرين والحال أنّه يسلك هنا طريقة

إفراطيّي الإخباريين. من هنا لم يوثق السيد الخوئي مالك بن أعين الجهني، وهو الصحيح، فانظر: (معجم رجال الحديث ١٥: ١٦٤).

ويقول العلامة الجليل..:

الثاني: روى الكليني، عن عيسى الحلبي، عن ابن مسكان، عن مالك الجهني قال: قال لي أبو عبد اللهّ: يا مالك أما ترضون أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتكفّوا وتدخلوا الجنّة؟ يا مالك إنّه ليس من قوم ائتموا بإمام في الدنيا إلاّ جاء يوم القيامة يلعنهم ويلعنونه إلاّ أنتم ومن كان على مثل حالكم، يا مالك إنّ الميت واللهّ منكم على هذا الأمر لشهيد بمنزلة الضارب بسيفه في سبيل اللهّ.

التعليق:

هذه الرواية ترجع إلى مالك الجهني نفسه، فلا يمكن إثبات وثاقته بروايةٍ هو يرويها لنا، كما يذهب إلى ذلك العلماء بمن فيهم السيد الخوئي، إلا على الطريقة المتقدّمة التي مارسها العلامة الجليل.. وقد تقدّم التعليق عليها.

ويقول العلامة الجليل..:

الثالث: إنّ مدحه للإمام الباقر عليه السلام يعرب عن وقوفه بمقام الإمام، وأنّه كان يجاهر بالولاء يوم كان الجهر به محظوراً، وقال: إذا طلب الناس علم القرآن كانت قريش عليه عيالاً. وإن قيل ابن ابن بنت النبي نلت بذاك فروعاً طوالاً. نجوم تهلّل للمدلجين جبال تورّث علماً جبالاً.

التعليق:

كلّ ما يثبته هذا هو تشيّع الرجل، وقد صرّح العلماء ـ بمن فيهم

السيد الخوئي ـ بأنّ تشيّع شخص ليس دليل وثاقته، فأيّ برهان يثبت أنّ كل شيعي ثقة إلا ما خرج بالدليل؟! كيف وبعض الغلاة الكذابين كانوا محبين بإفراطٍ لأهل البيت ويجاهرون بذلك.

ويقول العلامة الجليل..:

الخاتمة: هذه إشارة سريعة إلى أسانيد زيارة عاشوراء، وقد عرفت صحّة بعضها ومقبوليّة البعض الآخر، والمجموع يشدّ بعضه بعضاً ويورث العلم أو الاطمئنان المتاخم للعلم بصدور الرواية عن المعصوم عليه السلام، مضافاً إلى أمرين:

١ ـ اتفاق العصابة ومواظبتهم على قراءتها عبر القرون، وهي إحدى القرائن على صدور الرواية.

٢ ـ إنّ الإمعان في مضمون الزيارة يعرب عن أنّه صدر من قلب ملؤه الشجون والأحزان، لا يسكن دمعه ولوعه إلاّ بأخذ الثأر، وهو يتفق بذلك مع مضامين سائر الروايات الواردة في الأدعية والزيارات. إلى هنا تمّ ما أردنا بيانه في هذه الرسالة من دراسة سند زيارة الحسين عليه السلام في عاشوراء.

التعليق:

مواظبة الشيعة على هذه الزيارة لا يحرز وجوده في عصر النصّ ليكون سيرةً متشرّعية، وإلا فلنقم الأدلّة على ذلك وكيف عرفناه. ووجوده بعد عصر النص ربما يكون ناشئاً من توجيهات العلماء. وتوجيهات العلماء لا تثبت اعتقادهم بصدورها؛ لأنّ هذه الروايات واردة في الأمور المستحبّة، ومن الممكن أن يكونوا أخذوا بها تساهلاً من باب قاعدة التسامح في أدلّة السنن، وهذا لا يثبت اعتقادهم

بصدور الحديث، والسيد الخوئي لا يقول بقاعدة التسامح في أدلّة السنن (الخوئي، مصباح الأصول ٢: ٣٢٠؛ والتنقيح، كتاب الطهارة ١: ٥٢٦، و٤: ٨، و٥: ٤١٧، و٩: ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٢٤، ٣٣١، ٣٣٩، ٣٥٣ و...)، كما لا يقول السيد الخوئي بجبر الخبر الضعيف بعمل المشهور (الخوئي، التنقيح، الطهارة ١: ٢٨٦، ٤٥٣، و٢: ٤٧٧، و٦: ١٣٧، و٧: ٢٧٤، ٢٨٣، و٨: ٦٢، ١٨١، و٩: ٢٩٤ ـ ٢٩٥، ٣٧٦، ومستند العروة، كتاب الصلاة ٢: ١٦٠، و٤: ٢٣، و٥، ق١: ١١٣، و٥، ق٢: ٢٥٩، ٤٥٣، و٧: ١٠١؛ والمعتمد في شرح المناسك ٣: ٣٢٣، و٤: ٢٢٣؛ ومباني العروة الوثقى، كتاب النكاح ٢: ١٣٢؛ وكتاب الخمس: ١٨؛ ومصباح الأصول ٢: ١٤٣، ١٧٠، ٢٤٠ ـ ٢٤١، و٣: ٤٠٩، ومباني تكملة المنهاج ١: ١٠٨؛ ومصباح الفقاهة ١: ٦، ٧، ٥١، ١٠١، ١٤٠، و٥: ١٤٣، ٢٣٨، ٢٣٩، و٧: ٣٢، ٣٩، ٥٠، ٦٠٠ و...).

أضف إلى ذلك أنّ صدور هذه الزيارة من قلب متألّم متفجّع حزين أمر واضح بالنسبة لي، لكن ألا يمكن وجود هذا القلب عند شيعي صادق مخلص أحبّ أن يروّج لفكر أهل البيت وحبّ أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين، فابتكر هذه الرواية واخترعها بداعي خدمة أهل البيت، فهل مجرّد كون الرواية صدرت عن قلب متفجّع دليل صدقها؟! وهل هذه المعايير في قبول الحديث يرضى بها علماء الحديث والرجال؟! ونحن نعرف ـ كما بحثوا مفصّلاً في علم الدراية، وأشار إلى ذلك الشهيد الثاني والحسين بن عبد الصمد الكركي وغيرهم ـ أنّ الكثير من الوضّاعين كانوا من الصلحاء والأتقياء، وقد وضعوا ذلك احتساباً وتقرّباً إلى الله تعالى، لدفع الناس نحو الخير، وكانوا يقولون بأنّنا نضع الحديث للنبي وليس

عـلى النبـي، فـلا يشـملنا حديـث: «مـن كـذب عـليّ متعمّـداً..»؛ لأننا نكـذب لـه (صـلى الله عليـه وعـلى آلـه وسـلّم) ولا نكـذب عليه.

يضـاف إلى ذلـك أنّ اتفـاق حديـث مـع مضامـين أحاديـث أخـرى صحيحـة السـند يمكـن أن يجعلـه معتـبراً ـ مضمونـاً ـ في القاسـم المشـترك، لكـنّ هـذا لا يثبـت صـدوره بحيث يمكـن الاعتـماد عليه في الأمـور التـي يذكرهـا ولا تكـون في سـائر الروايـات. فالإنصـاف أنّنـا بحاجـة إلى طـرق أخـرى لإثبـات السـند والصـدور.

هـذا، ولا أدّعـي ضعـف سـند هـذه الزيـارة؛ لأنّنـي لسـت بصـدد بحثهـا بشـكل موسّـع مـن جميـع المصـادر، لكنّنـي أحببـت أن أجيبكم عـن موقـف السـيد الخوئي من سـند هذه الزيارة (المشـار إليه في رسـالة هـذا الشـيخ الجليـل...) وفقـاً لأصولـه الأصوليـة والرجاليّـة، وأنّ طريقـة العلامـة الجليـل.. ليسـت صحيحـة وفقـاً لما هـو الحقّ ولما يراه السـيد الخوئـي أيضـاً. والبحـث التفصيلي في محلّـه، ولعلّـه توجد طرق أخـرى غـير هذه الطـرق التي ذكرها الشـيخ الجليـل ترقى بهـذه الزيارة إلى مسـتوى الصحّة.

ونتيجة البحث:

١. إن السـند الأوّل الـذي ذكـره الشـيخ الطـوسي ضعيـف، لا أقـلّ بعقبـة بـن سـمعان الـذي هو مجهـول، حتـى عنـد السـيد الخوئي، فانظـر: (معجـم رجـال الحديـث ١٢: ١٧٢).

٢. والسـند الثـاني ضعيف، بعدم ثبـوت وثاقة علقمـة الحضرمي حتى عنـد السـيد الخوئـي الـذي وثقـه بنـاء عـلى كتـاب كامـل الزيـارة الـذي عـدل عنه آخر عمـره، فانظـر: (معجم رجـال الحديث ١٢:

٢٠٠ ـ ٢٠١).

٣. والسند الثالث ضعيف بمحمّد بن خالد الطيالسي الذي لم تثبت وثاقته حتى عند السيد الخوئي، إلا بناء على كتاب كامل الزيارة الذي عدل عنه آخر عمره، فانظر: (معجم رجال الحديث ١٧: ٧٥). هذا فضلاً عن وجود محمد بن أحمد بن يحيى الذي لم يوثقه السيد الخوئي أساساً كما أشرنا آنفاً.

٤. والسند الرابع ضعيف، بكلّ من محمد بن موسى الهمداني، الذي هو رجل ضعيف عند القميين ومحمد بن الحسن بن الوليد وعند الشيخ الصدوق وعند السيد الخوئي، فانظر: (معجم رجال الحديث ١٨: ٢٩٧ ـ ٢٩٩)، وكذلك هذا السند ضعيف بمحمّد بن خالد الطيالسي، وبعلقمة بن محمّد الحضرمي، اللذين تقدّما، وأنهما لم يوثقا حتى عند السيد الخوئي.

٥. وأما السند الخامس، فهو ضعيف على الأقلّ بعدم ثبوت وثاقة مالك الجهني حتى عند السيد الخوئي، فانظر: (معجم رجال الحديث ١٥: ١٦٤).

هذا، والملاحظ تكرّر أسماء بعض الرواة في أكثر من سند من هذه الأسانيد الخمسة، بما يرجعها ـ بعد التأمّل ـ إلى ثلاثة أو أقلّ.

وختام الكلام أنّ السيد الخوئي سئل عن زيارة عاشوراء وهذا هو النصّ: «س: ما هو رأيكم الشريف بسند ومتن زيارة عاشوراء الواردة في كتاب (مصباح المتهجّد) للشيخ الطوسي قدس سره؟ وهل تجزئ قراءتها عن الزيارة المذكورة في كتاب كامل الزيارات لابن قولويه قدس سره؟ فقد تكلّم في ذلك أناس لم يبلغوا رتبة

الاجتهاد؟ ج: يجزئك أن تقرأ من أيّ من النسختين مورد مخالفتهما عن الأخرى، برجاء أن يكون هو الواقع الوارد» (منية السائل: ٢٢٦)، ومعنى قوله (رجاء)، أنّه لم يثبت عنده أيّ من أسانيد هذين الكتابين والتي حاول العلامة الجليل.. إثبات صحّتها، وإلا فلا معنى للإتيان بالزيارة في مورد الاختلاف بقصد الرجاء، بل لقال بأنّ ما ورد في كتاب كذا وكذا يؤتى به ولو بقصد الورود والاستحباب، وأما الثاني فيقصد منه الرجاء، وهذا يكشف عن عدم صحّة أيّ من الأسانيد المتقدّمة عند السيد الخوئي كما بيّناها في جواب سؤالكم أعلاه، والعلم عند الله.

وأحبّ أخيراً أن أشير إلى أنّ السيد الخوئي ليس معصوماً، ورأيه ليس هو نهاية الآراء، لهذا ليس من الحسن أن نأخذ رأيه ونتعاطى معه على أساس أنّ الأمور حسمت. لكن في المقابل ـ ومع وجود عمالقة مثل السيد الخوئي لهم مثل هذه الأنظار ـ لا يحسن ببعضنا أيضاً أن يتعاطى مع ثبوت هذه الروايات وأمثالها بمنطق الأمور الواضحة المسلّمة القطعية التي يُتهم من يناقش فيها بدينه ومذهبه وعقيدته وأخلاقه، فليتق الطرفان الله تعالى فيما يصدر منهما، وليقبلا بتعدّد الآراء في المسألة، وليتريّثا قبل نسبة شيء للنبي وأهل بيته وأصحابه أو نفيه عنهم؛ لأنّنا سنحاسب أمام الله تعالى جميعاً ونسأل عمّا قلنا وفعلنا، وكما سوف نسأل عن نسبة كلام للمعصوم، كذا سنسأل عن نفيه عنه والعكس كذلك، فلنقرّ بالتعدّد، وليعمل كلّ شخص منّا على المنهج العلمي الذي اختاره، لا أن نعتمد في مثل هذه المواضيع منهجاً ركيكاً قائماً على الرغبة في التوثيق أو التضعيف، وفي سائر الموضوعات نعود إلى منهجنا المتين الذي نتبنّاه في بحوثنا الفقهية وغيرها!! والله وحده من وراء القصد.

هل صحّ حديث:
(يعيّر خادم الحسين كما تعيّر الزانية)؟[1]

◈ **السؤال: هل هذا الحديث صحيح ومسند: يعيّر خادم الحسين كما تعيّر الزانية؟**

◈ الجواب: لم أعثر على حديث بهذه الصيغة، فضلاً عن أن يكون له سند. بل إنّ عنوان خادم الحسين أو خادم المنبر، أو نحو ذلك، إنّما هو من العناوين الحادثة التي يبدو أنّه ليس لها وجود في الكتاب والسنّة، وإنّما هي مستوحاة من النصوص استيحاءً أو من خلال طبيعة العمل.

كما أنّ عنوان (خادم الإمام) وإن كان له وجود في الكتب القديمة الرجالية والحديثية، إلا أنّ المراد منه فيها هو أولئك الذين كانوا يخدمون في بيوت أهل البيت أو كانوا غلماناً عندهم، مثل سالم العطار، والسرّاج، وياسر الخادم، وقنبر، ومحمد بن عبد الله الخراساني، ومحمد بن زياد الرزامي، وغيرهم.

والوارد في إحدى الروايات ذمّ الذين يعيّرون الناس بزيارة قبور أهل البيت كما تعيّر الزانية. وعلى تقدير وجود الحديث الذي تسألون عنه فهو لا يدلّ بالضرورة على ذمّ خدّام الحسين، بل قد يكون المعنى بالعكس وهو أنّه في آخر الزمان يحاربهم الناس ويذمّونهم ويعيّرونهم ظلماً وعدواناً، تماماً كما جاء في رواية تعيير زوّار قبور أهل البيت عليهم السلام.

(١) إضاءات ٣: ١٢٤

مع حديث:
«إذا هلّ هلال المحرّم نشرت الملائكة قميص الحسين.. فنراه نحن وشيعتنا»[1]

◈ **السؤال: ما صحّة إسناد حديث الصادق عليه السلام: «إذا هلّ هلال المحرّم نشرت الملائكة قميص الحسين مخضّباً بالدماء، فنراه نحن وشيعتنا بالبصيرة لا بالبصر»؟**

◈ الجواب: هذا النص بهذه الصيغة لم أعثر عليه إطلاقاً، ولعلّ عندي قصوراً أو تقصيراً في البحث والتقصّي. نعم، ورد بمضمونه في كتاب (المجالس العاشورائيّة: ١٢) للشيخ المعاصر عبد الله آل درويش، نقلاً عن كتاب (ثمرات الأعواد: ٣٦ ـ ٣٧)، للسيد علي بن الحسين الهاشمي النجفي، وهو ـ أي النجفي ـ قد توفّي عام ١٩٧٥م، وتُرجم له في (أعيان الشيعة ٣: ١٤٨)، ولم أتمكّن من العثور على مصدر قديم لهذا الحديث المشار إليه.

وعليه فهذا الحديث ـ إذا صحّ بحثي وتتبّعي ـ لا يرجع لأكثر من نصف قرن تقريباً، ولعلّ للسيد علي الهاشمي مصدراً قديماً أخذ الحديث منه ولم يصلنا أو لم نعثر عليه، لكن على أيّ حال لو اعتبرناه حديثاً فلم نعثر له على مصدر أو سند، والله العالم.

وعلى تقدير صحّة الحديث، فلعلّ المراد منه معنى مجازي، أي إنّ قضية الحسين يلهمها الله محبّيه فينتفضون من بداية محرّم الحرام لتذكّرها وإحيائها في النفوس والعقول، وأخذ العبر منها، وعيش البكاء والحزن عليها، تعبيراً عن مبدأ المودّة لآل الرسول صلى الله عليه وآله.

(١) إضاءات ٣:١٥٦

معنى «الموت أولى من ركوب العار، والعار أهون من دخول النار»[1]

◈ **السؤال: القول المنسوب إلى الإمام الحسين عليه السلام: «الموت أولى من ركوب العار، والعار أهون من دخول النار» إن كان صحيحاً، ما معناه؟**

◈ الجواب: المراد هو أنه يفضّل الموت على كلّ ما يجلب العار، وهو كلّ شيء يلزم أن يعيّبه الآخرون به أو يسبّوه ويجلب له الدنيّة والذلّة والمهانة. كما يفضّل المهانة والدنيّة والعار وكلام الناس بنقصٍ فيه على دخول النار، فالضرر الدنيوي أولى من الضرر الأخروي وأهون.

يريد بذلك أن يقول بأنّ الإنسان إذا وقف أمام خيارين: خيار العار والمذلّة والمهانة والضعة والفرار والاستسلام، وخيار الموت عزيزاً، فإنّه يفضّل خيار العزّة والكرامة على خيار العار والنقص، تماماً كالذي يدافع عن عِرضه فيموت ولا يفرّ مسلّماً عرضَه للمعتدين، فإنّه يكون قد فضّل الموت على العار والشنار، فالحسين يريد هنا أن يقول بأنّ ما يقوم به ولو أدّى إلى موته، لكنّه خيرٌ له من أن يعيش حياةً مهينة ومذلّة تعيبه وتنقص من قدره وشأنه، وخيرٌ له من أن يفرّ أو يستسلم.

ثم يكمل الإمامُ كلامَه للذين قد يقولون له بأنّك بموتك تضع نفسك وعيالك ونساءك في العار والعيب والهزيمة فتموت شرّ موتة، فيقول لهم بأنّ العار عنده خيرٌ من دخول النار، فلا يريد أن يدخل النار لكي لا يعيّب بعيب دنيوي، بل يفضّل العيب الدنيوي الذي

(١) إضاءات ٤: ١٣٣

قد يلحق به على العيب الأخروي. وهو معنى قوله في موضع آخر ـ على ما جاء في الرواية ـ بأنّه سيمضي إلى الموت ولا يرى فيه عيباً، بل العيب والذلّ أن تعيش في مذلّة ومهانة مرغماً على ما تفعل. وهو أيضاً معنى قوله في موضع ثالث: بأنّه لا يرى الموت إلا سعادة ولا يرى الحياة مع الظالمين إلا برماً، أي ضجراً وملالاً، فالبقاء مع الظالمين ـ ولو في سلامة ـ موجبٌ للتبرّم والضجر وانعدام لذّة العيش، أمّا الموت في وجههم فهو اللذّة والسعادة عنده. فالموت عند الحسين أفضل من العار الذي هو ـ أي العار ـ أفضل من النار. والحسين بهذا كلّه كأنّه يعرّض أيضاً بالذين تركوه وخذلوه ووقفوا ضدّه، والله العالم.

تعليق لغوي على نقد متني
لنصوص نطح السيدة زينب رأسها[1]

◈ **السؤال: جاء في بعض الروايات أنّ السيدة زينب ﷺ نطحت رأسها بعمود مقدّم محمل الناقة، وفي بعضها أنّ الإمام زين العابدين نطح رأسه بالجدار، مع العلم أنّ كلمة (نطح) في اللغة كلمة تُستخدم للحيوان. أستغفر الله. فكيف صارت تستعمل في حقّ أقدس أهل الأرض آل محمد ﷺ ؟!**

◈ الجواب: سبق أن تحدّثنا في دروس التفسير القرآني عن ما اعتبرناه قاعدةً في الفهم اللغوي والتفسيري، وهي قاعدة أن لا يغترّ الإنسان بما ينسبق إلى ذهنه من الكلمات، لاسيما لو كان هو إنساناً عربيّاً، بل عليه دوماً أن يرجع إلى المصادر اللغوية والاستخدامات العربية القديمة للكلمة.

ومن تطبيقات هذه القاعدة كلمة (نطح)، فهي قد تنصرف عندنا اليوم عربيّاً إلى الحيوانات والكبش والماعز والثور ونحو ذلك، وهي في جذرها اللغوي تستعمل بهذا المعنى أيضاً، لكنّها لا تقف في لغة العرب عند هذا الحدّ، بل يستخدمها العرب في مطلق المواجهة الشديدة المباشرة (وجهاً لوجه)، يقول الفراهيدي: (النَّطْح للكباش ونحوها، وتَنَاطَحَت الأمواج والسيول والرجال في الحروب. والنَّطِيح: ما يأتيك من أمامك من الظباء والطير وما يزجر..) (العين ٣: ١٧٢؛ وانظر أيضاً: المحيط في اللغة ٣: ٢٦). ومنه قيل: نواطح الدهر أي شدائده التي يواجهها الإنسان، ويقولون: أصابه ناطحٌ أي أمر شديد (انظر: الصحاح ١: ٤١٢؛ ومعجم مقاييس اللغة ٥: ٤٤٢؛ ومفردات القرآن: ٨١١).

(١) إضاءات ٥: ٥٣٠

وهـذا يعنـي أنّ هـذه الكلمـة قـد بـدأت عنـد العـرب في منطلقهـا مـع تناطـح الكبـاش ونحوهـا، ولكـنّ العـرب عـلى طريقتهـم ـ وهـي طريقـة أهـل اللغـة عمومـاً ـ يقومـون بتوسـعة المفهـوم ليطبّقـوه عـلى مطلـق المواجهـة الشـديدة المباشرة بـين شـيئين، دون أن يحمـل التطبيق الجديـد كنايـةً سـلبيّة في تشـبيهه بالحيـوان، ولهـذا نحـن نقـول اليـوم للأبنيـة الشـاهقة الارتفـاع: (ناطحـات السـحاب)، دون أن يـأتي إلى ذهننـا مفهـوم الكبـش والماعـز والثـور؛ لأنّنـا أخذنـا من النطـح جذره المعنائـي، وليـس دلالتـه التطبيقيّـة عـلى الحيـوان.

ومثـل هـذا كثـير للغايـة في لغـة العـرب؛ فالعـرب قـد أخـذوا أكثر مفرداتهـم مـن طبيعـة حياتهـم المحيطـة بهـم، ولهـذا تجـد أنّ الكثـير من الكلـمات أساسـها عندهـم زراعي نبـاتيّ حيـواني، ثم من ذلك اشـتقّت لتأخـذ لهـا معنى أوسـع في الحيـاة، مثلاً كلمة فسـق، اسـتعملت بمعنى خـروج نـواة التمـرة منهـا، لكـنّ العـرب وسّـعتها لمطلـق الخـروج عن الحالـة السـويّة الأصليّـة وهكذا.

مـن هنـا، فكلمـة النطـح في هـذه الروايـات التاريخيـة لا تسـتبطن بالـضرورة مدلـولاً سـلبيّاً حتـى ننفـي هـذه النصـوص التاريخيـة مـن خلالهـا، وإنّـما ننفيهـا بوسـائل نقديّـة أخـرى، وقـد سـبق أن أجبنا عن روايـة نطـح الإمـام زيـن العابدين رأسـه بالجدار وقلنـا بأنّها غـير ثابتة، فليراجـع (انظـر: إضـاءات في الفكـر والديـن والاجتـماع ٥: ٢٦٩ ـ ٢٧٠، السـؤال رقـم: ٧٤١).

نقل مواقف لغير المسلمين حول الإسلام
دون توثيق بما يثير سخرية الآخرين!![1]

◈ **السؤال: تعرض القنوات التابعة لأهل البيت والمواقع الشيعيّة أقوالاً وشهادات منسوبة لعلماء وفلاسفة ومستشرقين وزعماء كجورج برنارد شو، وراسل، وغاندي، وماو تسي، والعشرات غيرهم.. يشيدون برسول الله والإمام علي والإمام الحسين، ولكن من دون الإشارة إلى مصدر هذه الأقوال. ويستغلّ هذه النقطة الملحدون وأعداء أهل البيت، وينسبون لنا الكذب وعدم التحرّي عن مصداقية هذه الأقوال، فما هو تعليقكم؟**

◈ الجواب:

١. لقد سبق لي أن تحدّثت عن هذا الموضوع سابقاً (إضاءات في الفكر والدين والاجتماع ٢: ٥٧٩ ـ ٥٨٠)، وهناك قلت في مقترحٍ متواضع بأنّني كنت أحبّ أن أقوم بهذا المقترح لكنّ وقتي لا يسعفني، وربما فعله أحدٌ من قبل ولا علم لي. لهذا اقترحت أن يقوم بعضٌ من طلاب العلوم الدينية أو الباحثين والمهتمّين والمتابعين، باستقراء كلّ المواقف التي قيلت في الإمام الحسين عليه السلام وفي غيره أيضاً من قبل غير المسلمين، كالمسيحيين واليهود وأهل الديانات الوضعية كالبوذية وغيرها. وكذلك ما قاله منهم الزعماء والسياسيون والإعلاميّون والمفكّرون والمستشرقون والفلاسفة الكبار، ويخرج ذلك على شكل كتاب أو مقالة أو موسوعة، لكن موثقة، بحيث تبيّن لنا مصدر المعلومات الموثوق، وهل حقّاً ما ينقل عن غاندي وشكسبير وتشرشل و.. من مقولات ومواقف رائعة حول الإمام الحسين

(١) إضاءات ٣: ٥٤٢

أم لا؟ ومن أين عرفنا؟ وما هي مصدر معلوماتنا في هذا السياق؟ ومن أوّل من نقل لنا المعلومات الأصليّة الخام في هذا الصدد؟ إنّ تدوين كتاب أو دراسة جامعة مستقرئة في هذا المجال يمكن أن يكون مفيداً للمنبر والخطابة الحسينية وللفكر والثقافة الدينية عموماً، وحامياً للمجالس الحسينية وللإعلام الديني من التشكيك والنقد إن شاء الله.

لكنّني لم أجد حتى الآن من قام بهذا المشروع، في وقت يسترسل فيه الكثيرون في نسبة أقوال إلى علماء ومفكّرين دون توثيق، وهناك أشياء تنقل تبدو للوهلة الأولى غير منطقيّة وغير قابلة للتصديق في صدورها عن هؤلاء، ولهذا من الضروري توثيق المعلومات التي يتمّ توفيرها للخطباء أو للإعلام الديني عموماً، وعدم ترك المجال مفتوحاً بطريقة فوضوية في هذا السياق، حتى لا يُصبح الخطاب الديني موضع سخرية أو استهزاء.

٢. وفي شيءٍ يشبه هذا الوضع، ما ينقله الكثير من أهل الدين والعلماء والخطباء والإعلام الديني عن شهادات علميّة تتعلّق بموضوعٍ معيّن أو بقضيّة تشريعيّة، مثل قضايا تتعلّق بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم أو ببعض الآثار السلبية أو الإيجابية لبعض المحرّمات أو بعض الواجبات الدينية. وتُسنَد هذه المعلومات ـ دون توثيق ـ إلى العلم الحديث، ولا تجد توثيقاً في هذا الصدد إلا بنسبة الواحد في المائة، الأمر الذي تسبّب ـ وقد رأينا ذلك ـ بسخرية بعض الأطبّاء والفيزيائيين وأهل العلوم الطبيعية الحديثة مما يقوله بعض علماء الدين على المنابر أو ممّا

تقولـه بعـض الفضائيـات.

ومـن الـضروري وضـع حدّ لهـذه الكلـمات غـير الموثّقـة علميّاً، ومـن الـضروري أيضـاً نـشر ثقافـة الإحالة عـلى المصـادر المعتبرة، وعـدم توهّم جـواز الكـذب أو التضليـل بحجّة أنّني أقـوم بخدمة الديـن أو القـرآن الكريـم، فدينٌ سـماوي أو كتاب إلهـي لا يُخدم إلا بالكـذب حـريٌّ بـه أن لا يتـشرّف بالانتسـاب إلى السـماء، فلنرفـع من شـأن القـرآن والمعصومـين بالصدق والدقّـة والتـأنّي والتوثيق، وباعتـماد الـروح العلميّـة والأمانة الفكريـة والثقافية، وهـذه مهمّة بعـض المراكـز البحثيـة التـي تهتـمّ بتأمين الخطبـاء وتغذيـة الإعلام الدينـي بالمـوادّ الفكريـة والثقافيـة والتعبويـة، وهـو أن توفّـر البنية التحتيـة والمـوادّ الموثوقـة لهـذا الإعـلام، بـدل أن يـترك الحبـل على الغارب.

وينبغـي للنـاس دومـاً ـ عندمـا تجـد شـيئاً مـن هـذا القبيـل ـ أن تسـأل، وتُشـعر الخطبـاء والكتّاب ورجـال الإعلام الدينـي بأنّ من يلقـى عليهـم الكلام ليسـوا حمقـى ولا بالسـذّج، بل بعضهـم أكثر علـماً مـن المُلقي نفسـه، وبهذه الطريقـة نفرض على الإعـلام الديني التقيّـد الأخلاقـي، ليكـون منضبطـاً في أدائه إن شـاء الله تعالى.

٣. بـل لقـد بتنا نجـد في الفـترة الأخيرة تـداول العديد مـن الأحاديث المنسـوبة إلى النبـي وأهـل بيتـه، دون أن يكـون لهـا وجـود في أيّ كتـاب عـلى الإطـلاق، لا عنـد السـنّة ولا الشـيعة ولا غيرهما، ولا عنـد المتقدّمـين ولا المتأخّريـن ولا المعاصريـن، وكأنّنـا نعيـش في عـصر الكـذب في الحديث، ربـما بحجّـة أنّ في ذلك مصالـح الدين وتقويـة تديّـن النـاس، وهـذه ظاهـرة غريبة تتـداول فيـما يبدو على

وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة، وينبغي أن يكون لنا الحذر من ذلك، والذبّ عن الدين ومحاربة الدسّ فيه، والوقوف بقوّة أمام مثل هذه الأمور التي لا نعرف من يقوم باختلاقها، وخلق ثقافة الإحالة على المصادر حيث يمكن، وبذلك نحمي أنفسنا وديننا من الدسّ والافتراء على الله وعلى النبيّ وأهل بيته وصحابته الكرام.

وقد كان بلغني من بعض الفضلاء الأصدقاء أنّ أحد فضلاء الحوزة العلميّة في مدينة قم يرصد هذه الأحاديث التي تنتشر عبر وسائل التواصل الاجتماعي ولا أصل لها على الإطلاق (وأشدّد على قيد الإطلاق)، ويقوم بتتبّعها والبحث فيها، نأمل له التوفيق ونشر هذا العمل والاستمرار فيه وتوعية الناس لمثل هذه الأمور، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

٤. وليست هذه الظاهرة ـ والحقّ يقال ـ بالتي تخصّ المناخ الديني، فقد رأينا الكثير من المعارضين للدين في عالمنا الإسلامي، ينسبون للعلم حقائق، ويقولون بأنّه اكتشفها وأنّها تواجه منطق الدين ومفاهيمه، ثم يبنون على ذلك نقد الفكر الديني أو التشكيك فيه، ويندر أن تجد بين هؤلاء ـ وقد تابعتُ شخصيّاً بعض نشاطاتهم على الشبكة العنكبوتية (الانترنت) أيضاً ـ من يوثق هذه المعلومات العلميّة، وغالباً ما نعتمد في هذا الصدد على التداول الشعبي أو على بعض الصحف غير المحكّمة ولا المعتمدة علميّاً، أو على كلمةٍ قيلت هنا أو هناك، والحريّ بنا التوثق من هذه الأمور قبل نسبتها للعلم، وقبل خلق مشكلة مفترضة أو مفتعلة بين العلم والدين في هذا الموضوع أو ذاك،

فالمشاكل القائمة في العالم الإسلامي وبين تياراته كافية، لا تحتاج للمزيد.

إنّ مناخنا كلّه يعاني ـ مع الأسف الشديد ـ من البُعد عن الموضوعية العلمية، وعن قواعد القراءة العلميّة للأمور، لهذا تجدنا فوضويين في تعاملنا مع الأشياء، وغير دقيقين في تعابيرنا، فنضع اليقين مكان الظنّ وبالعكس، ونضع المحتمل أمراً علمياً فيما هو أمر احتماليٌّ فقط، وكلّ ذلك يحتاج لخلق جيل يعتمد قواعد البحث العلمي بدقّة، ونرتفع بذلك من المستوى الخطابي التعبوي في معالجة الأمور إلى المستوى العلمي الرصين، وفي ذلك نفع العلم والدين والإنسان إن شاء الله تعالى.

معنى عزاء الله في حديث:
«يا أختاه تعزّي بعزاء الله»[1]

◈ **السؤال: ما معنى قول الإمام الحسين لأخته: «يا أُختاه، تعزّي بعزاء الله»؟**

◈ الجواب: التعزية تارةً نُرجعها للانتماء والنسبة، وأخرى للأمر بالصبر والتصبّر:

١. يمكن في تفسير هذه الكلمة أن يكون المراد التعزية من الاعتزاء، وهو في اللغة الانتماء والانتساب والادّعاء، فعزوته إلى أبيه أي نسبته إليه، ومنه العزو الذي يرد في كلمات المؤلّفين والباحثين والكتّاب، أي النسبة والإرجاع إلى مصدر أو مرجع، وقد كانت العرب تتعزّى بعزاء الجاهليّة، فتنتسب للقبائل والعشائر والجدود والآباء وتتفاخر بذلك أو تنادي بقبائلها عند المصائب فتقول: واقريشاه، مثلاً. ومنه الحديث النبوي: «من تعزّى بعزاء الجاهلية..»، الوارد في مقام ذمّ التعزية بعزاء الجاهلية.

فإذا أخذنا هذا المعنى اللغوي لجذر الكلمة يصبح معنى التعزّي بعزاء الله هو أن تُرجع الأمور إلى الله وتنسبها إليه، فتقول عند المصيبة: إنّا لله وإنّا إليه راجعون ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم، وهذا تقدير الله، وهذه إرادة الله و.. وأمثال هذه الكلمات، فالنصّ يأمر فيه الإمام الحسين أخته بأن يكون عزاؤها هو عزاء الله، فتنسب الأمور إلى الله تعالى وتُرجع الأقدار إليه، مما يعني الحثّ على الرضا والتسليم بقضاء الله سبحانه وتوجيه

(١) إضاءات ٤: ١٥١

الدعـاء إليه.

٢. وثمّـة تفسـير يذكره مثـل الشـيخ الطريحـي (١٠٨٥هـ)، يـرى فيه أنّ المـراد بعـزاء الله هـو تعزيـة الله إيّـاه، فأقام الاسـم مقـام المصدر (مجمـع البحريـن ١: ٢٩٠)، فـكأنّ المـراد الصـبر الآتي مـن الله سـبحانه لـه بتسـليته للعبـد ودعوتـه لـه للتصـبّر، ولهـذا تقـول في اللغـة: عزّيـتُ فلانـاً إذا أمرتُـه بالصـبر، فعـزاء الله هـو أمـره لنـا بالصـبر عنـد المصائـب. وقـد فسّره بعـضٌ بأنّ المـراد بعـزاء الله هو مـا بيّنـه الله في القرآن في حـقّ الذين تصيبهم مصيبـة وأنّهم يقولون: إنّـا لله وإنّـا إليـه راجعون.

وعليـه، فالحسـين يأمر أختـه بأن يكـون عزاؤها هو ذلـك العزاء الـذي أمرنـا بـه الله تعالى من التصـبّر وإرجـاع الأمور إليـه والرضا بقضائـه والتسـليم. وبهـذا يكـون المعنيـان المحتملان هنـا مرجعهما إلى أمر واحـد تقريباً.

(نطح) الإمام زين العابدين رأسه بالجدار على شهادة والده[1]

◈ **السؤال: ما رأيكم بالرواية المرويّة في كتاب دار السلام للمحدّث النوري في ج٢ ص ١٧٩ من ناحية السند والمتن؟ والرواية هي أنّ شخصاً جاء إلى الإمام السجّاد عليه السلام، وذكر له مصيبة الإمام الحسين عليه السلام. يقول الراوي: فرأيتُ الإمام قام على طوله ونطح الجدار بوجهه، فكسر أنفه وشجّ رأسه وسال دمُه على صدره، وخرّ مغشياً عليه من شدّة الحزن والبكاء. شيخنا الأستاذ، نقلت الرواية من أحد المواقع الالكترونيّة التي تروّج لهذا اللون من الروايات؛ لعدم وجود المصدر في يدي، لذلك أرجو بيانكم بشيء من التفصيل، ودمتم موفّقين.**

◈ الجواب:

بالنسبة إلى هذه الرواية:

١. في حدود إمكاناتي ومراجعاتي، وبعد التتبّع والتقصّي، لم أجد ذكراً لهذه الرواية في أيّ من كتب المسلمين بمذاهبهم، لا الكتب التاريخيّة ولا الكتب الحديثيّة، عدا في كتاب دار السلام للمحدّث النوري المتوفّى عام ١٣٢٠هـ، أي قبل ما يزيد قليلاً عن القرن فقط، وعنه نقل من تأخّر عنه مثل إسماعيل الأنصاري الزنجاني الخوئيني المعاصر، في (الموسوعة الكبرى ٢٢: ٤٨١).

٢. إنّ المحدّث النوري رحمه الله لم يتعهّد في هذا الكتاب برواية ما صحّ عنده بالضرورة من ناحية السند والمصدر ووسائل الإثبات الصدوري، فذكره لها لا يُعلم أنّه يرجع إلى اعتقاده

(١) إضاءات ٥: ٢٦٩

بهـا بالـضرورة وبنائـه عليهـا. كيـف ومـن المعـروف أنّ نصـوص ومرويّـات هـذا الكتـاب المخصّـص للرؤيـا والمنامـات وبعـض الحكايـات والمواعـظ الأخلاقيّـة الجميلـة، لم تسـتخدم في الإثبـات التاريخـي والحديثـي عنـد العلـماء والفقهـاء وغيرهـم.

٣. إنّ مطلـع هـذه القصّـة يصـدّره المحـدّث النـوري بالجملـة التالية: (في بعـض المجاميـع للمتأخّريـن مـا لفظـه: روي عـن عـلي بـن الحسـين عليه السلام..)، وهـذا يعنـي أنّ المحدّث النـوري يترجّح أنّـه لم يعثر عـلى هذه القصّـة في أيّ مصدرٍ مـن مصادر المتقدّمـين، لا المؤرّخين ولا المحدّثـين، وإلا لذكـر مصـدراً متقدّمـاً، فهـو خـيرٌ لـه من ذكر مجاميـع المتأخّرين.

٤. إنّ المصـدر المجهـول الذي نقـل عنه المحـدّث النوري هـذه القصّة لم يذكـر هـو الآخر مـن أين أتـى بهـا، وفقاً لنقـل المحـدّث النوري نفسـه، كما أنّـه لم يذكر أيّ سـند ولا حتّى جزء السـند لهـذه القصّة، بـل صدّرهـا بكلمـة (روي) التـي لا تفيـد اعتقاد صاحـب المصدر المتأخّر نفسـه بالصـدور أيضاً.

وعليـه ـ وبـصرف النظـر عـن الجـدل القائـم في مديات صحّـة المتن هنـا؛ انطلاقـاً مـن فكـرة الجـزع وغيرهـا ـ فهـذه القصّـة غـير ثابتة ولا معتـبرة، وهـي حـدث تاريخـي غـير مؤكّـد، والعلم عنـد الله.

ألا يمكن تفسير روايات المشي لزيارة الحسين بالذهاب، لا بخصوص المشي على القدمين؟[1]

◈ **السؤال: وردت بعض الأحاديث عن أهل البيت في استحباب زيارة الحسين عليه السلام ماشياً، ألا يمكن فهم هذه الأحاديث بمعنى السعي إليه والذهاب إلى زيارته، مثل قولنا: من مشى إلى المسجد، بمعنى من ذهب إليه، وعليه فيصعب إثبات استحباب المشي على الرجلين للزيارة؟**

◈ الجواب: يمكن فهم بعض الروايات بالمعنى الذي ذكرتموه، وهو تفسير تتحمّله هذه النصوص عرفاً، لكنّ بعض الروايات صريح في إرادة المشي على القدمين، بحيث يصعب افتراض مثل هذا التفسير فيه، بصرف النظر الآن عن مدى الصحّة السنديّة في هذه الرواية أو تلك.

ومن هذه الروايات خبر أبي سعيد القاضي، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في غرفةٍ له فسمعته يقول: «من أتى قبر الحسين ماشياً كتب الله له بكلّ خطوة وبكل قدم يرفعها ويضعها عتق رقبة من ولد إسماعيل» (تفصيل وسائل الشيعة ١٤: ٤٤١)، وكذلك خبر الحسن (حسين) بن ثوير بن أبي فاختة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا حسين، إنه من خرج من منزله يريد زيارة قبر الحسين بن علي عليهما السلام، إن كان ماشياً كتب له بكلّ خطوة حسنة، ومحى عنه سيئة، فإن كان راكباً كتب الله له بكلّ حافر حسنة، وحطّ بها عنه سيئة، حتى إذا صار في الحاير كتبه الله من المفلحين المنجحين، حتى إذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين، حتى إذا أراد الانصراف أتاه ملك، فقال له: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يقرؤك السلام، ويقول لك: استأنف العمل فقد

(١) إضاءات ١: ٣١٥

غفـر الله لـك ما مـضى» (الصدوق، ثـواب الأعمال: ٩١)، فإنّ حسـاب الحسـنات للـماشي وفقـاً لهـذه الرواية سـيكون أكـبر نظراً لصغـر خطوة الإنسـان قياسـاً بخطـوة الحيـوان، الأمـر الـذي يفهـم منـه التفضيـل وزيـادة الثـواب، وإن كان ظاهـر الروايـة الأوّليّ هـو أخذ المـشيء فرضاً مـن الفـروض لا الدعـوة إلى المشي.

هـذا وتفصيـل الحديـث في الموضـوع وتقديـم رؤيـة متكاملـة نتركه لمناسـبة أخرى.

ما وجه الربط بين العزاء الحسيني والثورة مع أنّ كل الروايات تطالب بالحزن وليس بأخذ العبر والدروس؟[1]

◈ **السؤال: يقول بعضهم: «لقد مشت الأمّة الشيعية خلف أئمّتها في إقامة مجالس العزاء وندب عزيز الزهراء، وطبّقت تعاليمهم بحذافيرها، ففي حوالي ٥٠٠ رواية نقلها الحرّ العاملي في الوسائل تدعو إلى البكاء على شهيد كربلاء، لا أثر لرواية واحدة تربط إقامة العزاء بمواجهة الظلمة تتمّةً لثواب العزاء. من هنا وعملاً بأمر المعصوم زاد شعر الرثاء عن غيره، وأضحت الأصالة للعزاء لدرجة أنّ زعم خلاف ذلك يعدّ مكابرة واجتهاد في مقابل التواتر، راجع سيرتنا وسنّتنا للأميني فإنّ فيه كفاية لطالب الحقيقة. كما أنّه قد دأبت الأمّة الشيعية دائماً على مواجهة الظلمة، مقتديةً بسيّد الشهداء، حتى أريقت دماؤها في كلّ أرض وأرّخت المسوغات ثوراتها، آخرها ثورة الإمام الخميني العظيم الذي صرّح عشرات المرّات بأنّ العزاء ومجالس البكاء هي التي حفظت الإسلام، ودعا إلى اللطم والصراخ وإنشاد شعر العزاء، ووقف بكلّ شدّة في وجه الذين أرادوا إفراغ المجالس الحسينيّة من العزاء، وتحويلها إلى ندوات، مما يدلّ على عدم وجود فاصل إلا وهمي بين العزاء والحماس». ما رأيكم بهذا الكلام؟**

◈ الجواب:

أولاً: يبدو لي ـ إذا صحّ النقل ولم يكن هناك خطأ فيه ـ أنّ بين أوّل الكلام وآخره بعض التهافت البدوي، ففي البداية هناك حديث عن أنّ أهل البيت لم يشيروا ولا مرّة واحدة إلى ضرورة الاستفادة من الثورة الحسينية للثورة والعِبرة، وأنّ المطلوب هو العَبرة والحزن

(١) إضاءات ١: ٣٤٠

فقط، وأنّ الشيعة عملت بهذا عبر التاريخ، أمّا في نهاية الكلام فهناك مدح للإمام الخميني ومن قبله بأنّهم اقتدوا بسيّد الشهداء وأقاموا الثورات، فإذا كان سيّد الشهداء ممّا يمكن أن يكون قدوةً في المجال الثوري ونبراساً، فلماذا لم تشر النصوص إلى ذلك، ولم تبيّن أنّه قدوة لكم لتثوروا، وإنّما اقتصرت على البكاء والحزن وأمثال ذلك؟!

يبدو لي أنّ النصّ المنقول لا يريد إنكار إمكانية الاستفادة من الحركة الحسينيّة في هذا العصر ثوريّاً وسياسيّاً مثلاً، بقدر ما هو رافض لتحويلها من جانب الحزن لتصبح مادّة بحثية فقط، كما يلوح من آخر الكلام، وهذا كلام لا أظنّ وجود من يناقش فيه إلا نادراً، فالإقرار بضرورة بقاء الجانب العاطفي كأنّه متفق عليه بين الجميع.

ثانياً: من قال بأنّه حتى نستفيد من ثورة الحسين لأجل الثورة على الظلم اليوم، يجب أن تكون عندنا رواية خاصّة، فإنّ الفقهاء الذين وظّفوا دليل الثورة الحسينية لجعله مستنداً لتجويز الثورات اعتبروا ذلك، استناداً إلى عمومات حجيّة فعل المعصوم، بل حتى لو لم تدلّ الثورة الحسينية على شرعيّة الثورة ضدّ الأنظمة، هناك أدلّة أخرى، والذين استدلّوا على شرعيّة الثورة لم يستدلّوا فقط بالثورة الحسينيّة، بل ذكروا ـ حسب تتبّعي ـ حوالي خمسة عشر دليلاً آخر.

وفي بحثي حول الثورة الحسينية توصلت إلى أنّ إمكانية الاستفادة من الثورة الحسينية في شرعنة الثورة الدمويّة محدودة جدّاً، فراجع كتابي (دراسات في الفقه الاسلامي المعاصر).

ثالثاً: إذا لم تنصّ الروايات الخمسمائة على الحث على الاعتبار من حركة الإمام الحسين، فيكفي العمومات الدالّة على التدبّر في سيرتهم وسنّتهم واعتبارهم مرجعاً للأمّة فيما يقولون وفيما يفعلون،

ويكـون ذلـك نوعـاً من إحيـاء أمرهم. ونصـوص البكاء عليهـم وإن لم تثبـت ذلـك لكنّهـا لا تنفيه حتـى تشـكّل معارضـاً لاسـتحضار العِبرة والاعتبـار في مجالـس العزاء الحسـينيّة.

رابعـاً: حبّـذا لـو يكتـب أحـدٌ في أنّـه متـى وظّـف فقهـاء الشـيعة الإماميـة ثـورة الحسـين في الحيـاة السياسـية قبـل القرن العشريـن وقبل الإمـام الخمينـي رضـوان الله عليـه، كـي تثبـت دعـوى الـكلام المتقدّم أعـلاه، فإنّنـي لا أنفيـه لكنّنـا بحاجة لدراسـته بطريقـة تاريخيـة موثقة.

خامسـاً: لم يقـل أحـدٌ أنّ تماميّة الثواب عـلى البكاء مشروطـةٌ بالثورة عـلى الظلـم أو بعقـد النـدوات واللقـاءات الفكريّـة حـول الإمـام الحسـين، فالبـكاء فيـه ثـوابٌ، والاسـتفادة مـن البـكاء لفعل خـيرٍ آخر ـ وهـو إصـلاح أمـور المسـلمين ومواجهـة الظلـم ـ فيـه ثـوابٌ إضافي، فـلا ربـط بـين الأمريـن. إنّـما الإشـكال يـأتي مـن أنـك تبكـي وتفعـل الخـير ببكائـك هـذا، وتسـتطيع أن تسـتفيد مـن هـذا الخـير في خـيرٍ آخـر، وهـو توظيـف البـكاء في التغيـير الاجتماعـي، ولكنّـك لا تفعل، فتطالَـب بالمزيـد مـن الخـير، لا أنـك تُـذَمّ على فعـل الخـير الأوّل، وهو البـكاء، فهـذا أشـبه بشـخص قادر عـلى أن يجني مـن فعلٍ واحد خمسـة دنانـير، ولكنـه يكتفـي بدينـار واحـد، مـع حاجتـه العظيمـة جـداً إلى الخمسـة معـاً؛ فـإنّ العقـلاء لا يذمّونه عـلى أخـذه الدينار، بـل يعاتبونه عـلى تفويـت الأربعـة الأخـرى التـي يحتـاج إليهـا أيضاً؛ للـصرف على الفقـراء وعـلى عياله. فإذا أمكنني أن أسـتفيد مـن مجالس العـزاء البكاءَ والثـورة والفكـر معـاً، فـإنّ اقتصـاري عـلى عنصر واحـد أمـرٌ مذموم؛ لأنّنـي أحتـاج للجميـع، نعـم أن يكـون العنـصر الآخـر عـلى حسـاب الأوّل المنصـوص عليـه فهـذا غير صحيح. ولعـلّ كلّ ما قلنـاه هو مراد صاحـب النـصّ المشـار إليـه أعلاه.

زيارة الإمام الحسين عليه السلام في الأربعين[1]

◈ **السؤال: يستدلّ البعض على صحّة رواية الأربعين وغيرها من الروايات الواردة في شأن زيارة الإمام الحسين عليه السلام في الأربعين، بالقول: إنّ هذه الروايات مشهورة بين الفقهاء ولو المتأخّرين منهم. ما مدى صحّة ذلك؟**

◈ الجواب:

لم أعثر ـ فيما يتعلّق بزيارة الأربعين ـ إلا على ما يلي:

الرواية الأولى: ما عن أبي محمّد العسكري عليه السلام، أنّه قال: «علامات المؤمن خمس: صلاة الخمسين، وزيارة الأربعين، والتختّم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم». وهذه الرواية وردت في كتاب مصباح المتهجّد للشيخ الطوسي ص٧٨٨، وكذلك في تهذيب الأحكام ج٦ ص٥٢، وهذا أقدم مصدر لها، وهي رواية مرسلة، بل لا سند لها أساساً؛ لأنّ الشيخ الطوسي قال: (رُوي)، وبين الشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ والامام العسكري عليه السلام المتوفى سنة ٢٥٥هـ، حوالي ٢٠٠ عام تقريباً، فلا تكون الرواية معتبرةً سنداً، ولم يقل أحدٌ من العلماء المحقّقين في الرجال والحديث بصحّة مراسيل الشيخ الطوسي.

هذا، وقد أورد المشهديّ (في كتاب المزار: ٣٥٢) هذه الرواية قائلاً: وبالإسناد عن أبي هاشم الجعفري، عن أبي الحسن العسكري.. والمشهدي نفسه لم تثبت وثاقته عند مثل السيد الخوئي، ولم نعرف إسناده إلى الجعفري.

الرواية الثانية: خبر صفوان الجمّال، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال:

(١) إضاءات ١: ٤١٣

قال لي مولاي الصادق عليه السلام: «في زيارة الأربعين تزور ارتفاع النهار، وتقول: السلام على وليّ الله وحبيبه.. ـ وذكر الزيارة، إلى أن قال ـ: وتصلّي ركعتين، وتدعو بما أحببت، وتنصرف» (راجع: تفصيل وسائل الشيعة ١٤: ٤٨٧ ـ ٤٧٩).

وهذه الرواية أوضح دلالةً من الأولى؛ لأنّ الأولى قد يتوقف في المقصود من الأربعين فيها، هل الأربعين مؤمن أو أمر آخر؟ (وإن ناقش بعضهم في هذا التوقّف من حيث إنّه لو قصد أربعين مؤمناً لكان ينبغي أن يقال: زيارة أربعين، وليس: زيارة الأربعين)، بينما الثانية ليست كذلك على الإطلاق.

ولكنّ الرواية الثانية ضعيفة السند أيضاً؛ لأنّ فيها محمد بن علي بن معمّر، وقد حاول بعضهم توثيقه بأنّه من مشايخ الكليني وهذا لا يثبت توثيقاً، أو بأنّه من مشايخ الإجازة، والأمر كذلك، أو بأنّ ابن النديم عدّه من جملة من تحدّث عنهم من فقهاء الشيعة ومشايخهم (فهرست ابن النديم: ٢٧٨)، وهذا ليس بدليل؛ لأنّ المدح بالعلم لا يفيد التوثيق، كيف وقد عدّ ابن النديم هناك سهل بن زياد الآدمي الذي ورد تضعيفه صريحاً في كلمات غير واحد من علماء الإماميّة القدامى، وابن النديم ليس بصدد التوثيق، بل هو بصدد ذكر من له تصنيف من الشيعة، وقد حقّقنا في محلّه أنّ مطلق المدح لا يوجب تصحيح السند، بل لابدّ أن يكون مدحهم للراوي من جهة وثاقته أو بما يرجع إلى تصحيح نقله، وإلا فلو قالوا: فلان متضلّع في اللغة، فهو وإن كان مدحاً لكنّه لا يوجب حجيّة نقله في مجال الحديث.

ولهذا خالفنا ما ذهب إليه السيد الخوئي في قوله بحجيّة الحديث

الحسن، وقلنا لابدّ من التفصيل فإن رجع المدح إلى جهة النقل صار الحديث معتبراً وإلا فلا، وقد نقل لي بعض حضّار درس الشيخ الوحيد الخراساني حفظه الله تعالى مؤخّراً أنّ سماحة الشيخ أشكل على السيد الخوئي بهذا الإشكال أيضاً في مسألة حجيّة الحديث الحسن.

ويضاف إلى مشكلة ابن معمّر وجود علي بن محمد بن مسعدة في السند وهو مهمل، وإن كان إهماله لا يضرّ بصحّة الرواية؛ لأنّ الحديث روي عنه وعن ابن فضال معاً. كما أنّ هناك في السند سعدان بن مسلم، وهو مجهول الحال، وقد وثقه السيد الخوئي بناء على ورود اسمه في كتابي كامل الزيارة وتفسير القمي ولم يثبت صحّة هذين القولين في التوثيق، كما أنّ القول بأنّ سعدان بن مسلم هو نفسه عبد الرحمن بن أبي نجران (واسمه عمرو بن مسلم) لم نعثر له على وجه يصحّحه، فلم يتعرّض لذلك أحد من علماء الرجال القدامى، كيف وقد ترجم الشيخ الطوسي والنجاشي لهما معاً بترجمتين فيبعد أن يكونا شخصاً واحداً، فنستنج من ذلك أنّ الرواية ضعيفة من حيث السند.

الرواية الثالثة: ما جاء في المصباح وغيره: «في يوم العشرين من صفر كان رجوع حرم الحسين عليه السلام من الشام إلى مدينة الرسول، وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبدالله الأنصاري إلى زيارة الحسين عليه السلام وهو أوّل من زاره من الناس» (الطوسي، مصباح المتهجّد: ٧٨٧؛ والمفيد، مسار الشيعة: ٤٦).

وهذه الرواية مرسلة، بل يمكن القول بأنها لا سند لها في كلا المصدرين. وبصرف النظر عن السند فإنّ الرواية تتكلّم عن

مصادفة مجيء حرم الإمام الحسين من الشام إلى المدينة المنوّرة مع وجود جابر الأنصاري عند الإمام الحسين في كربلاء، أمّا هل أنّ في ذلك سنّة شريفة شرعية واضحة ينبغي الاستمرار عليها إلى يوم القيامة بهذا التوقيت، فهذا ما يحتاج إلى دليل، إذ الرواية لا تتحدّث عن هذا الموضوع لا من قريب ولا من بعيد.

هذه هي النصوص التي عثرتُ عليها في هذا الموضوع، وقد وجدت بعض الكتّاب المعاصرين يستدلّ بأنّ فعل الإمام زين العابدين عليه السلام وجابر بن عبد الله الأنصاري هو فعلُ معصوم، ليستدلّ به على الاستحباب، إلا أنّ هذا الكلام فيه شيء من الغرابة؛ لأنّ المعصوم يدلّ فعله على الجواز لا الاستحباب كما حقّقه علماء الأصول، إلا إذا قامت قرينةٌ، من قبيل تكرّر الفعل، كما أنّه لو كان المعصوم في سفر مثلاً وصلّى، فإنّ ذلك لا يدلّ على استحباب الصلاة في تلك اللحظة، بل الاستحباب المطلق الذي لا مخصّص له، وهنا البحث في خصوصيّة الأربعين لا في استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام ولو في يوم الأربعين، فهذا ممّا لا شك فيه من الروايات المتواترة الكثيرة.. والكلام كلّه في ما لو كانت الروايات الواردة في التخصيص بالأربعين بعنوانه ثابتة، إلا أنّها غير صحيحة السند كما رأينا.

وأمّا ما ذكرتموه في سؤالكم، من أنّ ذلك يمكن الاستدلال عليه بالشهرة بين المتأخّرين، فإنّ الشهرة ـ بغضّ النظر عن النقاش في أصل حجيّتها ـ لا تشمل، كما هو المعروف بين المحقّقين، الشهرة القائمة بين خصوص المتأخّرين، حيث لا تكشف عن الموقف الشرعي.

وبناءً عليه، نستنتج أنّ زيارة الأربعين بعنوانها لا يمكن توثيقها عن طريق الروايات، التي لا تتجاوز على أبعد حدّ الثلاث روايات، الأولى ليس لها سند وهناك من يناقش في دلالتها، والثانية في سندها ثلاثة مجاهيل، والثالثة لا دلالة لها على الموضوع أساساً، ولا يحرز عمل الفقهاء بهذه الروايات من غير باب قاعدة التسامح حتى يكون عملهم جابراً لضعفها السندي، بناءً على قاعدة الجبر السندي.

نعم، يمكن الاستدلال بعمومات زيارة الإمام الحسين عليه السلام والواردة بالتواتر، فيزور المرء في العشرين من صفر بنيّة الفعل المستحب، دون أن يقصد تعنون الزيارة بعنوان خاصّ، اسمه زيارة الأربعين، اللهم إلا إذا بني على قاعدة التسامح فيؤخذ بالرواية الثانية، من حيث اشتراط جريان القاعدة بوجود دلالة، الأمر الذي يتوفّر بشكل أوضح نسبيّاً في الرواية الثانية، إلا أنّ قاعدة التسامح لم تثبت وفاقاً للسيّد الخوئي.

وأمّا القول ـ على ما نقل ـ بأنّ زيارة الأربعين مأخوذة من اليهود، فهذا ما لم يثبت بدليل، وحتى لو تشابهنا مع اليهود في ذلك فلا يكون هذا بنفسه دليلاً على أنّها تسرّبت منهم إلينا، بما يفضي إلى نوع من تشويه صورة زيارة الأربعين، ما لم يقم دليل على ذلك، إذ المشتركات بين الإسلام واليهودية والنصرانية ليست بالقليلة، فالقضيّة في تقديري تابعة للأدلّة، والأدلّة لم تنهض على استحبابها بعنوانها، لكنّها لا تمنع عن الزيارة في هذا الوقت أخذاً بالعمومات وقصداً لرجاء المطلوبيّة.

وكلمتي الأخيرة أقولها: لا داعي للإصرار على إبطال بعض الأمور الحسنة في حدّ نفسها وكأنّه يراد تهديم الشعائر والأعراف،

وأرى استبدال ذلك بتوضيح حيثياتها الشرعيّة للناس، ليعرفوا أنّ القصد يكون للعنوان العام لا للخاص، إلى جانب كفّ الطرف الآخر عن اتهام من يريد أن يناقش في هذه الأمور بطريقة علميّة والتشكيك في تديّنه وعقيدته، وبدل ذلك كلّه حبذا لو نفكّر جميعاً في كيفية وضع برامج نهضويّة واعية توعوية وتبليغية، لتحويل زيارات الإمام الحسين عليه السلام ـ وغيرها ـ إلى مؤتمر إسلامي شعبي واسع لكلّ المؤمنين الحاجّين إليه من أرجاء المعمورة، فتزدان الطرقات المكتظة بالزوار بمحافل الأدب والشعر والنثر الحسيني والثوري، وبالبرامج الدينية والاجتماعيّة، وبحلقات التوعية الثقافية، وبجلسات العبادة والروحانية، وبلقاء المرجعيات والشخصيات الكبيرة مع الناس والجماهير، تستمع همومها وقضاياها وتتواصل معها وتعظها وتوجّهها، كما كانت عادة أئمّة أهل البيت في كلّ عام في الحجّ والعمرة و.. إنّ هذا الأمر بات ضرورةً اليوم للمزيد من الاستفادة من هذه المناسبات الدينية، وعدم تركها تمرّ دون أخذ أقصى أشكال التزوّد منها للجميع.

إنّنا بحاجة إلى المزيد من ترشيد مناسباتنا الدينية وتأمين أفضل توظيف نافع لها لقضايانا الاجتماعية والسياسية والأخلاقيّة اليوم، والحيلولة دون تحوّلها إلى مجرّد عادات لا تحوي مضمونها أو طقوس وبروتوكولات نمرّ عليها مرور الكرام، فيصير حالنا ـ والعياذ بالله ـ كحال الصائم الذي وصفه الحديث النبويّ الشريف بقوله: «ربّ صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش».

حكم الصور المنسوبة للمعصومين والمنتشرة في الأسواق[1]

◈ **السؤال: ما هو حكم الصور المنتشرة بين الناس والتي يدّعى أنّها صور بعض الأئمّة عليهم السلام أو أبي الفضل العباس؟ فهل هي ثابتة؟ وهل يجوز تصويرها أو اقتناؤها أو المتاجرة بها؟**

◈ الجواب: هذه الصور قد تكون مستوحاةً من بعض الأحاديث والنصوص التاريخية التي تتحدّث عن توصيف النبيّ صلى الله عليه وآله أو أحد من أهل البيت أو بني هاشم أو الصحابة أو غيرهم. وثبوت تلك الروايات في حدّ نفسه يحتاج إلى كلام في مدى دقّة تلك النصوص في التوصيف الذي يسمح برسم صورةٍ على أساسه، ومدى إمكانيّة الوثوق بها. ولهذا من الصعب جدّاً نسبة هذه الصور إلى أحد من المتقدّمين معصوماً أو غيره، وربما تكون فيها بعض عناصر القرب من الصورة الحقيقيّة، فلا يصحّ التعامل معها على أنّها صور حقيقية معبّرة عن واقع الشخصية التي تحكي عنها.

واعتماد الرؤى والمنامات هنا باعتبار أنّ «من رآني فقد رآني، فإنّ الشيطان لا يتمثل بي» لا وجه له أيضاً، على تفصيل في محلّه، ولهذا لم يفتِ جمهور الفقهاء بحجيّة الرؤى والمنامات التي يفتي فيها الإمام بحكم شرعي للنائم (انظر على سبيل المثال: العلامة الحلي، أجوبة المسائل المهنائية: ٩٧ ـ ٩٨؛ والخوئي، صراط النجاة ١: ٤٦٨).

أمّا صنعها، فلا بأس به، بصرف النظر عن قضيّة تصوير ذوات الأرواح، وكذلك الحال في المتاجرة بها أو اقتنائها أو غير ذلك،

(١) إضاءات ٢: ٣٠٩

والعبرة في ذلك كلّه هو أن لا يكون هذا الأمر موجباً لهتك حرمة صاحب الصورة حيث لا يجوز ذلك، وتشخيص هذه المسألة شأنٌ شخصي، يمكن لأيّ إنسان أن يحدّده ويرى هل أنّ ذلك يوجب إهانة صاحب الصورة بحسب العرف العام أم لا، حتى لو اختلف تشخيصه عن تشخيص مرجع التقليد أو أيّ فقيه آخر.

بل إنّ لعب أدوار المعصومين أو غيرهم في المسلسلات أو الأفلام السينمائية والأعمال التلفزيونية والمسرحيّة وغيرها هو أيضاً يخضع ـ شرعيّاً ـ لهذا المعيار نفسه، وهو أن لا يصاحبه أو يلزم منه محرّم ولا يكون فيه هتكٌ لحرمة أحد المعصومين عليهم السلام أو لكلّ من لا يجوز هتك حرمته، بلا فرقٍ في ذلك بين الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، فضلاً عن غيرهم مثل أبي الفضل العباس أو عليّ الأكبر أو غيرهما. وليس في هذه المسألة نصوص ثابتة يرجع إليها، وإنّما تكون محكومةً لهذه المعايير العامّة وأمثالها.

القسم الثاني
عاشوراء وفقه العزاء

استفهامات حول الجزع والظواهر المفرطة في العزاء الحسيني[1]

◈ **السؤال: هل يوجد فعلاً من غير الشيعة، من السنّة وأديان أخَر من يهتمّ بالشعائر الحسينيّة؟ وما هو الميزان في موضوع الشعائر أنّ فلاناً عنده إفراط أو تفريط؟ وهل يعتبر بكاء النبي يعقوب عليه السلام على النبي يوسف عليه السلام من مصاديق الجزع؟ وهل قول: «لأبكينّ عليك بدل الدموع دماً»، يدلّ على جواز التطبير وأمثاله؟ وهل يمكن أن تكون الزهراء عليها السلام قد أزعجت أهل المدينة بكاءً على أبيها؟ وأليس الجزع حالة عفوية لا يكون الإنسان في وعيه الكامل حينها وتكون خاليةً من القصد؟ وقد لا يكون اللطم محرّماً ولكنّه غير مستساغ عند غير الشيعة، بل عند بعض الشيعة أيضاً، ألا يوجب ذلك تغيير الحكم؟**

◈ الجواب:

١. لا علم لي بوجود غير الشيعة ممّن يهتم بهذه الشعائر، ولكن ليس من البعيد وجود بعض السنّة من التيارات الصوفيّة، وقد سمعت أنّ بعض أهل الكتاب في إيران يتفاعلون ويمارسون هذه الشعائر.

٢. إنّ الميزان في الإفراط والتفريط هو الاحتكام إلى الدليل الشرعي والعقلي بعناوينهما الأولية والثانوية، وحساب المصالح والمفاسد، وليس هناك ميزان نهائي وحاسم، وإنّما هي اجتهادات تخضع للنسبيّة كلٌّ حسب ما يرى الأمر.

٣. لا يعتبر بكاء يعقوب جزعاً في حدّ نفسه ما لم يدلّ شاهد على

(١) إضاءات ٢: ٤٢٢

ذلـك؛ لأنّ الجـزع هو ضـدّ الصـبر، ولا يمكننا أن نجـزم بحصول هـذه الحالـة ليعقـوب؛ لأنهـا تتبـع الوضـع القلبـي الـذي يظهر في الجـوارح، ومـن ثـم فقـد يكـون يعقـوب باكياً بهـذه الدرجـة دون جـزع، تمامـاً مثلنـا نحـن حيـث نبكـي كثـيراً دون أن يـلازم ذلـك حصـول الجـزع، وإن كان الظاهـر قرينـة عـلى الباطن.

٤. إنّ التعبـير الـوارد في الروايـة عـن الإمـام المهـدي عليه السلام، لا ربـط لـه بقضايـا التطبـير، فـإنّ هـذه التفاسـير ذات عجمـة واضحـة، لا يفهمهـا العـربي بهـذه الطريقـة، إذ هـذه الجملـة تعنـي المبالغـة في الحـزن، لا الجـزع ولا تطبـير الـرؤوس وأمثـال ذلـك، تمامـاً كـما يعـبّر المثكـول والحزيـن والمتحـرّق الوجـدان والقلـب، فـلا أفهـم منهـا ـ وفقـاً للبلاغة والـدلالات العربيـة ـ غير هـذا، وإلا لزم من المسـتدلّ هنـا أن يفتـي بجـواز ـ بـل برجحـان ـ جرح العـين! وأن يُعْمِـي كلُّ واحـد نفسَـه في عاشـوراء!

٥. إنّ روايـة بـكاء الزهـراء ـ عـلى تقديـر صحّتهـا وثبوتهـا تاريخيّـاً ـ يمكـن تفسـيرها بـأنّ بكاءها بهـذه الطريقـة كان جـزءاً من مشروع إيقاظي لمسـلمي المدينة المنـوّرة لتحريك ضمائرهـم، وإلا فمن دون مثـل هذا الافـتراض سـيغدو التبريـر صعباً.

٦. الجـزع حالـةٌ قلبيـة قد تظهر عـلى الجـوارح، ولهذا لا معنـى للجزع في الجـوارح إذا كان القلـب في غـير حالـة الجـزع؛ فـإذا ضرب الإنسـان رأسـه بالسـيف مثـلاً دون أن يكـون قلبـه في حالـة انهيار عاطفـي، بـل لمجـرّد الأداء الاسـتعراضي مثـلاً، فهذا ليـس جزعاً، بـل صـورة جـزع ظاهريّـة؛ لأنّ الجـزع مـن مقـولات القلوب.

نعـم، قـد يقول فقيـهٌ بأنّـه إذا جـاز الجزع واسـتحبّ فـإنّ إظهار ما

يوحي بالجزع يكون مثله بوحدة المناط، فإذا أحرزت الوحدة فلا بأس وإلا فيصعب التعميم.

٧. إنّ كون التطبير أو اللطم العنيف غير مستساغ عند الناس، لا يضرّ بجوازه ولا باستحبابه لو ثبت؛ فإنّ عدم كونه مستساغاً لا يغيّر من أحكام الله شيئاً، ما لم يبلغ رتبة تحقّق عنوان ثانوي بشكل يقيني ومحرز يفرض المنع.

مدى الحاجة للسؤال عن شرعية الطقوس الشعبيّة الدينية غير المخالفة للدين[1]

◈ السؤال: قرأت ما كتبتموه حول سؤال وردّكم بخصوص توثيق زيارة الأربعين. وفي رأيي المتواضع إنّه لا يوجد دين مجرّد من ممارسة أتباعه لمجموعة من العقائد والطقوس الشعبية التي لم ينصّ عليها بنحو الخصوص في ذلك الدين، فإن كانت هذه العقائد والطقوس مما ينسجم مع القواعد والأطر العامة في ذلك الدين اكتسبت شرعيّتها من تلك القواعد والأطر، وإن كانت مخالفة لتلك القواعد والأطر اعتبرت بدعة. وإذا افترضنا ديناً لا يمارس أتباعه هذا النمط من العقائد والطقوس، فهذا لا يدلّ على وعي اتباع ذلك الدين، بل يكشف عن عدم تغلغل ذلك الدين في وجدان الناس ومشاعرهم وعواطفهم. قبل مدّة كنت حاضراً في جلسة مع مجموعة من أتباع المدعو أحمد الحسن الذي لقّب نفسه بـ (اليماني)، وقبل أن نتفرّق أسمعني أحد أتباعه نشيداً من جهاز الموبايل يعبّر فيه المنشد عن مشاعره وعواطفه تجاه الدعوة وصاحبها، فالتفت إلى صاحبي وقلت له: هذا يعني أنّ دعوة هذا الرجل قد أصبحت من العقائد الشعبية، ولم تعد نظرية أو فكرة. ولعلّ ممّا يعدّ من الممارسات الدينية الشعبية ذلك النشيد الذي حفظه لنا التاريخ عندما وصل النبي ﷺ إلى المدينة: طلع البدر علينا من ثنيّات الوداع، فقد كان هذا ممارسة دينية شعبية بحتة، ولم يخطر في بال ذلك المجتمع أنه لابدّ أن يسأل عن شرعيّة هذه الممارسة، كما أنّ النبي ﷺ لم ينههم. والحمد لله والحقّ يقال: إنّ مذهبنا لا يجمد على النصوص ويسمح للناس بممارسة الشعائر والعقائد الشعبية ضمن القواعد والأطر الشرعيّة، وهناك الكثير من المرونة في كيفية التعاطي

(١) إضاءات ٢: ٤٣٢

مع التراث، ولسنا نعاني من الإشكاليات التي يعاني منها غيرنا، ويخطأ من يسحب إشكاليات الفكر السنّي ويعمّمها على الفكر الشيعي. نحن نسمع بأخباركم من بعض الإخوة ونقرأ لكم، قرأنا لكم كتاب نظريّة السنّة والتعددية الدينية وبعض بحوثكم، ونشيد بأسلوبكم المعتدل في معالجة الإشكاليات العقائدية والفكرية.

◈ الجواب: بعد شكركم أخي الكريم على رسالتكم الطيبة هذه، أوّد أن أبدي موافقتي المبدئيّة على روح ما طرحتموه، والذي لا يتنافى ـ في قسم كبير منه ـ مع ما جاء في جوابي عن السؤال المشار إليه أعلاه، لكن لديّ بعض التعليقات الطفيفة، وهي:

أولاً: لم يقل أحد من الفقهاء أو علماء الدين فيما نعلم بأنّ الممارسات الشعبية إزاء القضايا الدينية يجب أن تكون منصوصة بعينها، ولم يقل أحد بلزوم أن نرجع للدين في التعبير عن تعاطفنا مع القضايا الدينية أو غيرها، كلّ ما في الأمر أنّه يجب التنبّه لمسألتين:

المسألة الأولى: أن لا يكون أسلوب تعبيرنا العاطفي والتفاعلي مع القضيّة الدينية أو غيرها مخالفاً للدين نفسه ولقيمه ومبادئه ونصوصه، فإنّ الله لا يُطاع من حيث يُعصى، كما أطبق على ذلك الفقهاء المسلمون فيما نعلم.

المسألة الثانية: أن لا نعتبر هذا النوع من التفاعل العاطفي أمراً دينيّاً، فهناك فرق بين أن أتفاعل عاطفيّاً مع مسألة دينية بطريقتي الخاصّة النابعة من ثقافتي، وهذا حقّ مشروع لي وللجميع، وبين أن أعتبر أنّ هذه الطريقة التفاعلية الخاصّة منسوبة للدين، فإنّ هذا تشريع على الله، ولو ألقي إلى الناس ليعملوا به لكان بدعة (على الخلاف في تمييز فكرة البدعة عن فكرة التشريع، والمطروحة في

كلمات كبار العلماء، لاسيما المحقّق النراقي رحمه الله).

فمن حقّي أن أسافر إلى مكّة للعمرة بالطائرة، ومن حقّي أن أجعل ذلك عادةً شعبية، لكن ليس من حقّي أن أخلق في الوعي الشعبي ثقافة مستبطنة توحي بأنّ هذا النمط من الذهاب إلى مكّة هو نمط ديني، فالقضية ليست في الفعل فقط، وإنّما في مديات نسبته للدين نفسه، فعندما يذهب الناس إلى زيارة الإمام الحسين في الأربعين، فهذا لا إشكال فيه، بل هو مشمول للعمومات الداعية لزيارته سلام الله عليه، لكن أن أعتبر أنّ زيارة الأربعين بعنوانها أمر ديني فهذا لا يقبل به الفقهاء، إلا إذا أقمنا شاهداً على أنّ الشريعة تعتبر زيارة الأربعين ـ بوصفها زيارة الأربعين، لا بوصفها مطلق زيارةٍ ـ أمراً دينيّاً، فليلاحظ ذلك جيّداً.

ثانياً: إنّ ما فعله المسلمون الأوائل لدى وصول النبي إلى المدينة كان أمراً رائعاً، حيث استقبلوه بالأناشيد والترحاب، وهذا لا بأس به، بل هو مشمولٌ لاحترام النبي وتقديره وتعظيمه ومحبّته وغير ذلك، لكن لم يكن يخطر في بال المسلمين الأوائل أيضاً أنّ هذا النشيد هو أمر ديني بعنوانه، أي أنّ نشيد (طلع البدر علينا) هو نشيد ديني، وأنّ قوله يعدّ أمراً منصوصاً عليه في الدين، فهناك فرقٌ ـ كما درستم سماحة الشيخ في أصول الفقه، وأنتم إن شاء الله أعلم منّي بذلك ـ بين ثبوت الحكم على العنوان العام وشموله بشكل تلقائي للمصداق الخاصّ، وبين جعل مصبّ الحكم على العنوان الخاص، فإنّ الثاني لا يثبت بالأول كما قال الأصوليون. ولو أنّ المسلمين الأوائل أنشدوا هذا النشيد بوصفه ـ بعنوانه ـ أمراً دينيّاً، لربما قال لهم النبي ﷺ: إنّ المسألة ليست كذلك، لكن لأنّ وعيهم كان ينطلق

مـن مطلـق العناويـن العامّـة لم يقف النبـي عنـد فعلهم، بل ربـما اعتبره مستحسناً .

إنّ وضـع جملة (الصـلاة خير من النوم) مشـمول لعمومـات الدعوة إلى الحـقّ والخـير، لكـن عندمـا توضـع في الأذان بوصفهـا في الوعـي الشـعبي أمـراً دينيّـاً بعنوانـه الخـاصّ ـ بـصرف النظـر عن حـذف جملة كانـت مكانهـا، وبـصرف النظـر عـن مسـألة توقيفيـة الأذان وعدمها ـ فـإنّ هـذا الأمر لـن يكون مقبـولاً. وهكـذا الحـال في صـلاة التراويح، فإنّهـا بـصرف النظـر عـن مشروعيـة أو عـدم مشروعيّـة الجماعـة في النوافـل، مشـمولةٌ لعنـوان «الصلاة خـير موضوع»، لكـن عندما نخلق في الوعـي الشـعبي ثقافة تجعـل هذه الصـلاة بعنوانها أمراً دينيّـاً ومقولاً شرعيّـاً خاصّـاً فـإنّ الأمور تختلـف، فلا بدّ لي هنـا في هذيـن المثالين من أن أقيـم شـاهداً شرعيّـاً خاصّاً على المسـألة، وإلا لزمني أن أبـدّد الوعي الشـعبي المغلـوط فيها.

إنّ فهـم فكـرة الابتـداع بالـغ الأهميّـة، ولهـذا مـن الـضروري ـ كـما قلـت في جـواب سـؤالي الـذي أشرتـم إليـه أعـلاه ـ أن نوضـح دائـماً للوعـي الشـعبي طبيعـة الأمـور، حتـى لا نخلـق في ذهنه مفاهيـم دينية غـير صحيحـة، فنقـع في مشـاكل شرعيّـة، وإلا فقـد لا نجـد مصداقـاً للبدعـة في مجـال الأمـور العمليـة عـبر التاريـخ إلا ويكـون مشـمولاً للعمومـات والمطلقـات. هـذا كلّ مـا في الأمـر.

ثالثـاً: من الطبيعـي أنّ الدين يظهر بقوّة في الطقوس والشـعائر، وكلّ دين ـ لو نلاحظ ـ جعل لنفسـه طقوسـه وشـعائره، وهذا أمر واضح لا نقـاش فيـه، لكنّ السـؤال: هل قـصّر الدين الإسـلامي في صنع شـعائر لنـا حتـى نزيد على شـعائره شـعائر؟ فالدين جعـل الحجّ والعمـرة وكلّ

تفاصيلهـا مـن الشـعائر والعـادات الشـعبيّة، وكذلـك جعـل الأعيـاد وصلواتهـا، والصوم وشـهر رمضـان، وزيارة مراقـد النبي وأهـل بيته، وصـلاة الجماعة والجمعـة، وكذلك المسـاجد وإحياءها، وقـراءة القرآن وغـير ذلـك.. جعـل هـذا هـو مظاهـر طقـوس الإسـلام الدينيـة، ولم يقـصّر الإسـلام في جعـل الطقوس لنفسـه ولأتباعه، بل صـاغ لهم نظام عـادات دينيـة شـعبية كثـيرة جـدّاً، فلسـنا بحاجـة لأن نضيـف لعاداته وشـعبياته وطقوسـه وأعرافـه عاداتٍ وشـعبيات وطقوسـاً وأعرافاً.

الموضـوع يكمـن هنـا، هـل نشـعر بالتكـرار مـن الطقـوس التـي وضعهـا الإسـلام، بحيـث فقـدت قوّتهـا الروحيـة حتـى بتنـا نقـوم باصطنـاع طقوس جديدة لنقـوّي إيماننا، أمّ أنّ المشـكلة في أنّنا قصّرنا في التعاطـي مع تلـك الطقوس التـي وضعتهـا الشريعة الإسـلاميّة وضعاً كامـلاً ونريـد أن نعـوّض عـن تقصيرنـا بخلق عـادات جديـدة نتفاعل معهـا من منطلـق أنّ كل جديد يخلـق في النفس فرصة تفاعـلٍ جديدة؟!

إنّنـي ألاحـظ بنظـري القاصر أنّ الفـترة الأخيرة بـدأت تخلق عادات وطقـوس جديـدة غـير منصوصـة بنفسـها، وتتعاظـم بهـا حـدّ تصاغر الطقـوس الأصليّـة المنصوصـة أمامهـا في الوعـي الشـعبي، وهـي إن لم تكـن مخالفـةً للديـن فلابـدّ أن لا نتعامـل معهـا عـلى أنّهـا أمـراً دينيـاً منصوصـاً بعنوانـه، بحيث لـو أنّ شـخصاً عارضها وطالب باسـتبدالها بوسـيلة تعبيريّـة أخـرى لمـا حـقّ لنـا أن نقول لـه بأنّـه يعـارض الدين؛ لأنّـه في الحقيقـة لا يعـارض الديـن (حيث لا نـصّ عليهـا بعنوانها) بل يعـارض تعبيرنـا البـشري عـن التفاعـل مـع الديـن وتطبيقنا الإنسـاني للقواعـد العامّـة عليـه، وهنـا مركـز الخلاف.

إنّ مـن المنطقـي أن نسـعى ـ من حيث المبـدأ ـ لتطوير طرائـق تفاعلنا

تبعـاً للظـروف الموضوعيّـة، لكـنّ هـذا لا يعنـي أنّ نخلـع عـلى طرائق تفاعلنـا سـمة (الدينيـة) بحيـث يبـدو أيّ سـعي لإجراء تغيير يتناسـب مـع ظـروف مختلفة فعـلاً ابتداعياً أو حرباً عـلى الدين والقيـم والعقائد.

ما هو رأيكم الشخصي في التطبير؟[1]

◈ السؤال: ما هو رأي سماحتكم في شعيرة التطبير؟

◈ الجواب: لم يثبت عندي ـ بنظري القاصر ـ كون التطبير شعيرة أو مستحبّاً، لا بالعنوان الأوّلي ولا بالعنوان الثانوي، فضلاً عن وجوبه بأحد العنوانين، بل رجحانه غير ثابت أساساً، ولم ترد فيه نصوص خاصّة معتبرة. أمّا القول بتحريمه بملاك الضرر فلم يثبت عندي، وأمّا تحريمه بالعناوين الثانوية، فلا أجزم به، وإن كنت أميل إليه جدّاً في حالة كونه ظاهرة عامّة علنيّة. لكنّني أراه ـ التطبير وأمثاله ـ مرجوحاً جدّاً، وأدعو لتوعية ثقافية في كيفية الرقيّ بممارساتنا الطقوسيّة بما يتناسب والقيم الدينية والأخلاقية والحضاريّة العليا، وبما يتناسب مع المصالح النوعيّة للإسلام والمسلمين، والعلم عند الله.

(١) إضاءات ٣: ٢٦٢

الموقف من نهي من يقلّد القائل بحرمة التطبير شخصًا يقلّد القائل باستحبابه[1]

◈ السؤال:

١ـ إذا كانت هناك مسألة خلافيّة بين الفقهاء بين الحرمة والاستحباب.. ثم يقوم بعض المؤمنين ـ بنيّة النهي عن المنكر ـ بنهي الموالين عن هذا العمل، وفق رأي مرجعهم الذي يحرّم هذا الفعل، مع علمهم بأنّ بعض هؤلاء المقلّدين يقلّدون مرجعاً يُستحبّ عنده هذا الفعل، فهل فعلهم هذا من مصاديق النهي عن المنكر؟ أم أنّ فعلهم هذا هو بنفسه منكرٌ أساساً لأنّهم يعلمون أنّ المقلّدين من عامة الناس ليست الحجّة عليهم سوى فتوى مرجعهم فقط؟

٢ـ هل يجوز لمن يرى حرمة التطبير أن ينهى من يقلّد القائل بالاستحباب عن التطبير أم لا؟

◈ الجواب: أصّل غير واحدٍ من الفقهاء المسلمين في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قاعدةً أطلقوا عليها عنوان: (لا إنكار في مسائل الخلاف)، وذهبوا إلى أنّه عندما يكون المأمور أو المنهيّ معذوراً فيما يفعل، ولو لاجتهاد أو تقليد، فإنّه لا معنى لأمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر، بل ذهب بعض العلماء ـ مثل السيد السبزواري (مهذّب الأحكام ١٥: ٢٦٨) ـ إلى القول بعدم جواز الأمر والنهي في هذه الحال، في بعض الصور على الأقلّ.

وفي قضيّة اختلاف التقليد توجد صور ينبغي ملاحظتها، وأهمّها:

الصورة الأولى: أن يكون ما أفتى به المرجع هو حكمٌ كلّي

(١) إضاءات ٣: ٢٨٥

اجتهادي، كأن يرى حليّة الغناء مثلاً فيما يرى الآخر الحرمة، وفي هذه الحال يذهبون إلى أنّه لا معنى للأمر والنهي، مادام تقليد المأمور للمجتهد الذي يرى الحلية تقليداً صحيحاً جائزاً.

الصورة الثانية: أن تكون فتوى المرجع في واقعها تشخيصاً لموضوع غير مستنبط، لا استنباطاً لحكم كلّي منصبّ على موضوع كلّي، مثل أن يقول المرجع بأنّ التدخين حرام، وينطلق في ذلك من حرمة الإضرار بالنفس، فيما يرى الطرف الآخر بأنّ التدخين غير مضرّ أساساً، فهنا له أن يدعوه إلى التدخين ولو من غير باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شرط أن يقنعه بأنّ التدخين لا يضر؛ لأنّ المقلِّد غير ملزم أساساً بتشخيص مرجعه للموضوعات التي من هذا النوع، فإذا اقتنع مع الآخر بأنّ التدخين غير مضرّ فله التدخين شرعاً.

وفي المورد الذي ذكرتموه، لو أخذنا التطبير الذي وقع محلاً للجدل، وفقاً للسؤال الذي ذكرتموه، سنجد حالات:

١. أن يكون المرجع الذي أفتى باستحباب التطبير أو بحرمة التطبير قد انطلق من تشخيص موضوع خارجي فقط، لا من استنباط حكم كلّي، مثل أن يراه هذا المرجع بأنّه يوجب تقوية المذهب، فيما يراه المرجع الآخر بأنّه يوجب توهين المذهب، فهنا أساساً لا توجد فتوى ملزِمة لأحد، لا بالفعل ولا بالترك، ما لم يكن هناك حكم حاكم.

وهذه من الأخطاء الشائعة التي كرّرنا مراراً ضرورة التخلّص منها في ثقافتنا الدينية، فإنّ تشخيص المراجع للموضوعات التي من هذا النوع أمرٌ غير ملزم إطلاقاً، فلو قال المرجع مثلاً: فلان

لا يجوز قراءة كتبه؛ لأنّ كتبه هي كتب ضلال، فهذا تشخيص موضوع، ولا يُلزم أحداً حتى مقلّديه ما لم يقتنعوا معه بأنّ مضمون هذه الكتب هو الضلال فعلاً، إلا إذا كان قد أصدر حكماً، فإنّ لذلك تبعات خاصّة في الفقه الإسلامي. وفي هذه الحال لا مانع من الأمر والنهي في حقّ الطرفين لبعضهما.

٢. أن يكون المرجع الذي أفتى بالحرمة أو الاستحباب منطلقاً من استنباط كلّي، كأن يرى استحباب هذا الفعل بعنوانه لكونه صدر عن السيدة زينب عليها السلام عند ضرب رأسها بالمحمل مثلاً مع إقرار الإمام على ذلك، أو لما جاء في بعض المرويّات من أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام كان عندما يأخذ الماء ليشرب يبكي حتى تمتلئ عيونه دماً.. أو يرى حرمته من باب أنّ الضرر عنده حرام مطلقاً، أو يرى الحرمة استناداً إلى الرواية التي ينهى فيها الإمام بعض النساء عن خمش الوجوه ولطمها وشقّ الجيوب عليه (وهذه الوجوه بصرف النظر عن صحّتها ذكرها أنصار الفريقين)..

ففي هذه الحالات وأمثالها يكون المقلِّد معنيّاً بالفتوى، ومن ثم لا معنى لأمره أو نهيه، إلا إذا رأينا أصل تقليده لزيد أو لعمرو غير شرعي، فنأمره بملاحظة التقليد ومبرّراته، لا بملاحظة مضمون فتوى من يقلّده.

نعم، قد يصحّ لنا أمره بالاحتياط بنحو الترغيب لا الإلزام، لدوران الأمر بين الفتوى بالحرمة والاستحباب، وهذا يحتاج إلى بعض القيود. كما أنّ نهي القائل بالحرمة من يقلّد القائل بالاستحباب ليس سوى نهياً عن مستحبّ، ويحتاج أن ننظر:

هـل يحـرم نهـي النـاس عـن مسـتحبّ أم لا؟ ومـا هـي الـشروط والقيـود؟ فلـو نهيتـك عن التصـدّق على زيـد، لا لسـبب إلا لأنني لا أريـدك أن تتصـدّق اليـوم عـلى الفقـراء، فهل هـذا النهـي حرامٌ شرعـاً، والمفـروض أنّ التصـدّق غـير واجـب؟ هذا يحتـاج لبحث في إثباتـه، ولـه صـور بعضها قـد يمكن القـول بحرمته، كـما لو كان النهـي موجبـاً لإماتـة السـنّة، دون بعضهـا الآخر.

٣. أن لا يكـون خطابنـا الناهـي عـن الفعـل أو الحـاثّ عليـه مرتبطـاً بشـخص، بمعنـى أنّنـا لا نذهـب إلى زيـد أو عمـرو، فنطلـب منـه تـرك هـذا الفعـل أو نحثّـه عليـه، بـل غايـة مـا نقـوم بـه هـو أنّنـا نعـرض وجهـة نظرنـا في الموضـوع، كأن نكتـب بحثـاً فقهيّـاً عـن التطبـير نتوصّـل من خلاله إلى الاسـتحباب أو نتوصّـل إلى الحرمة، أو نقـوم ببحـث اجتماعـي يبـيّن سـلبيّات التطبـير أو يكشـف عـن آثـاره الإيجابيّـة، فنحـن لا نقـوم بمنـع شـخصٍ عـن تقليـده، بـل نعـرض وجهـة نظرنـا العلميّـة بطريقة لا تشـتمل على منـع أحد أو دعـوة أحـد بعينه.

وفي هـذه الحـال لا يوجـد مـا يمنـع الإنسـان عـن فعـل ذلـك، لاسـيما إذا كان يعـرض بحثـاً اجتهاديـاً كأن يكون فقيهـاً أو يعرض بحثـاً موضوعيّـاً خارجيّـاً حـول تأثـيرات التطبـير السـلبية أو الإيجابيّـة. فمثـل هـذه المـوارد يصعب القـول بأنّهـا محرّمـة؛ بحجّة أنّه سـيطالعها مـن يقول مرجعـه بالعكس، وهذا واضـح. وكذلك الحـال لـو كان الإنسـان يقوم بـشرح مـبرّرات القائلين بهـذا القول أو ذاك.

٤. أن يكـون ما أصـدره هذا المرجع أو ذاك حكـمَ حاكمٍ، وليس فتوى

مرجع أو رؤية فقيه باحث، ففي هذه الحال يجب الالتزام بحكم الحاكم شرعاً ولو كان مخالفاً لفتوى من يقوم الإنسان بتقليده. وينبغي الرجوع في أحكام حكم الحاكم إلى المرجع الذي يقلّده المكلّف، فلو كان مرجعك لا يرى قيمةً من الأساس لحكم الحاكم مطلقاً مثلاً فلا قيمة لحكمه بالنسبة إليك، وكذلك لو كان من أصدر الحكم ممّن لم يثبت كونه حاكماً شرعيّاً جامعاً للشرائط، كما لو كنت تشكّك في اجتهاده أساساً أو في شرط آخر من شروط حاكميّته الشرعيّة، فهنا لا قيمة لحكمه بالنسبة إليك؛ لعدم صدق عنوان حكم الحاكم عليه أساساً.

والمعروف بينهم حرمة الردّ على حكم الحاكم ومخالفته ولو لم تكن تقلّده، بل ولو كان حكمه مخالفاً لفتوى المرجع الذي تقلّده. نعم لو قطعنا بخطأ الحاكم في المقدّمات التي اعتمدها بنحو اليقين، جازت المخالفة، لكنّ بعض الفقهاء يشترط في ذلك عدم إظهار هذه المخالفة بما يخلّ بالنظام العام.

بل إنّ مثل السيد محمد باقر الصدر يرى ـ كما في (تعليقته على منهاج الصالحين للسيد الحكيم ١: ٢٠، الهامش رقم ٤، على المسألة رقم ٢٥) ـ أنّ حكم الحاكم لو كان منطلقاً من ممارسة المجتهد لولايته العامّة على المسلمين ـ لا من موقعه القضائي في باب المرافعات والمحاكمات ـ لا يجوز نقضه أبداً حتى مع العلم واليقين بالمخالفة وكون الحاكم مخطئاً.

وعليه ففي صورة حكم الحاكم يمكن إذا حكم الحاكم بالحرمة مثلاً أن تنهى الآخرين عن الفعل ولو كان مقلَّدهم يرى الاستحباب؛ لأنّك في الحقيقة تنهاهم عن مخالفة حكم الحاكم

التـي يعتبرهـا مرجعهـم محرّمةً.

هذه هـي الحالات الأساسـيّة في الموضوع، ونسـأل الله تعالى أن يوفق الجميـع للانضبـاط بالتكاليف الشرعيّة، كلٌّ بحسـبه، ومن موقعه.

حكم النهي عن المنكر في قضايا الخلاف الاجتهادي والتقليدي[1]

◈ السؤال: استفساراً على إجابتكم: (هل يحقّ لمن يقلّد القائل بحرمة التطبير أن ينهى من يقلّد القائل باستحبابه عنه أم لا؟)، كان لنا سؤالٌ عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندما تدور الفتاوى بين الحرمة والاستحباب، فزدتم على استفهامنا استفهامات أخرى بقولكم: «... دوران الأمر بين الفتوى بالحرمة والاستحباب، وهذا يحتاج إلى بعض القيود. كما أنّ نهي القائل بالحرمة من يقلّد القائل بالاستحباب ليس سوى نهياً عن مستحبّ، ويحتاج أن ننظر: هل يحرم نهي الناس عن مستحبّ أم لا؟ وما هي الشروط والقيود؟ فلو نهيتك عن التصدّق على زيد، لا لسبب إلا لأنني لا أريدك أن تتصدّق اليوم على الفقراء، فهل هذا النهي حرامٌ شرعاً، والمفروض أنّ التصدّق غير واجب؟ هذا يحتاج لبحث في إثباته، وله صور بعضها قد يمكن القول بحرمته، كما لو كان النهي موجباً لإماتة السنّة، دون بعضها الآخر». ونستميح سماحة الشيخ بالتطفّل على كرمه والاستزادة مما أعطاه الله، تزكيةً لعلمه ببعض التوضيح في بعض النقاط الواردة في الجواب السابق:

١. هل على المكلّف الذي يريد أن يعرف تكليفه في مسألة ما، أن يسأل مرجعه، ويعمل فقط على أساس الجواب الذي عادة ما يكون بأحد الأحكام الخمسة (واجب، محرّم، مستحب، مكروه، مباح)، أم عليه كمكلّف أن يبحث في كلّ مسألة عن أنّه هل فتوى المرجع نابعة من اجتهاده في النصوص الشرعيّة أم إنها نابعة من تشخيصه للوضع القائم.. فإذا كانت نابعة من تشخيص فلا إلزام للمقلّد بالفتوى؟ وهذا

(١) إضاءات ٣: ٢٩٠

سؤال عام وليس خاصّاً بمسألة معينة.

٢. أما بخصوص التطبير كمسألة خلافيّة وهي من مصاديق ما سألنا عنه، فنقول: هناك من يفتي بالحرمة ولا يترك للمقلّد مجالاً للتشخيص، بل هو من يشخّص الوضع ويرى الحرمة في ذلك، وهناك من لا يرى مانعاً شرعيّاً في التطبير والإباحة أصله، ويشخّص الوضع بأنّه إذا جيء به بنيّة المواساة لأهل البيت ﷺ والجزع و.. فيؤجر المكلف إن شاء الله، وهناك من يرى الاستحباب لوجود نصوص على ذلك، وفي نفس الوقت يشخّص الوضع بأنّ التطبير لا يوهن المذهب و.. ولا شيء من الأمور التي قد تدرجه بعنوان ثانوي تحت التحريم، وهناك من المراجع من يقول بشكل واضح بأنّ التطبير مسألة تشخيصيّة، فقد تكون مستحبّةً في أماكن وأوقات معيّنة، وقد تكون محرّمةً في أماكن وأوقات أخرى، فالأمر موكولٌ للمكلّف، فهل يصحّ في الحالة الأولى والثانية - التي قوامها التشخيص من قبل المرجع - عدم الالتزام بفتواه لعدم الاقتناع بتشخيصه كما قلتم في المثال الذي ضربتموه «.. وهذه من الأخطاء الشائعة التي كرّرنا مراراً ضرورة التخلّص منها في ثقافتنا الدينية، فإنّ تشخيص المراجع للموضوعات التي من هذا النوع أمرٌ غير ملزم إطلاقاً، فلو قال المرجع مثلاً: فلان لا يجوز قراءة كتبه؛ لأنّ كتبه هي كتب ضلال، فهذا تشخيص موضوع، ولا يُلزم أحداً حتى مقلّديه ما لم يقتنعوا معه بأنّ مضمون هذه الكتب هو الضلال فعلاً»، وهذا بغضّ الطرف عن وجود حكم للحاكم في هذه المسألة؟ وما قيمة الفتوى إذا كانت لا تلزم أحداً إلا بعد الاقتناع بحقيقة المسألة؟ وعلى أساس قولكم هذا فالمكلّف أساساً لا يحتاج لفتوى إذا اقتنع أنّ هذا الكتاب كتاب ضلال فعلاً وفق مثالكم المذكور. ولو ترشدوا أخاكم المتطفّل عليكم ببعض أقوال العلماء والمراجع في هذا الشأن.

٣. أيضاً ذكرتم: «أن لا يكون خطابنا الناهي عن الفعل أو الحاثّ عليه مرتبطاً بشخص»، في جميع الأحوال سواء الخطاب موجّه لشخص بعينه أم لعامة الناس أم للمتخصّصين من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ أليس هناك فرق بين أن يوجّه الباحث المتخصّص خطابه للمتخصّصين أمثاله وبين أن يعرضه على عامة الناس الذين هم أساساً مكلّفون بالالتزام بفتاوى المراجع دون التحسّس من الآخرين ونشر ثقافة الاختلاف وتعدّد الآراء؟ هذا بالنسبة للمتخصّصين، أما للعامة من الناس فهل يحقّ لأمثالي من غير المختصّين بأن أكتب ما أشاء وأقول بأنّها رؤيتي للموضوع وأضعها مقابل الفتاوى الواضحة للمختصّين والمراجع؟ وأقول ذلك من واقع نعيشه، فكلّ شخص أمسك قلمه وقال أرى أنّ ذلك يجوز وهذا لا يجوز، وغلب عليها الذوق والمزاج سواء في التطبير أو غيره.

◈ الجواب:

ذكرتم نقاطاً وهي:

أ. عندما يصدر المرجع فتواه، يعمل المكلّف بما هو ظاهر الفتوى أو المستفاد ممّا وصله من القرائن والشواهد، فإن اشتملت الفتوى أو قرائنها المتصلة أو المنفصلة على ما يفيد كونها مجرّد تشخيص غير ملزم، لم يلزمه العمل بها ما لم يقتنع بمضمونها، وإلا فالمفترض العمل بها قاعدةً. ولو التبست عليه الأمور أمكنه توجيه سؤال إلى مرجعه لرفع هذا الالتباس.

ب. الفتوى إن كانت نابعةً من الاجتهاد في النصوص فقيمتها في كونها تعبّر عن اجتهاد الفقيه، فيرجع إليه المكلّف ليقلّده في اجتهاده هذا، وهذا واضح. وامّا إن رجعت إلى تشخيص موضوع، فلا

قيمة لهذا التشخيص (الذي لا يعبّر عن حكم الحاكم) ما لم يكن الموضوع من الموضوعات المستنبطة، مثل تعريف حقيقة الغناء لا مصداق الغناء، أو تعريف حقيقة الخمر، وهل هي مطلق المسكر أم خاصّة ببعضه أم لا؟ ففي سائر الموضوعات غير المستنبطة لا حجيّة لكلام الفقيه بما هو فقيه.

ويمكنكم مراجعة الجذور الاجتهادية لهذه المسألة في بحوث الفقهاء في باب التقليد والاجتهاد عند حديثهم عن دائرة التقليد وعن التقليد في أصول الدين والموضوعات وأصول الفقه وغير ذلك مما ذكره السيد اليزدي في العروة الوثقى، وعلّق عليه الشرّاح والفقهاء والمحشون والباحثون.

وأمّا قيمة كلامه في هذه الحال، فتكمن في بيان قناعته التي قد توجب قناعة الآخرين واطمئنانهم لتشخيصه، فإنّ تشخيصه قد يؤثر في قناعات الناس فيعملون بتشخيصهم الذي بُني على اطمئنانهم بتشخيصه، لا أنّهم يعملون تعبّدًا بتشخيصه كما هي قضيّة الفتوى وفق المعروف.

ج. إذا كانت فتوى الفقيه تُلزم مقلّديه فما هو الدليل على حرمة أن يكتب شخص كتاباً في الآثار الإيجابية للتطبير مثلاً من الزاوية الاجتماعيّة؟ فهو لا يدعو أحداً لترك الالتزام بفتوى مرجعه، بل يبيّن رأيه المنسجم مع فتوى مرجعه أو تشخيص مرجعه المقتنع هو به، ولا يستخدم أسلوب العنف أو القهر أو الفرض على أحد، فما هو الدليل على الحرمة حتى لو نشره بين الناس؟

نعم، إذا كان بحثاً اجتهادياً فيلزمه أن يكون متخصّصاً في

الشريعة حتى يقول ويعطي رأيه؛ لأنّ ذلك يكون من التقوّل بغير علم على الله تعالى وهو محرّم، أما وأنّه يختلف العلماء في تشخيص الموضوعات فما الذي يمنع زيداً من الناس أن يساهم في التشخيص إذا كانت له خبرة دراسة حيثيات الموضوع من الزاوية الاجتماعية أو السياسية أو غيرها، فالسياسي قد يرى الموضوع بدرجة أكثر خبرويّةً من الفقيه نفسه الذي لا خبرة له أحياناً بالسياسة، وأيّ ضير في ذلك؟ لاسيما مع اختلاف الأنظار في التشخيصات.

وأمّا قولكم بأنّ كل شخص يقول مزاجه فهذا أمر آخر، فنحن لا نتكلّم عن فوضى إعطاء الرأي، لكن نتكلّم عن شخص لديه خبرة حياتية ومقدرة على تشخيص الموضوع المتنازع عليه من موقع خبرته الاجتماعية وعلاقاته وثقافته الواسعة ولو لم يكن فقيهاً، فما هو الدليل على حرمة أن يكتب كتاباً يبيّن فيه مضارّ التطبير الطبيّة مثلاً أو تأثيراته السلبية على تديّن الناس الآخرين بالإسلام ما دامت القضية تشخيص موضوع أو كانت قضيّة مختلفاً فيه وكان هو منتمياً بتقليده إلى من يوافقه في هذا الرأي بحسب النتيجة؟ نعم لو لم يملك الخبرة فقد لا يحقّ له القول بغير علم وهذا أمرٌ آخر.

ظاهرة التطبير في العتبات المشرّفة في كربلاء وتنجيسها كلّ عام![1]

◈ **السؤال: ونحن على أعتاب محرّم الحرام، ما هي الطريقة المثالية لردع ظاهرة التطبير، وخصوصاً تزداد في صبيحة عاشوراء في مدينة كربلاء بمنظر لا يسرّ الحبيب ويفرح به العدوّ؟ شيخنا الجليل، حتى أغلب الزوّار لم يسلم من تلطّخ ملابسهم بنجاسة الدم، وبعض هؤلاء المطبّرين يدخل عليهم وقت صلاة الظهرين وهو يسيل منه الدم، ثم يشارك بعزاء ركضة الطويريج ولم يهتم بالصلاة. ومما يؤسف له هو تسهيل العتبة الحسينية والعباسيّة لدخول هؤلاء إلى العتبتين حتى تكون النجاسة داخل الحرم، وهذا مخالف للشريعة، وطبعاً هذه مجاملة من القائمين على العتبة لهؤلاء! ثق شيخنا أصبحنا نترك الزيارة يوم عاشوراء بسبب هذه الظاهرة.**

◈ الجواب:

أ. لعلّ أفضل الطرق لمواجهة ظاهرة (التطبير) عند من لا يحبّذ هذه الظاهرة أو يرى حرمتها (بالعنوان الأوّلي أو الثانوي) أو قبحها، هو نشر الوعي بين الناس ورفع مستوى تعبيرهم عن عواطفهم عموماً، والسعي لنشر وتعميم فتاوى ومواقف العلماء والفقهاء والمفكّرين الرافضين لهذه الطريقة في التعبير ولو كان رفضهم غير تحريمي، بل والسعي أيضاً للحصول على المزيد من توجيهات العلماء الرافضين والمراجع المعارضين لهذه الطريقة في التعبير.

(١) إضاءات ٣:٣٢٩

وكذلك ابتكار وتعميم الطرق البديلة التي يعدّ من أبرزها مشاريع التبرّع بالدم للمحتاجين والجرحى وإهداء ثواب ذلك إلى أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، فهذه الطريقة تعبّر عن مستوى جيّد من التفاعل.

بل إنّ العراق نفسه يمتاز بين الدول العربيّة بحاجته الكبيرة لمثل هذه الحملات؛ نظراً لما يتعرّض له من تفجيرات واعتداءات ظالمة بشكل يومي أو شبه يومي لم تترك قلباً إلا آلمته، فيما تخلّفه من دمار ومن خسائر في الأرواح والممتلكات، ومن إصابات بشرية تحتاج للقطرة من الدم هنا أو هناك.

وقد طُبّقت طريقة التبرّع بالدم في غير بلدٍ بتوجيهات من وجوه وعلماء وفعاليات تلك البلدان (طبّقت بشكل متفاوت نسبيّاً من حيث السعة والمحدودية، ومن حيث الاستمرار وعدمه، في كلّ من: المملكة العربية السعودية، والعراق، والكويت، وأبيدجان، وبعض الدول الأوروبية، والبحرين، ولبنان وغير ذلك)، وحقّقت نجاحاً نسبيّاً في حدود معلوماتي، ولعلّ أفضل التجارب وأوسعها كان تجربة البحرين. ويمكن الاشتغال عليها على مستوى العراق وكربلاء بالخصوص بشكل أوسع من السابق، وأعتقد أنّه من الضروري التنسيق مع الجهات المعنيّة التي يمكنها القيام بمثل هذا المشروع، والأهم تغطيته إعلامياً والترويج له، وتوفير المعلومات عن مراكز التبرّع لعموم الناس عبر وسائل التواصل الاجتماعي أو الرسائل القصيرة أو وسائل الإعلام أو غير ذلك، علّه يلقى قبولاً أكبر في قادم السنوات، كما لقي القبول في بعض البلدان الأخرى.

وطريقة التبرّع بالدم تربط الإنسان بالعطاء المنتج بشكل مضاعف، وفيها فوائد صحيّة للمتبرّع والمتبرّع له، ويمكنها سدّ حاجات المستشفيات لفترة معينة على الأقلّ، وفيها خاصية الجمع بين إحياء المناسبة وإعانة المسلم والتصدّق بالدم له والقيام بما فيه النفع الصحّي للمتبرّع نفسه، والمحافظة أكثر على الصحّة والسلامة العامّة.

لكنّ المهم أن لا نعتبر التبرّع بالدم شعيرة نريد فرضها على الناس، أو شيئاً منصوصاً عليه في الدين، بل هو وسيلة تعبيرية زمنية قد يأتي يوم يرى فيه أهل العلم والفضل والرأي أسلوباً آخر بحسب تغيّر الزمان والمكان، ما دام هذا الأسلوب المتبع اليوم لا نصّ فيه بالخصوص من الناحية الشرعيّة.

كما أنّ من المهم أن لا نبقى نعيش الصراعات المتواصلة في هذا الموضوع بطريقة غير علميّة، فنتوجّه بالاتهام لبعضنا بعضاً بمعاداة القضيّة الحسينية أو شخص الإمام الحسين عليه السلام والعياذ بالله، وأن نعلن حالة هدنة يحاول كلّ واحد منّا أن يطرح مشروعه فيها دون تجريح بالآخر، ونتنافس إيجابيّاً على ما نراه الأفضل في وسائل التعبير دون صراعات وتشظّيات وتمترسات واصطفافات جديدة، ونحترم الفتاوى التي تصدر لهذا الفريق أو ذاك، مع حقّنا جميعاً في النقد حيث نملك مقوّماته العلميّة والأخلاقية.

ب. قد تحصل تجاوزات شرعيّة هنا وهناك أثناء القيام بفريضة أو مستحبّ ديني، وهذا يكون حتى في الحجّ والعمرة. والمطلوب توعية الناس، علماً أنّ تنجيس الآخرين ليس محرّماً إلا إذا كانوا

لا يرضون بتلطيخ ثيابهم بالدم، فيجب على (المطبّرين) مراعاة ذلك شرعاً، ولا يحسن بهم تأخير الصلاة عن أوّل وقتها حيث يستحبّ الإتيان بها في أوّل الوقت، وإن كان التأخير بما لا يخرج عن وقت الصلاة غير محرّم.

ج. يتفق الفقهاء على حرمة تنجيس المساجد مطلقاً، أمّا تنجيس المشاهد المشرّفة والعتبات فلهم في ذلك رأيان:

الرأي الأوّل: ما هو المشهور، وهو ظاهر عبارات أغلب الفقهاء، بمن فيهم جمهور المراجع الأحياء، من أنّ حرمة التنجيس خاصّة بحالة ما إذا لزم هتك حرمة المشاهد المشرّفة، أمّا إذا لم يلزم هتك الحرمة فيجوز التنجيس ولا تجب إزالة النجاسة. وقال كثير من هؤلاء بأنّ حكم المصحف الشريف هو هذا الحكم أيضاً.

الرأي الثاني: ما ذهب إليه بعض الفقهاء، من أنّ حرمة تنجيس المشاهد المشرّفة حرمة مطلقة، بمعنى أنّ تنجيسها حرام، سواء لزم منه الهتك أم لم يلزم، وهذا هو رأي أمثال الشيخ فاضل اللنكراني، والسيد الصدر في الفتاوى الواضحة، أمّا الشيخ وحيد الخراساني فذهب إلى حرمة التنجيس مطلقاً على الأقوى في المشاهد، وعلى الأحوط في المصحف الشريف.

وعليه، فينبغي النظر في تنجيس المطبّرين للعتبة الحسينية، هل يلزم منه الهتك فيحرم بإجماع العلماء، وإلا فلا يكون حراماً إلا على بعض الفتاوى.

هذا من الناحية الفقهية والقانونية. أمّا من الناحية الأخلاقية

والاجتماعيّة والإعلامية فلا ينبغي أبداً وقوع ما يقع في العتبات المشرّفة في كربلاء، وقد سمعنا ـ ولا أدري مدى دقّة النقل ـ أنّ المرجعيّة الدينية في النجف لا توافق على ذلك، وأنّها تحاول أن تحول دون تنجيس العتبة بوضع العوازل على الأرض أو على الجدران، وأنّ الظروف الضاغطة تحول دون التصريح بالأمر ومواجهته، والله العالم.

وأخيراً، علينا جميعاً أن نتحمّل بعضنا، ونعمل ولا نيأس، وتكون لدينا العزيمة والإرادة للتغيير وتصحيح الأمور فيما نراه الحقّ، والله معنا حيثما نكون معه إن شاء الله.

نقاط الاختلاف المركزيّة
في قضيّة الشعائر الحسينية[1]

◈ **السؤال: ذكرتم في جوابكم عن أحد الأسئلة حول شهر صفر (إضاءات في الفكر والدين والاجتماع، السؤال رقم: ٣٢٧)[2] أنّ بعض الأمور ورد النصّ باستحبابها مثل البكاء، وبعضها الآخر لم يرد فيه نصّ مثل التطبير والمشي مشية الكلاب نحو المراقد وغير ذلك، وأشرتم بأنّ الثاني يمكن أن يكون مشمولاً لبعض العمومات، فإذا كان كذلك فالمدار هو المفهوم العرفي المتغيّر للحزن والجزع وما شابه، وبناء عليه لا معنى ولا مبرّر للجدل الذي يثيره المثقّفون والحوزويون منهم حول ما إذا كانت بعض تلك المظاهر معهودة زمن الأئمة عليهم السلام وأصحابهم، إلا من جهة طروّ العناوين الثانوية. وماذا عن مدى التناسب مع طبيعة المناسبة وصاحبها ومدى التوافق مع كرامة المؤمن في أن يقلّد الكلاب مثلاً أو يغمس جسمه بالطين؟**

◈ الجواب: من حيث المبدأ لا مانع لكلّ هذه الأعمال أن تكون مشمولةً لبعض العمومات إذا صارت عرفاً في التعبير عن الحزن وإحياء الأمر، ولم يقف دون ذلك مانعٌ من عنوان أوّلي أو ثانوي، لكنّه لا يكون حينئذٍ مستحبّاً بعنوانه.

وعندما يثير بعض الحوزويّين والمثقفين والعلماء جدلاً في عدم وجود هذه الشعيرة أو تلك، فهو ينشأ من أحد أمور أربعة هي مرجع الخلاف اليوم:

١. إنّ هذا الفعل أو ذاك (المشي على النار أو التطبير أو الزحف نحو المراقد أو غير ذلك) ليس مستحبّاً بعنوانه الأوّلي، حيث إنّ بعض

(١) إضاءات ٣: ٤٠٧

(٢) راجع (هل شهر صفر شهر حزن وبكاء، أم أنه يختلف عن شهر محرم الحرام؟)

العلماء يحاولون إثبات استحباب بعض هذه الأفعال بالعنوان الأوّلي، كما يُستوحى من كلماتهم أو يحاولون نسبتها للدين بعنوانها، وهذا ما يلاحظ أو يُستوحى من كلمات بعض العلماء أمثال السيد محمد الشيرازي رضوان الله عليه، والسيد صادق الشيرازي حفظه الله وغيرهما، كأن نجد عندهم الاستدلال على التطبير ببعض الروايات الخاصّة أو بفعل السيدة زينب عليها السلام أو بغير ذلك.

٢. إنّها مرجوحة بالعنوان الثانوي، حتى لو كانت مشروعة بالعنوان الأوّلي، وهذا هو مرجع الكثير من المواقف الرافضة لبعض التصرّفات في المظاهر العزائيّة الحسينيّة، وإليه يرجع موقف تيار خطّ الإمام الخميني اليوم، وهو المنهج الذي يلاحظ في كلمات السيد علي الخامنئي حفظه الله.

٣. عدم ثبوت عنوان الشعيرة عليها حتى لو ثبت شمول العمومات لها؛ لأنّ البعض يحاول خلع عنوان الشعيرة على ما يشتهر ولو مؤخّراً، كما هو منهج بعض المعاصرين، وما قصدتُه بالعمومات ليس عمومات البكاء فقط، فإنّه قد يُدّعى انصرافها عن غير المتعارف، بل هي عمومات إحياء الأمر والتذكير بمصابهم والجزع لو تمّ الأخير.

٤. إنّها محرّمة بالعنوان الأوّلي، وهذا هو منهج السيد محمّد حسين فضل الله رحمه الله في مثل قضيّة التطبير، حيث يدرجه ضمن الإضرار المحرّم بالنفس والجسد.

إذن، فالخلاف بين المجيزين والمانعين يرجع إمّا إلى نفي استحباب هذه الأفعال بالعنوان الأوّلي، أو إلى تحريمها بالعنوان الثانوي، أو إلى

تحريمها بالعنوان الأوّلي، أو إلى نفي عنوان الشعيرة عنها ما دامت غير موجودة في عصر النصّ ولا منصوصة في الكتاب والسنّة.

وأمّا حديثكم عن التناسب مع كرامة المؤمن وغير ذلك، فهذا من ضمن البحث في عدم وجود مانع أوّلي أو ثانوي، ومن هنا فالطرف المثبت للشرعيّة لا يرى منافاةً لحقّ المؤمن وكرامته في كلّ هذا ما دام فتح باب شرعيّة الجزع من جهة، وباب كون المحزون عليه هو مقام أهل البيت الذي يرخص دونه المقام الشخصي من جهة ثانية، فيصعب الدخول معهم في مثل ذلك على مستوى البحث الإقناعي.

رسائل مثيرة بأعمال دينية خاصّة
عبر وسائل التواصل الاجتماعي[1]

◈ **السؤال: تأتينا في الآونة الأخيرة رسائل كالتالي: (السلام على قلبك يا صاحب الزمان، السلام على الباكي بدل الدموع دماً، السلام على المنتظر للثأر، مواساةً لك بمصاب جدّك الحسين عليه السلام، ولتعجيل فرجك نهديك الصلوات المحمديّة. ملاحظة: القراءة حتى مساء غد الجمعة، وستتم زيارة بالنيابة عن المشاركين عند الإمام الحسين وأبي الفضل العباس عليهما السلام. الرجاء إرسال عدد الصلوات على محمد وآل محمد التي تريد قراءتها). هذه الرسائل تطالبنا بعدد معيّن من ذكر الصلاة على محمّد وآل محمّد بنيّة تعجيل الظهور للإمام المهدي عليه السلام. وبعد ذلك ستتمّ الصلاة والزيارة نيابة عن المشاركين في المقام المذكور في الرسالة، وفي النهاية تأتينا الرسالة التالية: (تمّت الهدية لصاحب العصر والزمان. مليونين و٧٢٠ألف. صلوات محمّدية، وتمّت زيارة بالنيابة عن المشاركين عند الإمام الحسين وأبي الفضل العباس عليهما السلام. عظّم الله أجوركم وتقبّل أعمالكم. لا تنسوا صاحب العزاء مولانا القائم(عج) من دعائكم). ما هو رأيكم الكريم بهذا الموضوع؟**

◈ الجواب: أن يصلّي الإنسان على محمّد وآل محمّد فهو أمرٌ مندوبٌ إليه في نفسه، لاسيما في مثل مناسبة عاشوراء التي تتصل بمحمّد وآل محمّد. وأن يشجّع الإنسان الآخرين على الصلوات هذه فهو أمرٌ حسن أيضاً بلا شكّ، وينبغي العمل دوماً على تشجيع الناس على فعل ما هو صالحٌ وقُربيٌّ إلى الله تعالى مثل الذكر والتسبيح والثناء على الله والاستغفار والصلاة على محمّد وآل محمّد عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

---

(١) إضاءات ٤: ٣٣١

وأن يـزور الإنسـان مـن يستحبّ زيارتـه ويهـدي ثـواب ذلـك إلى شـخصٍ آخـر لهـو أمرٌ حسـنٌ أيضـاً عند كثير مـن العلـماء، ولـه واقعيّة مـن وجهـة نظرهـم، والله فضلـه عميـم، وإن كان هنـاك مـن لـه بعض التحفّظـات عـلى هـذا الموضـوع؛ انطلاقاً مـن قولـه تعـالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسـانِ إِلاَّ ما سَـعى﴾ (النجم: ٣٩)، على أسـاس أنّ له سـعيه وليس سـعي غـيره، تمامـاً كـما أنّ عليـه وزره وليس وزر غـيره، والآيـة قالت: ليـس لـه، ولم تقـل: ليـس عليه، ممـا يشـير ـ بحسـب وجهة النظـر هذه ـ إلى أنّ الإنسـان لا يحظـى إلا بنتائـج عملـه لا نتائـج عمـل غـيره ولـو أرسـلها لـه هديـةً. وقـد يناقـش بعضهم في هـذا الـكلام من حيـث إنّ مـن نتائـج عملـه مثلاً هـو زيادة الله لـه في الحسـنات لو قدّمهـا له غيره، والبحـث طويل.

وعـلى أيّـة حـال، فهـذه الأمـور لا مشـكلة فيهـا مـن حيـث المبـدأ، لكـنّ المشـكلة تكمن في مـا نلاحظه من انتشـار واسـع للغايـة لمثل هذه الرسـائل التـي تضع أرقامـاً وآليات محدّدة، قـد توهم النـاس بأنّها ذات طابـع ديني خاص، بمعنـى أنّها منصوصٌ عليها في الـشرع بهذه الطريقة أو الآليـة، فيـما هـي قد تكـون لا أصـل شرعيّ لهـا على الإطـلاق، وإنّما هـي مـن بنـات أفـكار صانعهـا، فـإذا لم يكـن الأمـر منصوصـاً عليه في الـشرع، فهـذه الأسـاليب ينبغـي أن تكـون في إطـار وبطريقـة لا توهم أنّهـا مسـائل ذات صفـة شرعيّـة منصوصـة بتفاصيلهـا، وما عـدا ذلك فكلّـه لا بـأس بـه مـا دام المضمـون سـليماً ولا يكـون على حسـاب أمر شرعي آخـر أهـمّ بطريقة سـلبيّة.

ومـن هـذا النـوع الكثير مـن الرسـائل المنتشرة سـابقاً واليـوم بأعمال خاصّـة في أوقـات خاصّـة وأذكار معيّنـة، وكذلـك التهديـد بأنّـه لـو لم

يقـم بهـذا العمـل وينـشره فسـوف يلقـى كـذا وكـذا جـزاء ومصيبة في الدنيـا والآخـرة ونحـو ذلـك مـن المصطنعـات التـي غالبـاً ـ لـو لم أقل دائـماً ـ لا يكـون لهـا أصـل في الديـن، وإنّـما هـي كيفيـات وقصـص وضعهـا أصحابهـا بغاية الترغيـب في الدين أو بغايات أخـرى لا نعرفها ولا نريـد أن نتهـم أحـداً فيهـا، فمثـل هـذه الأمـور التي توجـب توهّم نسـبة هـذه الأشـياء بتفاصيلهـا للـشرع والديـن ينبغـي التنبّه لهـا كي لا تتـوارث الأجيـال أعـمالاً لا أسـاس شرعـيّ لهـا، فتصبـح بعد قـرن أو قرنـين جـزءاً من حقائـق الدين على المسـتوى الشـعبي في الحـدّ الأدنى.

يجـب أن يكـون لنـا حسّ التحـذّر مـن مثل هذه الأشـياء لكـي نقوم بترشـيدها بـما ينفـع ولا يـضرّ، وإن كان الأنسـب بالإنسـان أن ينشر ما ورد في الـشرع مـن أعـمال، ولا يخـترع مـن عنده شـيئاً بـما يوهم نسـبته للديـن الحنيف.

بـل مـع الأسـف الشـديد فقـد رأينـا أحاديـث مكذوبـة عـلى النبـي والصحابـة وأهـل البيـت تنتـشر في وسـائل التواصـل الاجتماعـي ولا أصـل لهـا عنـد المسـلمين، ويجـب التنبّـه دومـاً ـ كما أشرنـا مـراراً ـ لهذا الموضـوع، وأنّـه في غايـة الخطـورة عـلى المسـتوى الدينـي، ممّـا يكشـف عـن أنّ هنـاك من يتعمّـد الكذب على رسـول الله في هذه الأيـام لغرضٍ عـدواني سيء أو انطلاقـاً مـن جهـل دينـي كبـير، وعلينـا هنـا أيضـاً أن نبـدو حذريـن جـداً مـن هـذا، وأن ننـشر الوعـي والعقلانية بـين عامّة النـاس، ونكـرّس ثقافة التوثيـق والتأكّـد في القضايا الدينيـة، بدل ثقافة التلقـين، فليـس كلّما جاءنا شـخص بشيء أخذنـا به ومشـينا في طريقنا، بـل مقتـضى التحـذّر من البـدع والخرافـات، ومقتـضى حمايـة الدين هو الوعـي والسـؤال والتثبّت والمناقشـة الموضوعيّـة للتأكّد من نسـبة شيء

إلى الديـن، فمـن هنـا علينا في هـذه الحـالات أن نطالـب بالتوثيق، وأن نسـأل ونهتـم كلّـما كان في المضمـون مـا يريـب أو يُثـير، فهـذا الحـسّ الاستشـعاري ضروريٌّ لحمايـة تديّننـا مـن الخرافـات والخزعبـلات والمؤامـرات والمنامـات المختَلَقَـة والأقاصيـص المبتكـرة المكذوبة، حمانا الله جميعـاً مـن الضلالـة والزيغ.

النطح والتطيين و.. وشعائر عاشوراء![1]

◈ **السؤال: بالنسبة لبعض الممارسات العاشورائية مثل شعيرة النطح وشعيرة التطيين، هل هي من الشعائر وداخلة تحت الجزع على الحسين؟ حيث سمعت أحد الخطباء يستدلّ على جواز التطيين بما فعله السيد البروجردي بالتبرّك ببقايا الطين الذي في أرجل زوّار الحسين، ووضعه على عينيه، وعليه فهو شعيرة. فما تقول شيخنا الفاضل في هذا القول والاستنتاج؟**

◈ الجواب:

في سؤالكم أكثر من جهة تمّ دمجها ببعضها:

أ. أنّ هذه الأفعال جائزة في حدّ نفسها، وهذا صحيح؛ فإنّ تطيين الإنسان لنفسه ليس من محرّمات الشرع بالعنوان الأوّلي، وكذا نطح رأسه بشيء، ما لم يلزم الضرر المعتدّ به عند العقلاء. ومثل هذا المشي على الجمر، و(التزجيج) الذي رأيناه مؤخراً من التقلّب على الزجاج المفتَّت، و (التشويك) بملامسة الأشواك، والزحف المضني لمسافة طويلة، وغير ذلك مما نراه اليوم، فهذا في نفسه جائز ما لم يلزم منه ضرر بليغ، لا مجرّد الضرر البسيط كجرح صغير أو احمرار أو نحو ذلك. وأمّا العنوان الثانوي فيختلف باختلاف تقويم الأشخاص للمسألة وفهمهم للرؤية العامّة للموضوع، وليس في العنوان الثانوي هذا من حيث التشخيص نصٌّ ديني محدّد، فقد يشخّص فقيهٌ أو خبيرٌ أنّ هذا الأمر يهتك حرمة الدين، وقد يشخّص آخر العكس تماماً.

---

(١) إضاءات ٤: ٣٣٤

ب. أنّ هـذا التطيـين شـعيرة أو ذاك النطـح شـعيرة، وهـذا الموضـوع يختلـف عـن الموضـوع الأوّل، فجـواز شيء لا يصـيّره شـعيرةً كـما هـو واضـح، وهنـا يوجـد اتجاهـان:

الاتجـاه الأوّل: وهـو الذي يـرى توقيفيّة الشـعائر، وأنّ الشـعائر لابدّ أن تكـون منصوصـةً في الـشرع، وعـلى هـذا الـرأي المنسـوب للمحقّق النراقـي، والـذي ذهـب إليـه أمثـال الإمـام الخالـصي والعلامة السـيد محمـد حسـين فضـل الله (انظـر لـه: فقـه الحـجّ ١: ٦٥ ـ ٦٨؛ تقريـراً لبحـوث العلامة فضـل الله، بقلم الشـيخ جهـاد عبدالهـادي فرحات)، لا يمكـن للتطيـين ولا للنطـح ولا للتطبـير ولا لأيّ فعـل مهـما عظـم جمهـوره، ومهـما صـار شـعاراً للديـن، أن يدخـل في الشـعائر التي ورد الحـثّ عـلى تعظيمهـا في النصـوص القرآنيّـة والحديثيـة، مـا لم نُثبـت في المرحلـة السـابقة أنّ هـذه الأفعـال والسـلوكيّات منصـوصٌ عليهـا في الـشرع بنـصّ خـاصّ يدرجهـا ضمـن شـعائر الدين.

الاتجـاه الثـاني: وهـو الاتجـاه الذي لا يـرى توقيفيّـة الشـعائر، كما هو المعـروف مـن مذهـب السـيد محسـن الحكيـم والسـيد محمد الشـيرازي وغيرهمـا، ونظّـر لـه بعـض المعاصريـن بتوسّـع، فيكفـي لصـيرورة الـشيء شـعيرةً أن يكـون مباحـاً بالعنـوان الأوّلي (والثانـوي) من جهة، ويخـدم العناويـن الدينيـة العامّـة مـن جهـة ثانيـة، وأصبـح في العـرف ولـو المعـاصر معلـماً مـن معـالم الديـن الظاهرة مـن جهـة ثالثـة، وعليه فالتطيـين والنطـح إذا صارا بهذا المسـتوى فهما شـعيرة حـثّ الشرع على تعظيمهـا عندهم.

لكـن حتـى عـلى الاتجـاه الثـاني لا يكفـي لصـيرورة الشيء شـعيرةً ـ عنـد كثـير مـن أنصار هـذا الاتجـاه ـ أن يفعله شـخص واحـد أو عشرة

أشخاص، بل لابدّ أن يتحوّل إلى شعار وعلامة بارزة تشير إلى الدين والقيم الدينية والشخصيّات الدينية المقدّسة، فلو فعل شخصٌ النطح في بيته مرّةً واحدة لم يصر الفعل شعيرةً، ولو كان الفاعل مرجعاً دينيّاً، بل لابدّ من خروجه إلى حيّز الظهور ليكون معلماً بارزاً لهذا الدين، كما في مثل الشهادة الثالثة أو التطبير أو غير ذلك، فإذا بلغت ظاهرة التطيين أو النطح هذا المبلغ وتحقّقت فيها الشروط المتقدّمة، صارت شعيرة مرغوبة في الدين وفقاً للرأي الثاني.

وأمّا قضيّة الجزع، فالجزع أمرٌ قلبي لا مجرّد استعراض ظاهري، فإذا لم يصدر التطيين عن انفعال باطني عفوي ناتج عن انهيار عصبي أو شبه انهيار، فليس جزعاً وإنّما هو تجازع، فلاربط بين هذه الظواهر ومفهوم الجزع إلا مع صدورها عن حالة عاطفيّة هائلة تدفع للفعل بطريقة أشبه بغير الواعية من شدّة الضغط النفسي على الشخص. نعم، إذا قيل بأنّ دليل شرعيّة الجزع يشمل بروحه التجازع أمكن الأمر.

وأمّا فعل السيد البروجردي رحمه الله، فهو لو صحّ تاريخيّاً بالطريقة التي نقلتموها، لا يصيّر التطيين الذي يفعله بعض الناس اليوم شعيرةً، إذ لا ربط بين الاثنين، فهذا ناشيء عن مفهوم التبرّك بمثل غبار زوّار الحسين عليه السلام، فيما التطيين قد يكون بوضع الطين العادي على الرأس والجسد ولو لم يكن له علاقة بالزيارات والزوار أو بما يكون على أجسامهم، ولا هو من طين قبر الحسين عليه السلام، وفعل السيد البروجردي لا يؤشر لشعيرة ظاهرة التطيين فضلاً عن النطح.

لكن المنقول عن السيد البروجري ـ والعهدة على الناقلين ـ أنّه تبرّك بالطين الذي كان وضعه المشاركون في العزاء، لا زوار قبر

الإمـام الحسـين عليه السلام، وفي هـذه الحـال يكـون جوابنـا هـو أنّ فعلـه ليـس بحجّـة، فليـس السـيد البروجـردي معصومـاً، ولا أعمالـه بالتـي يحتجّ بهـا في الشريعـة الإسـلاميّة، فلديـه قناعـة بـما فعل وهـي قناعـة محترمة وليسـت محرّمـة، أمّـا ثبوت هـذا الأمر واقعـاً بفعلـه وكونه مسـتحبّاً أو شـعيرةً أو واجبـاً فليـس صحيحـاً.

وبالإجمـال العـام قلنـا سـابقاً ومـراراً بـأنّ المهـم في هـذا الموضـوع ـ إلى جانـب الإطـار الشرعـي الفقهـي ـ هـو الوعـي العـام والمسـتوى الثقـافي الاجتماعـي العـام الـذي يقـوم بصياغـة العـادات والممارسـات عـلى طريقتـه، فكلـما صغنـا هـذا الـذوق العـام والمـزاج العـام بطريقـة معيّنـة، ظهـرت أسـاليب تعبيريّـة معيّنـة منسـجمة مـع الـذوق، وهـا هـي وسـائل الإعـلام العالميّـة تقـوم ببلـورة الـذوق البـشري عامّـة، وتغـيّر (اسـتذواقات) النـاس وأحاسيسـها الجماليّـة، فعلينـا الاشـتغال عـلى صياغـة الـذوق العـام بـما ينسـجم مـع روح الإسـلام والشريعـة وأدبيّاتهـا والقيـم الإنسـانية والأخلاقيّة النبيلة، لا صياغـة الذوق العام بـما ينسـجم فقـط مع عـادات شـعب بعينـه، لتتحـوّل طريقتـه التعبيرية إلى معـبّر عـن الأداء الديني لدينـا.

زمان ركعتي الزيارة قبل أو بعد الزيارة؟

◈ **السؤال: متى يؤتى بركعتي الزيارة عن بُعد، قبل أو بعد أداء الزيارة، كزيارة عاشوراء على سبيل المثال؟**[1]

◈ الجواب: الوارد في بعض روايات الزيارة أنّ صلاة الزيارة تقع بعد الزيارة كخبر الحسين بن ثوير وخبر حنان بن سدير، ويظهر من بعض مواضع كتاب المزار للشيخ المفيد، والمصباح للطوسي وغيرهما، ولم أعثر على شيء يتصل بوجود إطلاق لفظي في هذا الموضوع في حقّ جميع الزيارات وفي جميع الحالات ولو كانت الزيارة عن بُعد، بل في بعض الروايات أنّ ترتيب الصلاة التي تكون مع الزيارة يكون قبل الزيارة.

لكنّ بعض الفقهاء اعتبروا أنّ معنى صلاة الزيارة هو سببيّة الزيارة لهذه الصلاة ـ كما نقول صلاة الطواف حيث تقع الصلاة بعد الطواف ـ الأمر الذي يعني أنّها تقع بعدها تلقائيّاً، وعلى مقتضى القاعدة ما لم يرد نصّ خاص في زيارة معيّنة بإيقاع صلاتها قبلها، فإذا صحّ فهم هؤلاء الفقهاء كان مقتضى الأصل إيقاع صلاة الزيارة عن بُعد ـ لو كان للزيارة عن بُعد صلاة ـ بعد الزيارة نفسها، والله العالم.

نعم، نُسب لبعض العلماء السابقين المعاصرين للعلامة المجلسي المنع عن صلاة الزيارة إذا كانت الزيارة لغير النبي وسائر الأنبياء والأئمّة والسيدة الزهراء عليها السلام، مثل زيارة أبي الفضل العباس، أو فاطمة بنت الإمام الكاظم، أو السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب، أو السيد عبد العظيم الحسني أو غيرهم من العلماء والمؤمنين أيضاً،

(١) إضاءات ٥: ٣٣٠

وقالـوا بـأنّ صـلاة زيـارة مثل هؤلاء غـير مشرّعـة في الديـن، وتعرّض هـذا القول غـير المشـهور لمناقشـات تراجـع في مكانها.

هـذا، ولابـدّ ـ عمـلاً ـ مـن الاجتهـاد في القضيّـة أو الرجـوع إلى من يرجـع إليـه المكلّـف من الفقهـاء المفتين، فقـد تختلف المـوارد والحالات عنده.

هل شهر صفر شهر حزن وبكاء، أم أنّه يختلف عن شهر محرّم الحرام؟[1]

◈ **السؤال: تذكر بعض الأخوات أنّ علينا أن نظهر الحزن في شهر صفر، من لبس السواد وعدم الذهاب للمطاعم والرحلات وتجنّب التجمّل وعدم الذهاب لحفلات الزواج؛ لأنّ ثورة الحسين تستحقّ منّا كلّ هذه التضحيات، وأنه وبفضل هذه الطقوس استمرّت الثورة، وأنّ شهر صفر شهر حزن. السؤال: هل هذا صحيح؟ ومن أين أتت هذه الأفكار؟ وما هو تاريخ إقامة هذه الطقوس في شهر صفر؟**

◈ الجواب: إنّ التفاعل مع قضيّة الإمام الحسين عليه السلام أمرٌ حسن في حدّ ذاته وفقاً للنصوص الكثيرة الدالّة على ذلك، ومن الجميل ـ بناءً عليه ـ أن يعيش الإنسان مظاهر الحزن والألم على هذا الإمام العظيم.

والتعبير عن هذا الحزن مختلف، فبعض أشكال التعبير وردت فيها بعض النصوص والروايات الخاصّة، مثل الزيارة عن قرب أو بعد، والحزن والبكاء، وذكر مصابهم وتداوله، وإحياء ذكرهم وأمرهم، وغير ذلك، لكنّ بعضها الآخر إنّما هو تعبير بشري عن الحزن ليست فيه نصوص خاصّة ثابتة أو معتمدة، وفقاً للمعايير التي يعتمدها العلماء في التعامل مع الوثائق التاريخية والحديثية، مثل التطبير (ضرب القامات)، ووضع الأقفال على الأبدان، وضرب السلاسل، واللطم العنيف المدمي، وشبه التعرّي الموجود أحياناً، والمشي على النيران، والزحف والمشي مشية الكلاب على أبواب

(١) إضاءات ٢: ٣٩٨

المراقد المطهّرة لأهل البيت و.. فليس لدينا روايات خاصّة بهذه الأمور تثبت من الناحية العلميّة، نعم قد يكون بعضها مشمولاً للنصوص العامّة.

وقد ورد في بعض الروايات ـ وكذلك نصوص العلماء المتقدّمين كالشيخ المفيد ـ أنّ بعض الأئمّة كانت تظهر عليهم وعلى بيوتهم آثار الحزن في الأيّام العشرة الأولى من شهر محرّم، وأنّ هذا معناه أنّه من الطبيعي اعتزالهم لمظاهر الفرح والابتهاج في هذه الأيام، ممّا يعني أنّها أيام حزن بالنسبة إليهم، وأنّ على الموالي لأهل البيت أن يقوم بذلك في هذه الأيام، لكنّنا لا نملك نصوصاً تتحدّث عن شهر صفر، ولا أعرف مستنداً يدلّ على أنّ الشيعة كانوا قبل العصر الصفوي يعرفون شهر صفر بوصفه شهر بكاء وحزن، مثله مثل العشرة الأولى من محرّم، كما ليس لدينا في الأحاديث الصحيحة ما يفيد ذلك، سوى قضيّة زيارة الأربعين في صفر، والتي لم تثبت بدليل خاصّ، كما بينتُ ذلك في جواب عن سؤال سابق، وإنّما هي ثابتة بدليل عام، والدليل العام لا فرق فيه بين صفر وغيره.

من هنا وفي حدود تتبّعي المتواضع، لم أعثر على نصوص أو أحاديث أو معلومات تاريخية ثابتة تؤكّد اعتبار صفر بنفسه شهرَ حزن، إلا إذا قلنا بأنّ الموالي لأهل البيت يعدّ الدهر كلّه عنده حزن وهذا أمر آخر.

نعم، هذا لا يمنع الحزن في بعض اللحظات في صفر، كما في حال الزيارة، أو حال شرب الماء أو غير ذلك، ممّا وردت فيه النصوص، إنّما كلامنا في وجود اعتبار ديني لشهر صفر بوصفه شهر حزن وبكاء، وهذا ما لم يثبت. والعلم عند الله.

شهر صفر ليس شهر حزن،
تعليقات على انتقادات[1]

◈ السؤال: أحد المشايخ في منطقتنا علّق على ما نشرتموه في موضوع شهر صفر وأنّه لم يثبت كونه شهر حزن بعنوانه، واستدلّ على أنه شهر حزن بعدّة أدلّة، وهي: سيرة العلماء القريبين من عصرنا كالإمام الخوئي، ومن عاصرنا من أساتذتنا العظام كالشيخ التبريزي والشيخ الوحيد وغيرهما من المراجع المقيمين في قم أو النجف، الكاشفة عن وجود سيرة متشرّعية وصلتنا يداً بيد منذ عصر المعصوم، ولا أقلّ من كون ذلك محتملاً؛ لأنّهم لا يعملون مع هو مخالفٌ للاحتياط، مع كراهة لبس السواد في الشرع، وهذا يؤكّد وجود سيرة أو دليل لفظي. وأيضاً إنّ معالم الحزن في شهر صفر من مصاديق إحياء الأمر؛ لما في هذا الشهر من أحزان جرت على أهل البيت. وأيضاً التمسّك بإطلاق نصوص لبس السواد، فإنّها غير محدّدة بشهر محرم الحرام ولا بالعشرة الأولى، بل هي مطلقة شاملة لكافّة الأوقات والأيام حزناً على أبي عبد الله الحسين، وصفر شهر مصائبهم عليه السلام. وأيضاً ما جاء في كتاب المحاسن من أنّ العلويّات لبسن السواد والمسوح بعد عودتهنّ من كربلاء إلى المدينة، وهذا يدلّ على جعل أيام صفر أيام حزن وأسى؛ لأنهنّ قد دخلن المدينة في أوائل شهر ربيع الأوّل، وقد اتخذن تلك الأيام التي جرت فيها المصائب أيام حزن يرتدين فيها لباس أهل المصيبة. وأيضاً المقرّر في محلّه أنّ الشعائر الحسينيّة تنقسم إلى شعائر منصوصة وشعائر مخترعة، والمخترعة تشملها العمومات الدالة على مشروعيّة كلّ شعيرة شعيرة. والقول بتوقيفية الشعائر ممنوع، كما فصّل في محلّه. وأيضاً ما جاء في المستدرك من ارتداء العلويات بل القرشيات السواد في الشام بعدما أذن

(١) إضاءات ٥: ٤٢٠

لهنّ يزيد بالرجوع، وهذا دليل على لبس السواد خلال شهر صفر المظفّر، وقد أمضى الإمام زين العابدين فعلهنّ، ما يكشف عن محبوبيّة ذلك فضلاً عن مشروعيّته، ويمكن أن يستشرف ذلك من خلال رواية أحمد بن إسحاق الواردة في عيد ربيع المولود، فإنّ اتخاذ يوم التاسع منه يوم عيد يكشف عن الخروج من حالة حزنٍ وأسى ودخول في حالة فرح وسرور، ولا يبعد أن يكون ذلك لنزع السواد الذي كان متخذاً لشهري محرم وصفر، فتأمّل. بل قد تضمّنت الرواية المذكورة التصريح بأنّه يوم نزع السواد، وهذا يساعد على ما ذكرناه من ارتداء الأسود خلال هذين الشهرين حتى حلول يوم العيد. وقد يؤيّد المقام وأنّ السواد شعار كلّ مؤمن يعيش الحزن على الحسين بما فعله العباسيّون في ثورتهم باتخاذهم السواد شعاراً، مظهرين الحزن على الإمام الحسين، وهذا يكشف عن كون السواد يعدّ مظهراً من مظاهر الحزن والأسى والتفجّع يلبسه كلّ من يعيش الألم والأسى. انتهى. شيخنا الكريم، هذه تقريباً عبارات الشيخ الذي كان يريد. على ما يبدو. أن ينتقدكم؟ فما تعليقكم؟

◈ الجواب: بعد الشكر لكم وللشيخ الناقد الموقّر حماه الله (ولو بناءً على احتمالكم كونه ناقداً لي)، لو تسمحون لي ببعض التعليقات، التي سأسير بها على وفق سيركم في ذكر ملاحظاته المشكورة، وأتمنّى أن تُقرأ تعليقاتي بهدوء، وتلاحظ عباراتها وقيودها جيداً؛ رفعاً لأيّ التباس:

أولاً: إنّ الاستدلال بسيرة بعض العلماء المعاصرين غير دقيق هنا؛ وذلك:

١. إنّهم قد يكونون استندوا إلى عمومات إحياء الأمر، وليس إلى اعتقادهم بخصوصيّة صفر، أو أنّهم وجدوا سيرة الناس

عـلى ذلـك فأقـرّوا هـذه السـيرة؛ كونهـا توافـق المصالـح المذهبيّـة والمقاصديّـة والشـعائريّة العامّـة، الأمـر الـذي يسـمح بالتغـاضي عـن إشـكاليّة الكراهـة الأوليّة في لبس السـواد، ومن ثـم لن تكون هـذه السـيرة دليلاً بنفسـها ولا بكاشـفٍ عـن دليل مسـتقلّ غير ما سـيأتي مـن أدلّة.

٢. إنّ الناقـد الموقّـر نفسـه قـال بأنّهـا ـ لا أقـلّ ـ تعطـي احتـمال وجود سـيرة متشرّعيـة متصلـة بعـصر النـصّ، لكـن مـن الواضـح ـ كـما درسـنا جميعـاً في أصول الفقـه ـ أنّ احتمال السـيرة المتشرّعية لا يفيد شـيئاً في مقـام إثبـات حكـمٍ شرعـي، بـل لابـدّ للسـيرة أن تكـون ثابتـة، ولهـذا ذكـر السـيد محمّـد باقـر الصـدر رحمـه الله في بحوثـه الأصوليّـة طرقـاً عـدّة لإثبـات السـيرة المتشرعيّـة في عـصر النصّ، وعليـه فـلا يكفـي احتـمال السـيرة، لا لإثبـات حزنيّـة شـهر صفر بنفسـه، ولا لرفـع كراهـة لبس السـواد لو كانـت الكراهـة الأوليّة ثابتـة فيـه؛ فـإنّ تخصيـص العـام أو تقييد المطلـق لا يكـون بالدليل المحتمـل، كـما هـو واضح.

٣. أضـف إلى ذلـك أنّنـا نحـرز عدم وجـود سـيرة متصلة بزمـن النبي وأهـل بيتـه، فلـم يذكـر أيّ مـؤرّخ ولا محـدّث عـلى الإطـلاق ـ فيـما بـدا لنـا ـ أنّ الشـيعة في القـرون الثلاثـة الهجريّـة الأولى كانت تعيـش الحزن في شـهر صفـر كلّ عـام، وأنّهم كانوا يرتدون السـواد ولـو في بيوتهـم ويتداعـون لـه، ولم يُـشر أيّ فقيـهٍ إلى هـذا الموضوع إطلاقـاً ليخصّـص أو يقيّـد بـه أدلّـة كراهة لبـس السـواد، أو يفتي بموجبـه باسـتحباب الحـزن في هـذا الشـهر بخصوصـه، بحيـث تكـون له ميزة على سـائر الشـهور، فكيـف ندّعي احتـمال الاتصال

في السيرة، رغم خفاء كلّ هذه المؤشرات التاريخية والحديثية والفقهيّة عبر مدّة تزيد عن ثلاثة عشر قرناً تقريباً؟! وهل يعقل معروفيّة عنوان الحزن لهذا الشهر (صفر) ـ لأنّ السيرة تقتضي العموم والاشتهار عادةً حتى تكون سيرة ـ ومع ذلك لا تشير إليها أيّة وثيقة تراثيّة أو تاريخيّة؟!

٤. وأمّا أنّ العلماء المعاصرين لا يعملون بما هو مخالفٌ للاحتياط، فنسأل: هل مخالفة المكروه (لبس السواد) تعدّ مخالفة سيّئة للاحتياط؟ ثم ـ لو سلّمنا ـ فلعلّهم يرون دليل إحياء الأمر حاكماً على دليل الكراهة، فيرتفع بذلك الإشكال عندهم، وسيأتي التعليق على الاستدلال بدليل إحياء الأمر. وأين هذا من خلق فتواهم أو مواقفهم لسيرة متشرّعية تتصل بعصر يرجع إلى أكثر من ألف سنة قبلهم؟!

ثانياً: إنّ الاستدلال بدليل إحياء الأمر، وكذلك الاستدلال بعمومات الشعائر ـ بعد القول بعدم التوقيفيّة في الشعائر ـ هو استدلالٌ لطيف، ونصرف النظر عن المناقشة في أصله، فإنّه خلاف مبنائي، لكن لو تمّ الاستدلالان المشار إليهما (دليل إحياء الأمر ودليل عمومات الشعائر) فماذا يفيدان؟ إنّهما يفيدان الاستحباب العام لإبداء الحزن على الحسين عليه السلام، لكن هل بحثي كان في مطلق إبداء الحزن على الإمام الحسين في شهر صفر، أو في كون شهر صفر بعنوانه شهر حزن في الشرع الحنيف؟ وقد درسنا بأجمعنا عند أساتذة الحوزة العلميّة أنّ هناك فرقاً بين استحباب الشيء بعنوان عام، واستحبابه بعنوانه الخاص، وتكلّمتُ سابقاً عن هذا الموضوع في جوابٍ آخر، فمثلاً العمومات تشير بعموميتها إلى استحباب إحياء

الأمـر في شـهر رمضـان أيضـاً، لكن هـل هذا يثبـت أنّ شـهر رمضان ـ بـما هـو شـهر رمضـان ـ هو شـهر حـزن حسـيني، أو هو مجـرّد مصداق للعنـوان العـام، بـلا فرق بينه وبين سـائر الشـهور من حيث نسـبتها إلى الدليـل العـامّ الآمـر بإحيـاء الأمر؟

لقـد قلـتُ في جوابي السـابق حول شـهر صفر مـا يـلي: (.. لا نملك نصوصـاً تتحـدّث عـن شـهر صفـر، ولا أعـرف مسـتنداً يـدلّ عـلى أنّ الشـيعة كانـوا قبـل العـصر الصفـوي يعرفون شـهر صفر بوصفه شـهر بـكاء وحـزن، مثلـه مثـل العـشرة الأولى مـن محـرّم، كـما ليـس لدينا في الأحاديـث الصحيحـة مـا يفيـد ذلك، سـوى قضيّـة زيـارة الأربعين في صفـر، والتـي لم تثبـت بدليـل خـاصّ، كـما بينـتُ ذلـك في جـواب عن سـؤال سـابق، وإنّـما هـي ثابتة بدليـل عـام، والدليـل العام لا فـرق فيه بـين صفـر وغـيره. مـن هنـا وفي حـدود تتبّعـي المتواضـع لم أعثـر عـلى نصـوص أو أحاديـث أو معلومـات تاريخيـة ثابتـة تؤكّـد اعتبـار صفـر بنفسـه شـهرَ حزن).

إنّ هـذا النـصّ واضح في أنّه يتحدث عن اعتبار شـهر صفر (بنفسـه) شـهر حـزن، لا عـن إمكانيـة تطبيـق العمومات عليـه، بـما لا يميّزه عن سـائر الشـهور التي يمكـن تطبيق هـذه العمومات عليهـا أيضاً.

ثالثـاً: أمـا الحديـث عـن التمسّـك بإطـلاق نصـوص لبس السـواد، مـن حيـث عـدم كونهـا خاصّـة بشـهر محـرّم، فهـذا يمكـن أن يناقش:

أ. هـل توجـد نصـوص خاصّـة أصـلاً في (الحثّ) عـلى لبس السـواد في العـزاء ثابتـة ومعتبرة (عـلى مبنى حجيـة خبر الثقـة أو على مبنى الوثـوق) ولهـا إطـلاق، حتى نتمسّـك بها؟ (طبعـاً غير مبـدأ إحياء الأمـر وعمومـات إقامـة الشـعائر، التـي تحدّثنـا عنها قبـل قليل)؟

حبّذا لو يرشدنا إليها الناقد العزيز، مع أنّ الإطلاق الأوّلي للنصوص العامّة في لبس السواد يفيد كراهيته وليس الدعوة إليه، ولهذا بحثوا في كيفيّة إخراج حالة العزاء الحسيني عن تحت إطلاق أو عموم كراهة لبس السواد، فلتراجع كلماتهم. ولعلّني فهمت مراد الناقد الموقّر خطأ. واللافت أنّه هو نفسه قد أقرّ بأنّ لبس السواد مكروهٌ في أصل الشرع، وذلك عند مقاربته للدليل الأوّل الذي ذكره، وهو سيرة العلماء المعاصرين، فراجع.

ب. إنّ ما هو موجود بين أيدينا من نصوص لبس السواد في حال العزاء (وقد جمع أكثره الشيخ محمّد سند، في كتاب: الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد: ٣٨٣ ـ ٣٩٠). إنّ ما هو موجود بين أيدينا من نصوص لبس السواد في حال العزاء أغلبه يحكي عن أفعال، وليس عن نصوص لفظيّة لها حيثيّات إطلاقيّة، ولو كان هناك خبر معتبر فيه هذا الإطلاق فمن النافع إرشادنا إليه لنستفيد إن شاء الله، وإذا كانت النصوص تحكي عن أفعال، فهذا معناه أنّ الإمضاء لا يُعلم أنّه راجع لكون لبس السواد بعنوانه ثابت الاستحباب، بل قد يكون لكونه مصداقاً للعمومات، فليست نصوص لبس السواد ذات دلالة أزيد من دلالة العمومات حينئذٍ فتأمّل جيداً.

ج. إنّه ما دامت كثير من روايات لبس السواد في العزاء عبارة عن أفعال تمّ السكوت عنها، فإنّ غاية ما يفيد ذلك هو سقوط كراهة لبس السواد في العزاء، وثبوت إباحته بالمعنى الأخص، أمّا إثبات استحبابه فهذا لا تفي به الكثير من نصوص لبس

السواد في العزاء، فراجع، فعندما تلبس بعض النسوة السواد على شهيدٍ معيّن، ويكون ذلك بمرأى النبي أو الإمام، ثم يسكت، وينطلقن في هذا الأمر من الأعراف العامّة الجارية عند كثير من الشعوب ـ كما قال الناقد العزيز هنا أيضاً ـ ففي هذه الحال، لا يكون السكوت دليلاً على استحباب لبس السواد في العزاء بعنوانه، ما لم تقم قرينة خاصّة، بل دليلٌ على سقوط كراهة اللبس على أبعد تقدير، ومن ثم فالاستحباب يحتاج إلى عمومات إحياء الأمر وغيرها، ولهذا لو تغيّرت الأعراف وصار لبس السواد عنواناً للفرح، ولبس اللون الأزرق هو المتعارف في الحزن والعزاء، فإنّ مقتضى عمومات العزاء وإحياء الأمر هو لبس الأزرق؛ لكونه مصداقاً لها، لا لبس الأسود الذي صار عنواناً للفرح عرفاً، وما ذلك إلا لأنّ استحباب لبس السواد ليس بعنوانه، وإنما لكونه مصداقاً لعمومات إحياء الأمر والعزاء، فلاحظ جيداً.

د. إنّ إطلاق لبس السواد في العزاء ـ لو تمّ ـ لا يفيد في كون شهر صفر بعنوانه شهر حزن بالاعتبار الشرعي؛ لأنّ نسبة هذا الإطلاق إلى جميع الشهور واحدة، فلاحظ جيّداً كما أشرنا من قبل، فنحن لا نتكلّم في مطلق العزاء في شهر صفر، بل في كون هذا الشهر يملك خصوصية دينيّة في هذا الموضوع، بحيث يعتبر بنفسه وعنوانه شهر حزن في الدين الحنيف.

رابعاً: أمّا الاستدلال بلبس العلويّات في الشام، وفي طريق العودة، وعند الدخول إلى المدينة، السوادَ بمرأى ومسمع من الإمام زين العابدين، فهذا لا يُثبت عنوانيّة شهر صفر للحزن شرعاً، بل هو لا

يُثبت شيئاً يُذكر، وذلك أنّ سكوت الإمام غاية ما يفيد رضاه عن حزنهنّ الذي جاء بعد الشهادة المباركة، ولا يكشف عن استحباب تكرار هذا الحزن في كلّ سنة في نفس الوقت، وإنّما الدليل على التكرار في محرّم هو النصوص الخاصّة الدالّة عليه، وهذا ما نعرفه من خلال التأمّل فيما درسناه في أصول الفقه في مباحث حجيّة الفعل أو الإمضاء، فإنّ الفعل والإمضاء يحدّدان بحدودهما، وليس فيهما إطلاق إلا بقرينة، فلو كنتَ مع الإمام وتوفّي صديق لك، ثم بكيت عليه، وسكت الإمام عن بكائك، بل امتدح بكاءك، وكان ذلك في شهر جمادى الأولى، فهل هذا يدلّ على أنّ الإمام يعطيك حكماً باستحباب البكاء على هذا الصديق في كلّ سنة في هذا الوقت من جمادى الأولى أو غاية ما يدلّ عليه هو حُسن البكاء على الصديق عقيب موته، بصرف النظر عن خصوصيّة الزمان التي لا تلحظ هنا عادةً؟

ولكي أوضح مرادي أكثر: هل نستطيع من خلال استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في شهر محرّم مثلاً أن نفتي ونقول: يستحب الاستشهاد في شهر محرّم؟ أو أن نقول: إنّ شهر محرّم مجعول شرعاً شهر استشهاد للمسلمين؟ هل يستنتج الفقهاء مثل هذه النتائج؟ إنّ ما حصل هو أنّه صادف أنّ عودتهنّ كانت في شهر صفر، ومن ثم لا نستطيع أن نجعل سكوت الإمام دليلاً على خصوصيّة صفر هنا ما لم تقم قرينة خاصّة في المقام.

ولعلّ الناقد الموقّر ظنّ أنّنا نرى حرمة السواد أو العزاء في شهر صفر، حتى يأتينا بأدلّة على وقوعه في هذا الشهر بمرأى من الإمام زين العابدين! مع ضرورة أن أشير أيضاً إلى أنّ بحثي في شهر صفر لا

علاقة له بأصل استحباب أو عدم استحباب لبس السواد في العزاء من حيث المبدأ، فهذان موضوعان مختلفان تماماً، وأرجو التدقيق؛ لعدم الخلط بينهما.

خامساً: أمّا رواية أحمد بن إسحاق فـ:

أ. بصرف النظر عن المناقشة في سندها ومدى صحّتها صدوراً ومضموناً ومتناً، وفيها كلام ليس بالقليل، وهي من أهم مستندات ما يُعرف بـ (عيد فرحة الزهراء)، وهي رواية غير معتبرة على المستوى الصدوري، لا على مستوى حجية خبر الثقة ولا الخبر الموثوق.

ب. لكن هل مجرّد اعتبار هذا اليوم عيداً معناه أنّ ما قبله كان حزناً بعنوانه أو حتى مطلقاً؟ فيوم الجمعة من الأعياد الثابتة في الشريعة، فهل هذا يعني أنّ يوم الخميس هو يوم حزنٍ في الشرع أو أنّ يوم الأربعاء هو يوم حزن؟ وعيد الغدير هو عيدٌ ثابت في النصوص الحديثيّة، بل قد وردت فيه رواية تفيد نزع السواد أيضاً، فهل هذا يعني أنّ ما بين عيد الغدير وعيد الأضحى هو أسبوع حزن بالاعتبار الشرعي الخاصّ؟! كيف يمكن الانتقال من أصل كونه عيداً إلى إثبات كون ما قبله هو شهر حزن بالاعتبار الشرعي الخاصّ والعام؟

ج. وأمّا التعبير في الرواية بـ (يوم نزع السواد)، فهذا ـ لو صرفنا النظر عن احتمال أنّه يراد به أنّ عصر فرح الشيعة وانتصارهم بظهور الحجّة سيكون في آخر الزمان في هذا اليوم، فتنزع كلّ مظاهر الحزن من حياتهم بالأخذ بالثأر ممّن قتل الحسين وظلم أهل البيت عليهم السلام ـ هذا التعبير لا يدلّ على كون ما قبله من شهر

صفـر ومحرّم أيـام لبس السـواد؛ لأنّ هـذا التعبير في لغـة العرب لا يعنـي أكثـر مـن كون التاسـع مـن ربيع يـوم فـرح، ففي هـذا اليوم لا يوجـد حـزن، فـكلّ مـن لديه حـزن ففي هـذا اليوم ينـزع الحزن عـن نفسـه، وكأنّـه يقـول: انزعوا في هـذا اليـوم كلّ مظاهـر الحزن التـي قد تكـون عندكـم، وأعلنوه يـوم فرحـةٍ وعيد.

وإذا لم يصـحّ تفسـيري لهـذه الكلمـة وفقـاً للفهـم الأدبي العربي الـذي أزعمـه، والـذي ينطلـق مـن فهـم جنسـيّة الألـف واللام في كلمـة (السـواد) وليـس العهديّـة، فـلا أقلّ مـن كونه محتمـلاً جداً، فيسـقط ظهـور الحديـث فيـما ذكـره الناقـد الموقّـر وتصبـح دلالتـه إشـعاراً، والإشـعار في الدلالـة ليـس بحجّـة لوحـده كما درسـنا في أصـول الفقه.

د. بـل لـو سـلّمنا بدلالة هـذه الرواية على سـبق لبس السـواد على يوم التاسـع مـن ربيـع الأوّل، فهل يـدلّ ذلـك بالضرورة عـلى أنّ لبس السـواد يسـبق هـذا اليـوم إلى بدايـة صفـر؟ هـل الروايـة تشـير إلى هـذا التحديـد الزمنـي؟ إنّ غايـة مـا تـدلّ عليـه هـو كـون مـا قبله أيّـام حـزن، ولكنّـه لا يحدّد المـدى الزمنـيّ للحزن الـذي قبله، فقد يكـون مـن بدايـة ربيـع الأوّل وحتـى التاسـع مـن ربيـع هـي أيّام حـزن في الـشرع، فكيـف نتأكّـد مـن أنّ هـذا الحديـث يدلّ بنفسـه عـلى كون شـهر صفـر بعنوانـه شـهر حزن؟!

إنّ السـبب الـذي دفعنـا لتصـوّر إشـارة الحديث إلى شـهر صفر ومحـرّم معـاً هـو اعتيادنـا اليـوم عـلى كـون الحـزن يرتفـع في نهايـة صفـر، لكـنّ الحديث بنفسـه لا يفيـد هذا، بـل غاية ما يثبتـه وجود حـزن قبـل التاسـع مـن ربيـع، فنأخـذ بالقـدر المتيقّـن مـن تحقيـق

عنوان الحزن قبله ليرتفع فيه، وأين هذا من اعتبار شهر صفر كلّه شهر حزن وبكاء؟ أرجو التدقيق جيداً.

هذا، إن لم نقل بأنّ حياة الشيعي كلّها هي حياة سواد وحزن إلا ما خرج بالدليل، وهو احتمال يتساوى فيه صفر وغيره، وكنت قد ذكرته في جوابي السابق حول شهر صفر فليراجع.

سادساً: وأمّا أنّ السواد هو شعار الحزن وأنّه شعار الحزن عند العباسيّين، فهذا لا شأن لنا به، فنحن ليس كلامنا في لبس السواد، بل في اعتبار شهر صفر بعنوانه شهر حزن، بصرف النظر عن كيفيّة التعبير عن هذا الحزن، فقد تمّ الخلط بين موضوعين في هذا السياق، فليتنبّه جيداً.

وأشير أخيراً، إلى أنّنا عندما نقول بأنّ شهر صفر لم يثبت أنّه شهر حزن بعنوانه في الشرع الحنيف، لا نكون بذلك داعين للفرح والسرور في هذا الشهر أو محاربين لمن يريد أن يحزن، كلّ ما نريد قوله هو أنّ هذا الشهر مثله مثل سائر الشهور في السنة، فمن شاء أن يحزن فيه إحياءً للأمر واستجابةً للعمومات، فهذا شأنه وحقّه، ومن شاء أن لا يحزن فيه بما لا يؤدّي إلى هتك حرمة القضيّة الحسينيّة، فهذا حقّه الطبيعي وقناعته المشروعة، أسأل الله لي ولكم التوفيق والبصيرة.

القسم الثالث
عاشوراء، فكر وثقافة

عاشوراء والجدل المتكرّر كلّ عام، ما هو الموقف من هذا الجدل؟ وكيف نتعامل مع هذا الخلاف؟[1]

◈ السؤال: عاشوراء قادمة هذا العام، ومعها الحزن والجدل. وفي كلّ عام تثار قضايا عاشوراء من على المنابر، ومن خلال المحطّات الفضائية وقنوات التواصل الاجتماعي، وتحتدم المعارك بين المؤمنين أنفسهم، حتى تصل الأمور إلى القطيعة والمقاطعة والاتهامات والتسقيطات. نفس القضايا تثار في كلّ عام من التطبير واللطم والبكاء والجزع وإبكاء الناس في المآتم بغضّ النظر عن المضامين وواقع القصص المرويّة، وهل توافق الموازين الشرعية أم لا. هل تزوّج القاسم في ليلة كذا؟ وهل تكلّم رأس الحسين عليه السلام وهو على الرمح؟ وهل بكت الأرض والسماء دماً ووجد الدم تحت كلّ حجر ومدر عند استشهاد الإمام؟ وهل تحضر فاطمة سلام الله عليها مجالس الحسين؟ وهل يستحبّ تقبيل كلّ ما يرتبط بالمآتم الحسينيّة من الأخشاب والأبواب والحيطان؟ وهل يستحبّ التمسّح بعرق المؤمن الذي تعرّق وهو في العزاء الحسيني؟ وهل وهل وهل؟ والسؤال شيخنا هو: كيف نتعامل مع كلّ هذه القضايا؟ وكيف نضبط إيقاع المنبر العاشورائي مع كلّ هذه الاجتهادات والاختلافات بين العلماء؟ وكيف نحوّل المنبر الحسيني إلى منبر إسلامي وليس منبراً شيعيّاً؟ ألا يُستحسن أن نسكت عن هذه القضايا وعدم إثارتها؛ لأنّ البعض يقول: إنّ الجدل فيها يزيد النار اشتعالاً وتتوسّع دائرة المتمسّكين بها؟ ويقول آخر: إنّه إذا دقّقنا في تاريخ الطف (وكما فعله الشهيد المطهّري) على طريقة الموازين الفقهيّة، فلن يبقى من التاريخ شيء وسوف لن يتفاعل الناس مع الأحداث كتفاعلهم اليوم. ما هو رأيكم وتعليقكم؟

---

(١) إضاءات ١: ٤٨٣

◈ الجواب:

لو تسمحون لي أخي الكريم ببعض الوقفات هنا:

١. من حقّ بل من واجب كلّ إنسان أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويبيّن ما يراه واقع الإسلام، حيث يرى انحرافاً أو خطأ، وهذه هي مهمّة مقدّسة قام بها كلّ الأنبياء والرسل والأولياء والصلحاء والمصلحين عبر التاريخ، فعندما يجد المؤمن أو العالم أو العامل انحرافاً مقصوداً أو غير مقصود، فإنّ من واجبه أن يقوّمه بالأساليب الصحيحة المؤثرة والفاعلة، وأن لا يتخلّى عن واجبه هذا بحجّة أنّ فيه صعوبات عليه أو أنّ في طريق هذا الأمر عقبات أو عوائق.

٢. هناك مبدءان يقفان أمام بعضهما بعضاً في بعض الأحيان، وهما مبدأ كشف الحقيقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح حال المسلمين وفكرهم، ومبدأ الوحدة الإسلامية والإيمانيّة ولمّ الصفوف وتحصيل حالة التآلف والتقارب، وفي بعض الأحيان يطغى أحد المبدأين على الآخر بشكل يصبح الحكم واضحاً والموقف جليّاً، فلو بغت فئة مسلمة على فئة مسلمة أخرى وقاتلتها واعتدت عليها، فإنّ مبدأ رفع الظلم وإصلاح حال المسلمين برفع الاعتداء يصبح مقدّماً على مبدأ الوحدة والتقارب، ولو أدّى الإصلاح إلى التنازع والتدابر والتخاصم بحيث يشقّ عصا المسلمين دون رجاء تحقيقه لأيّ مطلب يذكر، فإنّ ما يجب فعله هو التوقف مرحليّاً عن ذلك أو تغيير آلية التعاطي مع الموضوع لصالح مبدأ الأخوّة الدينية والوحدة الإسلاميّة والإيمانيّة.

ولكـن في بعـض الأحيـان تلتبـس الأمـور وتصبـح أكثـر تعقيـداً، فيغـدو الجـوّ ضبابيّـاً لا تتضـح فيـه الرؤيـة، فـإذا سـكت المصلـح والآمـر بالمعـروف والناهـي عـن المنكـر (وأقصـد مـن الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر مـا هـو أعـمّ مـن معذوريّـة الطـرف الآخـر وعدمهـا، عـلى تفصيل عالجتـه في كتابي: فقـه الأمر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر)، فقـد يسـاعد ذلـك عـلى تكريس حـال الانحـراف بحيـث لـن يعـود بإمـكان الأجيـال اللاحقـة أن تحـدث تغيـيراً نحو الأفضـل، وهنا قد يـرى أنّ الـكلام ولو أوجب بعـض التشـويش إلا أنّـه عـلى المـدى البعيـد سـيمنع عـن تكريس الخطـأ وصيرورتـه أمـراً مسـلّماً، فمـن الـضروري أن يبقـى الطرف الآخـر قلقـاً لا يعيـش اسـتقرار مشروعـه. وربما يـرى المصلـح أنّ سـكوته في هـذه الحـال ضروريٌّ؛ انطلاقـاً مـن أهميّـة ملفّـات أخَر ينبغـي تداولهـا غـير هـذا الملـف، أو لأنّ الحديـث في هـذا الموضوع سـيكرّس الخطـأ بـدل أن يلغيـه.

وهنـا لا تخضـع المسـألة لموقـف شرعـي بقـدر ما تخضـع لموقف تقويمـي للواقـع من طـرف الداعيـة أو المصلح أو الآمـر بالمعروف والناهـي عـن المنكر، أيّ اسـم اخترنـا لـه. وإنّني من موقـع قراءتي الشـخصيّة أعتقد أنّ الخيـار الأوّل هو الأرجـح في عصرنا الحاضر، شرط شـموله لمختلف القضايـا التي تحتاج لتجديـد نظر وإصلاح، وأنّ سـكوت العلـماء والمفكّريـن والمصلحـين عمّا يرونـه من أخطاء وظواهـر غـير سـويّة ـ من وجهـة نظرهـم ـ سـيفضي إلى دخولنا في مرحلـة انغلاقيـة قاتلة قد تسـتمرّ عقوداً، وسـتذهب بتيـار النهضة والإصـلاح بعيـداً حتـى تـكاد كلّ جهـوده منـذ الخمسـينيات تتلاشـى، كـما أنّ النهضـويّ يقـف الآن بـين المطرقـة والسـندان،

فمن جهة يواجه التيارات الداخلية الرافضة لأغلب تغيراته ومن جهة ثانية يعاني من الصورة التي تقدّم للإسلام من قبل هذه التيارات والتي يرى أنّها تتجه بالجيل الشبابي القادم نحو رفض الدين بأكمله. ولا أرى ذلك ـ أي السكوت ـ في مصلحة الإسلام والمسلمين في عصرنا الحاضر الذي باتت فيه التيارات ذات العقل السلفي ـ بالمعنى العام للكلمة ـ تتجه للإمساك بمصير المسلمين، وعلى الإسلام والفكر والعقل والاجتهاد بعد ذلك السلام.

٣. عندما نرجّح خيار الاستمرار في جهود الإصلاح وعدم السكوت، فهذا لا يعني استخدام أيّ أسلوب في هذا المجال، فهناك فرق بين أن أنتقد المرجعيّة مثلاً بطريقة النقد العام، فأقول بأنّ المرجعيّة الساكتة غير الحاضرة في حياة الناس هي مرجعيّة نحتاج لبديل عنها، وبين أن أنتقد بطريقة النقد الشخصي التهكّمي المستفزّ بنوعه، كأن أقول: إنّ فلاناً من المرجعيات لا علم له ولا يصلح للمرجعية الدينية وغير ذلك، مما يثير بطبعه حفيظة الناس. وكذلك الحال في الوسيلة الإعلاميّة التي لابدّ لي أن أستخدمها في حركة النقد، فبعض الوسائل ـ كالإعلام المرئي ـ تتحمّل قدراً من النقد، فيما بعض الوسائل الأخرى ـ كالكتب والمؤلّفات ـ تتحمّل قدراً أكبر، تبعاً لحجم الصدم الجماهيري الذي تمارسه وسيلة الإعلام عندما يتمّ النقد عليها.

ويخطأ الناقدون والمصلحون عندما يبدون فقط وفقط ناقدين، بحيث يشعر محيطهم بالاشمئزاز من تذمّرهم المتواصل من الواقع، فلا تجدهم يبحثون بحوثاً موضوعيّة حياديّة، ولا

يتناولـون موضوعـات غـير ملغومـة اجتماعيّـاً، ولا يشـتغلون على تقديـم بدائـل، وهذا مـن الأخطـاء أيضاً. وهكذا أسـلوب السـبّ واللعـن والحكـم بضـلال الآخـر وتضليلـه أو فسـقه وانحرافـه الأخلاقـي أو التشـكيك بعدالتـه وتديّنه وغير ذلك من الأسـاليب الفاسـدة، فـإنّ هـذا كلّـه وأمثالـه ينبغـي أخـذه بعـين الاعتبـار، ودراسـة كلّ عنـاصر الجدوائيـة والأخلاقيـة في المنهج والأسـلوب المعتمديـن، الأمـر الـذي قـد يختلـف مـن منطقـة إلى أخـرى ومـن موضـوع لآخـر وهكـذا.

٤. في إطـار النقطة الثالثـة ينبغي التمييز بين حالتين من الاسـتفزاز، حالـة يمكـن القول بأنّهـا مسـتفزّة بطبعها، وحالـة أخرى يمكن القـول بأنّهـا بطبعهـا غـير مسـتفزّة، لكـنّ الآخـر صـار مصابـاً بمـرض الحساسـيّة الزائـدة بحيـث يعتـبر حتـى النقـد العـادي أمـراً مسـتفزّاً، والإنسـان المصلـح مسـؤول عـن الاسـتفزاز ذي النـوع الأوّل لا الثـاني إلا نـادراً، فمـن حـقّ المؤمـن عـليّ أن لا أهينـه أو أجـرح مشـاعره أو أسـخّفه أو أتعـرّض لمقدّسـاته بطريقـة غـير أخلاقيّة، لكـن ليس من حقّـه عـليّ أن لا أنتقده إذا لم يكـن في النقـد إهانـة وإنّـما فيـه انزعـاج منـه بحيث هـو يعاني مـن مشـكلة عدم تقبّـل النقـد ولـو الأخلاقـي. وهذا يعنـي أنّ منعـه إيّـاي من النقـد بحجّة أنّـه بات ينزعـج منه أو يسـتفزّه لن يـؤدّي إلا إلى سـلب حقّـي في النقـد والتعبـير، وسـلب حقّي في مـا أراه أمـراً بالمعـروف ونهيـاً عن المنكـر وإرشـاداً للآخرين إلى مـا أعتقـده بيني وبـين ربّي صلاحـاً، وليس مـن حقّه عـليّ ذلك حتـى أتنـازل عن حقّـي في النقـد والإصـلاح الواجبـين عليّ في الأصـل، وهـذه مسـألة مهمّة جـدّاً.

إنّ النقد حقٌّ شرط أن يكون أخلاقيّاً من حيث النوع، بحيث لو عرضناه على محايدٍ لما أبدى فيه ممانعةً أخلاقيّة، ولا ينبغي أن نسمح للآخرين بسلبنا هذا الحقّ، وإلا فقد يقول الطرف الآخر الناقد بأنّه أيضاً بات ينزعج من هذه المقولات التي يذكرونها على المنابر، فهل يحقّ لنا أن نمنعهم ونسلب حقّهم بحجّة أنّ الطرف الآخر الناقد أيضاً بات يستفزّ وينزعج ويتذمّر من طرح هذه الأمور من على المنابر أو شاشات التلفزة؟ كلا، ليس من حقّ الطرف الناقد هذا أيضاً.

٥. إنّ المنبر الحسيني منبرٌ حرّ، وإنّني أوافق العلامة الشيخ عبد الهادي الفضلي حفظه الله في بعض حواراته التي ذهب فيها إلى رفض ضبط المنبر عبر نقابة أو مؤسّسة؛ لأنّ هذا يفضي إلى قولبة المنبر على المدى البعيد بطريقة أو بأخرى، وليس من إمكانية لضبط المنبر الحسيني سوى بالبحث والنقاش والتداول، ورفع المستوى الثقافي العام، وتأهيل الخطباء أكثر فأكثر، ووضع الحدّ الأدنى من شروط التصدّي لهذه المهمّة الجليلة، والسماح بتدخّل العلماء والمرجعيات والفقهاء والمحدّثين والمؤرّخين، وقيامهم جميعاً بمهامّ النقد والتوجيه والتصويب والإرشاد لهذا المنبر الكريم.

إنّ نقد المنبر وبعض المظاهر الشعائريّة ليس إهانةً لهما، ولا هتكاً للحرمات، عندما يكون نابعاً من الحرص ومتحلّياً بدرجةٍ عالية من المهنية والأخلاقية، ولا يحقّ لرجال المنبر الحسيني الذين شرّفهم الله بهذا المنصب أن يعتبروا نقدهم نقداً للحسين عليه السلام، فلنكفّ عن إسقاط المقدّس على ذواتنا.

إنّني أدعو الناقدين هنا لتقديم بدائل فمن يتمكّن ـ بحسب إمكاناته المادية والمعنوية ـ من تأسيس معاهد لإعداد الخطباء وتأهيلهم بالطريقة التي يراها صحيحةً، عليه أن لا يكتفي بالنقد ويعيش عقدته أو شهوته، بل يعمل على تأهيل الخطباء، وقبل ذلك لابدّ من إعداد الموادّ العلميّة والعملية عبر مركز دراسات حسيني حقيقي، يعالج كلّ القضايا الحسينية في التاريخ والشعائر والمسلكيات بطريقة بحثية جادّة، مستمعاً لكلّ الاتجاهات والمقولات على اختلافها وتناقضها. وقد بُذلت جهود مشكورة تصبّ في هذا الإطار في الجمهورية الإسلاميّة الإيرانية خلال الخمس عشرة سنة الماضية، وجرى تأسيس مؤسّسات مفيدة ومنتجة ومثمرة والحمد لله، وهذا ما يحتاج إلى تعميم وتطوير أكثر، وقد بلغنا أنّ نشاطات شبيهة حصلت في مناطق أخرى، وأنّ بعض التوجّهات في هذا الصدد موجودة على مستوى الساحة العراقية حالياً، نأمل للجميع النجاح في ذلك والتوفيق.

٦. لا أجد تنافياً بين البعد المذهبي والإسلامي والإنساني في الموضوع الحسيني والشعائري، فالموضوع له أبعاد متعدّدة، ولا يصحّ نحر البُعد المذهبي المتجلّي في قضيّة الإمامة لصالح أبعاد أخَر، وهناك فرق بين الدعوة لاستحضار البعد الإسلامي والإنساني العام في قضيّة الثورة الحسينية وشعائرها، وبين استبدال البُعد المذهبي بهذين البُعدين. أعتقد أنّ الأوّل هو الصحيح، فنحن اليوم أمام صراع حضارات، ومن يريد أن يدّعي أنّه حضارة وأنّه بديل عن الغرب والشرق، عليه أن يقدّم خطاباً ورؤيةً قادرين على عبور القارات. والثورة الحسينية مادّة جيّدة في تقديري لهذا الأمر بالنسبة للشيعة والمسلمين، عندما يجري فيها الجمع بين

البُعد المذهبي والبعد الإسلامي والإنساني معاً، فحذف أحد هذه الأبعاد ليس مناسباً، وإذا كان البعد الإسلامي أو الإنساني غير حاضر بالشكل المطلوب فهذا لا يعني المطالبة بجعل البعد المذهبي باهتاً، بل يعني ضرورة استحضاره بطرق متناسبة تحفظه وفي الوقت عينه تؤمّن حاجة البعد الإسلامي والإنساني أيضاً.

٧. ليسمح لي السائل المحترم بأن أبدي أسفي وحرجي من القول بأنّ ممارسة النقد التاريخي والدعوة للتثبّت من وقائع كربلاء تاريخياً تستدعي عدم بقاء شيء من هذه الحادثة ليقال للناس ومن ثمّ ليستدرّ دمعتهم وبكاءهم! هل يُعقل أنّ مذهباً عريقاً كالتشيّع ـ بفرقه المتعدّدة من الإماميّة والزيديّة والإسماعيليّة وغيرهم ـ لم يتمكّنوا عبر هذا التاريخ من أن ينقلوا أعظم قصّة مأساويّة حصلت معهم في تاريخهم؟ أين كان إذاً العلماء والمؤرّخون والباحثون كلّ هذه المدّة، حتى إذا ما أعملنا معاول النقد السندي والتاريخي لن يبقى شيء معتمد يتركوه لنا يفي بأن نقصّه على الناس ليستدرّ دمعتهم؟! كيف نجحوا في نقل النصوص العقديّة والفقهية والأخلاقيّة وبأعداد هائلة ولم ينجحوا في هذا هنا؟! أرى هذا إمّا فضيحة أخجل من قولها أو أنّ ما نريد أن نستدرّ به دمعة الناس قد رفعنا سقفه ليتجاوز حدود عمل المؤرّخين ومنجزاتهم، فأحرجناهم ومن ثم أخرجناهم من دائرة الحكم على ما نقصّه على الناس.

إنّني أعتقد بأنّ ما تركه المحدّثون الشيعة بمذاهبهم ومعهم المؤرّخون وعلماء الرجال والتراجم ـ إلى جانب ما تركه لنا الآخرون من المذاهب الأخرى في نصوص التاريخ والرجال والحديث ـ حول

القضيّة الحسينية، يمكن أن يكون مفيداً جدّاً ونحصل منه على صورة موثوقة لهذا التاريخ الحسيني، حتى لو أعملنا معاول النقد التاريخي؛ فإنّ تظافر القرائن وتعدّد المصادر وكثرة الطرق وتعاضدها وتداول الموضوعات بشكل متنوّع ومختلف بين المذاهب المتعدّدة، من شأنه أن يوصلنا إلى مكان محمود.

لكنّ بعضنا اليوم لم يعد يكفيه ما سيحصل عليه المؤرّخ بعد البحث التاريخي، ويراه قليلاً غير وافٍ بالقيام بعملية مبالغة أو غير مستجيب للمستوى القصصي الذي يريده هو، وإلا فلا يصحّ أن نقول بأنّ المحدّثين والمؤرّخين وعلماء الرجال الشيعة قد تركوا لنا واهتمّوا أعظم الاهتمام بقضايا فقهية وأخلاقية تفصيليّة أوصلوها إلينا بنحو الدقّة والتثبّت، أمّا في أعظم القضايا التاريخيّة لم نجد عندهم مثل هذا الاهتمام! ويكفينا في مجال التعرّف على السيرة الحسينية نصوص الزيارات التي يحظى بعضها بوثوق وتوثيق تاريخي وسندي جيّد، وهي تحوي معلومات مفيدة لو حلّلناها.

إنّني أسأل: هل هذه الموازين المعمول بها في الفقه على مستوى التثبّت التاريخي من النصوص هي موازين صحيحة ومطلوبة أم هي مبالغات من الفقهاء والأصوليين؟ فإذا كانت هي الموازين التي يفترض أن تعتمد في مجال التثبّت من النصوص، فلا فرق بين المسألة التاريخية والمسألة الفقهيّة في منهج التوثيق التاريخي للنصّ أو الحدث من الناحية العقلانية، بل بعض المسائل الفقهية أقلّ أهميّةً أحياناً من بعض المسائل التاريخية، كما أنّ دوافع الوضع والكذب والاختلاق في المسألة التاريخية (التي تشكّل خلافاً سياسياً ومادّة تراجيديّة) أكبر منها في المسألة الفقهيّة عادةً، الأمر الذي يفرض تشدّداً توثيقياً في

الموضوع التاريخي يزيد على مثيله في الموضوع الفقهي؛ لأنّ مسألة التثبّت من نصّ أو حدث تاريخي تعتمد على منهج لا يفرّق فيه في نوعية ما تريد أن تثبته، بحيث يحقّ لك أن تتخلّى عنه في بعض الموضوعات. فكيف يجوز لي أن أصنع وعي الناس الثقافي والتاريخي بنصوصٍ متهالكة المصادر وتالفة الأسانيد وما لذلك من تأثير كبير على الفكر الديني، فيما لا يجوز لي أن أثبت كيفية الاستنجاء أو الدخول إلى الحمّام إلا بنصّ موثوق وإلا كنت متقوّلاً على الله؟! يبدو لي هذا شكلاً من أشكال التشظّي المنهجي.

إنّني أعتقد أنّنا صرنا اليوم مراقبين أكثر من قبل التيارات السلفية المحيطة بنا والتي تنتظر كلّ هفوة لكي تقول للعالم بأنّ الشيعة قد شادوا مذهبهم ورؤيتهم للتاريخ على أضعف الروايات التاريخية والحديثيّة، وأنّهم عوّضوا نقصهم هذا بعناصر نفسيّة اطمئنانية لا ترقى إلى مستوى تحوّلها إلى منهج علمي، وأنّ خطابهم العقدي المصاغ في القضية الحسينية التاريخية لا يبلغ سوى مجموعة من القصص ـ وأحياناً المنامات ـ التي لا تثبت بالمنهج العلمي الرصين، وهذا يعني أنّه كلّما مارست النقد التاريخي أمكنني أن أقدّم صورة أكثر متانة علميّاً أمام الطرف الآخر الذي بات يتربّص سوءاً بمذهب أهل البيت عليهم السلام.

نعم، لا يشترط في كلّ خطيب أن يقتصر على النصوص الصحيحة، فإذا كنتم تقصدون هذا المعنى فلا بأس به، لكنّ هذا لا يبرّر فوضى استحضار أيّ نصّ غير موثّق حتى لو كان يحمل مضموناً فيه علامات استفهامات كبيرة، وقد يؤدّي إلى خلق صور غير مناسبة للإمام الحسين عليه السلام وثورته، فينبغي ملاحظة هذا الأمر.

هل تصحّحون نسبة كتاب (الملحمة الحسينية) للشيخ المطهري؟ وهل تنصحون بقراءته؟[1]

◈ **السؤال: هل تصحّ نسبة كتاب الملحمة الحسينية للشهيد مطهري أم لا؟ وهل تنصحون بقراءته في حال ثبوت نسبته للشهيد المطّهري؟**

◈ الجواب: بعد مراجعتي المتواضعة لما قيل عن التشكيك في نسبة الكتاب للشيخ المطهري، وما قيل في إثبات صحّة هذه النسبة، فإنّ الذي يترجّح بنظري القاصر هو تصحيح هذه النسبة وضعف شواهد التشكيك، نعم حيث إنّ الكتاب كان تنزيلاً لما جاء في أشرطة محاضراته رحمه الله فمن الطبيعي التصديق بوقوع بعض الأخطاء الجزئيّة هنا وهناك في النقل عندما تقام الشواهد على ذلك، وهذا ليس مقصوراً على هذا الكتاب للشهيد المطهري، بل هو شامل للكثير من الكتب الأخرى له ولغيره ممّا كان من هذا القبيل.

وأمّا عن قراءة هذا الكتاب، فإنّني أنصح بذلك حتى لو لم يكن الكتاب للشهيد المطهري أساساً، فإنّ فيه الكثير من الأفكار المفيدة والجميلة والنافعة، وقد تعلّمنا في مدرسة العقل والمنطق والحكمة وفي ظلّ تعاليم القرآن والسنّة أن نتبع الأفكار وليس الأشخاص، فحتى لو لم يكن الكتاب للشيخ المطهري رضوان الله عليه فإنّ المهم هو النظر في مضمونه ودراسة مدى منطقية الأفكار التي يذكرها، وهذا يعني أيضاً أنّه ليس كلّ ما جاء في هذا الكتاب ـ حتى بعد تصحيح نسبته للشيخ المطهري ـ هو صحيح، بل يحقّ للعلماء والناقدين تناول فكر الشيخ المطهري بالنقد والتحليل والدراسة.

---

(١) إضاءات ١: ٤٩٢

الموقف من بعض القنوات الفضائية المذهبية[1]

◈ **السؤال: ما رأيكم في أداء بعض القنوات المذهبيّة، مثل... وذلك بالتركيز على الطقوس والشعائر، بدل طرح الفكر والمنهج الإسلاميين في شتى علوم الحياة؟ أليس هذا تقزيم للإعلام الديني في زمن أهميّة دور الإعلام في نشر الفكر والمعرفة؟**

◈ الجواب: للإعلام دور مهمّ جدّاً في عصرنا الحاضر، وهو السلطة الأولى أحياناً وليس الرابعة كما يقولون، وإنّنا بحاجة لعقول إعلاميّة ناضجة قادرة على تغطية كلّ المجالات التي يحتاجها المشاهد والمستمع، لتكون معيناً له على قضايا دينه ودنياه، وسدّاً للفراغ الذي يعيشه أحياناً، وتقديماً للبديل الجذاب أمام حمّى القنوات الأخرى التي تجتذب شبابنا نحو قضايا، أقلّ ما فيها أنّها تسطيح للوعي وإدخالنا في غيبوبة ثقافية وسياسية ودينية.

لكنّ المشكلة أنّ بعض قنواتنا الدينية لا تعرف عن الإعلام إلا ما تعرفه عن الدين، والدين عندها كأنّه ليس سوى بعض العقائد (وليس كلّ العقائد)، فإذا حصلت على هذا البعض العقائدي فقد انتهى الدين وتمّ! مع أنّ المفروض أن يكون بدأ لنرى امتداداته الناتجة عن هذه الاعتقادات، ولتفتح لنا القنوات الفضائية مجال الحديث في سائر قضايا الدين والفكر والحياة والإنسان والاجتماع والحضارة و.. هنا تكمن المشكلة ليس في العقل الإعلامي فحسب، بل في العقل الديني الذي يقف خلف هذا العقل الإعلامي، وهو العقل الذي كأنّه لا يرى في الدين سوى مجموعة اعتقادات وكفى!! بل ويذمّنا وينهانا عن أخذ العِبرة من التاريخ، مكتفياً بالعَبرة والحزن، وكأنّ

(١) إضاءات ٢: ٤٨٧

ضـمّ الأوّل إلى الثاني حرام، رغبةً في الإغـراق باللامعقول. وكأنّ الفكر والثقافـة والسياسـة والاجتـماع والفـنّ والجـمال والاقتصـاد والتاريـخ والتربيـة والتعليـم والطفولة والمـرأة والجنس والعمـل والطبقية والظلم الاجتماعـي والسـياسي والحضـارة والإنسـان والأنـا والآخـر وهمـوم النـاس وقضاياهـم وغـير ذلـك لا شـأن للدين بهـا، فالدين كلّـه هو أن تعتقـد بأربـع جمـل أو عشرة جمـل خبريـة ويتوقّـف!! هذه هـي الكارثة الفكريـة بامتيـاز عنـد بعض القنـوات وما يقـف خلفها من فكـر ديني.

والأنكـى مـن ذلـك، أنّ سـائر العلـوم الدينيـة لا تجدهـا حـاضرةً ـ إلا نـادراً ـ في التثقيـف الإعلامـي، فـلا الفقـه ولا الأخلاق ولا تفسـير القـرآن ولا الحديـث ولا الفلسـفة ولا العرفـان ولا غيرهـا مـن العلوم والمعـارف الإسـلاميّة بالتـي تأخـذ حظهـا، بل ولا حتـى اللغـة العربية رمـز موروثنـا الثقـافي، وكأنّ الديـن ليـس هـذه ولا علاقة لـه بها!

بـل الأسـوأ مـن هـذا، ومـا يدمـي القلـب ويبعـث عـلى التأسّـف والخجـل، تلـك الوسـائل الإعلاميـة التـي نـذرت نفسـها للتفريق بين المسـلمين، وسـبّ رموز بعضهم بعضـاً، وآلت على نفسـها إلا أن تجعل عدوّهـا أخاها المسـلم، وهي تنطلـق أو تبث من دول الكفـر والإلحاد!! مـن الولايـات المتحـدة الأميركيّـة وبريطانيـا وغيرها، فنجدها تسـكت عـن الغـرب، بـل وتمتدحـه أحيانـاً، وتعظّـم مـن ملوكـه وسـلاطينه، فيـما تنـزل جـام غضبها عـلى إخوتهـا مـن المسـلمين، لتهين مقدّسـاتهم وتشـكّك النـاس بنزاهتهـم وأخلاقهـم، وتمـزّق شـملهم، وتسـتخدم أبشـع الألفـاظ وأسـوأ التعابـير الهابطـة البائسـة الكاشـفة عـن تـدنّي الأخـلاق والقيـم الروحيـة الدينيـة الرفيعة.

لا أقصـد بذلـك قنـاةً بعينها، ولا قنـوات مذهبٍ بعينه، بـل هذه هي

حـال بعض قنـوات هذا المذهـب أو ذاك. خطـابٌ ديني بائـس يرتدّ إلى القـرون الغابـرة، غـارق في الخرافـة والتهريـج، مسـتفزّ لأبعـد الحدود، حتـى لتجـد بعـض أنصـاف العلـماء وأرباعهـم (وأحياناً أقـلّ من عشر معشـارهم) يدّعـي أنّـه أعلم مـن المراجع الكبـار في طائفته ويهـزأ بأكبر مراجـع الأمّـة عنـد هـذا المذهـب أو ذاك، مدّعياً أنّـه خـادم المذهب أو أنّه نصـير الصحابـة ومدافعهم!!

إنّني أعتقد أنّ الحل يمكن أن يكون مفتاحه بعض الخطوات:

١. إصـدار كبـار العلـماء والمرجعيّـات الدينيـة الكـبرى في المذهبـين مواقـف واضحـة مُدينـة وشـاجبة لهذا النـوع من الإعـلام الديني، أو عـلى الأقـل موجّهـة لـه ومرشـدة، وإذا لم تتفـق المرجعيـات على موقـف فلتقـدم عـلى ذلـك تلـك المقتنعـة ولـو كانـت لوحدهـا، فطريـق الهـدى لا وحشـة فيـه ولو قـلّ سـالكوه.

٢. دعـم سـائر القنـوات الدينية الطيبة التـي نجد عندها ـ رغـم أنّها قد لا تكـون بمسـتوى الطمـوح ـ وعيـاً وهمّاً رسـاليّاً، واهتماماً بسـائر قضايـا الديـن التـي تشـغل همومُهـا شـبابَنا اليـوم. فهنـاك العديـد مـن القنـوات الدينيـة ـ وليسـت بالقليلة ـ عند هـذا المذهب أو ذاك تخلّصـت بدرجـة جيـدة مـن سـلبيات تلـك القنـوات التـي تحدّثنا عنهـا، وقدّمـت أنموذجـاً أفضل نسـبيّاً، ودعـم مثل هـذه القنوات بالشـكل الممكـن وتقويتهـا وتطويرهـا واجبٌ علينـا جميعاً.

٣. تصـدّي العلـماء الحقيقيـين لمجـال الإعـلام المرئـي والمسـموع، دون قمـع الآخريـن، لكـي يطلّـوا عـلى النـاس مـن موقـع الخـبرة والفهـم الدينـي، ولا يتركوا صغـار القوم يسـتبدّون بتمثيل ملايين المسـلمين في هـذا المذهـب أو ذاك.

٤. القيام بورش عمل مكثفة وناشطة في الحوزات والمعاهد والجامعات الدينية، تعمل على تربية وإعداد كوادر علمائيّة وثقافية واعية، وعلى إنجاز عمل إعلامي وشخصيّات إعلامية ناضجة، بدل ترك الأمور للعفويّة القائمة حالياً على بعض الصعد.

٥. الاهتمام بمجال العلوم الدينية الأخرى غير الفقه عند الشيعة والحديث عند السنّة، والتركيز أيضاً على القضايا المعاصرة (غير العقائد المذهبية)، بوصفها همّاً كبيراً أمام الشباب اليوم، وعلى رأسها حركة الإلحاد الجديد.

٦. السعي لتكريس إعلام تسامحي وإنساني، وتقديم صورة وسطيّة في الإعلام عن الإسلام والدين عموماً.

٧. تأسيس قناة تلفزيونية إسلامية يديرها الشيعة والسنّة على السواء، ويشاركون فيها في كلّ صغيرة وكبيرة، تقدّم خطاباً متفاهماً ومتسامحاً يقرّ بحقّ الاختلاف والنقد المتبادل، وفي الوقت عينه يحترم كلّ فريق فيه الآخر، فنقدّم بذلك أنموذجاً للإعلام الوحدوي الحقيقي.

٨. أعرف أنّ هذا كلّه صعب مستصعب، لاسيما في ظلّ ظروفنا السياسية القاتلة الحاليّة، لكنّ الأمل والتفكير خير من السكوت والإحباط وضرب الأكفّ على بعضها، فإذا أخلصنا النية لله تعالى لربما أمكن لنا الدخول في مرحلة خلق نواة جديدة لمنطق ديني جديد، ووعي ديني آخر، إن شاء الله تعالى.

بين يدي عاشوراء
ماذا علينا أن نفعل؟ وكيف نستفيد منها؟[1]

◈ **السؤال: نحن في هذه الأيّام في انتظار عاشوراء الحرام، فما هو المفروض تحقّقه من عاشوراء؟ وما هو المتحقّق حالياً؟ وجزيتم خيراً.**

◈ الجواب: نعيش اليوم في عصر نحتاج فيه بشدّة إلى كلّ مفهوم يمكنه أن ينهض بالأمّة، ولا يجوز لنا التفريط بأيّ مفهوم ناهض، فكلّ مفهوم من تراثنا له قدرة التأثير النهضوي فهو ضروري، وكلّ مفهوم معطّل له قدرة التثبيط وبث اليأس والخمول فهو ضارّ.

من هنا، وعندما ننظر إلى المناسبة العاشورائية السنوية نجد أنّ لديها قدرات كبيرة على تقديم مفاهيم نهضويّة تحتاجها الأمّة اليوم أيّما حاجة، ولعلّ من أجلى هذه المفاهيم ما يلي:

المفهوم الأوّل: مفهوم المفاصلة مع الظلم واللاشرعية، فإنّ هذه الثورة الحسينية يمكنها لو وظّفناها توظيفاً صحيحاً أن تمدّنا بمفهوم بالغ الأهميّة اليوم. إنّه المفاصلة مع اللاشرعية، هي تقول لي: لا يمكن أن أنضوي تحت لواء غير شرعي، يجب أن أبحث عن انتماء مشروع في قضاياي السياسية والاجتماعية وغيرها. لا يمكن أن أعيش المخالطة مع الظلم طالما كانت لديّ القدرة على الوقوف في وجهه بإعلان مقاومته والتبرّي منه، ولو لم أتمكّن من تغيير الواقع كلّه.

عندما يكون الحسين عليه السلام مستعدّاً لهجر الوطن (المدينة المنوّرة) لأجل رفض الخضوع لما هو غير شرعي، ولأجل تصويب

(١) إضاءات ٣:٤٥٦

الانتماءات، فهذا يعني أنّه من الممكن أن يكون من واجبي أن أتقبّل النفي باختياري والهجرة عن موطني أو أسرتي أو عائلتي أو محيطي كخطوة حصريّة لإعلان مفاصلتي مع الانحراف الاجتماعي والسياسي. لهذا ستبدو مفارقة غريبة عجيبة الجمع بين الروح الحسينية وبين الرضا بالظلم واللاشرعيّة.

عندما نشارك اليوم في مجالس الحسين عليه السلام فعلينا أن نسأل أنفسنا ونحن نرجع إلى بيوتنا سؤالاً: أين أنا من قضايا الظلم اليوم في العالم؟ وما هي مساهماتي؟ ماذا فعلت ـ بحدود إمكاناتي ـ ضدّ ظلم الإنسان المستضعف، وضدّ الاحتلال، وضدّ الطبقية الجائرة، وضدّ ظلم الطفولة، وضدّ العدوان على المرأة، وضدّ سلب الحقوق، وضدّ استغلال السلطة والموقع، وضدّ تعمية الحقائق، وضدّ التجهيل، وضدّ الفساد المالي، و.. وأين أنا من الشعارات التي أطلقها الحسين عليه السلام؟

وفي هذا السياق يصبح الحسين قيمةً إسلاميّة عامّة يلتقي عليها جمهور المسلمين، لاسيما منهم من يؤمن ـ من حيث المبدأ ـ بثقافة الخروج أو الرفض مثل الإمامية والإسماعيلية والزيدية والإباضيّة والتيارات الجهادية (المعتدلة)، بل يصبح قيمة إنسانيّة تصل إلى اليسار الجديد في عصرنا الحاضر ولو كان خارج الاطار الديني، وبهذا نخرج حركة الإمام الحسين من أن تكون صراعاً شخصيّاً أو قبليّاً أو عشائريّاً أو أسريّاً أو طائفيّاً، لتصبح صراعاً دينيّاً إسلاميّاً إنسانيّاً أخلاقيّاً ضدّ كل انحراف في الداخل والخارج، مهما كان ثوبه.

المفهوم الثاني: مفهوم التضحية والشهادة، هذا المفهوم الذي يقدّم لي أولوية الأمّة على الفرد، وأولوية الإسلام على المسلم، وأولوية

الوطـن عـلى الـذات، شـخصٌ بهـذه المكانـة يقـدّم نفسـه وأهـل بيتـه قرابـين لله تعـالى في سـبيل تصحيح مسـارات أمّة، وفي سـبيل الإصلاح الدينـي والاجتماعـي والأخلاقي والمفاهيمـي و.. يريد أن يقـول لنا بأنّ كلّ شيء يمكـن أن يرخـص أمـام القضايـا الكـبرى، والتي منهـا الأمّة نفسـها ومصالحهـا العامّة.

مفاهيـم مـن نـوع التفـاني والإيثـار والتضحيـة والبـذل والعطـاء والشـهامة ونكـران الـذات كلّهـا يمكـن أن نثوّرهـا في حدث بـارز من هـذا النـوع، ليـس على مسـتوى السـرد القصـصي لقصّـة التفـاني فقط، بـل عـلى مسـتوى الربـط الواقعـي بـين القصّـة بوصفهـا تاريخـاً وبـين المفهـوم الأخلاقـي والدينـي بوصفـه قيمـةً قائمـة باسـتمرار في حيـاة الإنسـان وحاجـةً ملحّـة.

إنّ اسـتذكارك الحسـين يعني اسـتذكار هـذه المجموعة المتماسـكة من هـذه القيـم، وإعـادة تظهيرها بصـورة عصرية قادرة عـلى تحريك الراكد مـن واقعنـا وخلق نفوس عصاميّـة يمكنها أن تزهد بكلّ شيء في سـبيل القضايـا الكبرى للأمّـة والدين.

وكلامـي هـذا ليس تنظـيراً في الهـواء الطلـق، بل لقـد شـهدنا واقعه في تجـارب حقّقـت نجاحات كبـيرة مسـتعينةً بمفاهيم الثورة الحسـينية، مثـل أكثـر من حركـة جهادية ضدّ الاحتـلال الإسرائيلي وضـدّ الأنظمة الفاسـدة. مـاذا تعنـي لنـا تلـك الوصايـا التـي سـمعناها أو قرأناهـا لشـهداء الجهـاد ضد الكيـان الصهيوني الغاصـب؟ ألم نسـمع فيها دوماً اسـم الحسـين وزينـب والأصحـاب؟ هـذا يعنـي أنّ الوعـي الجهـادي والاستشـهادي صـار مندمجـاً بوعـي التاريخ الحسـيني، وأنّ أشـخاصاً مثـل الإمـام الخمينـي والإمـام محمـد باقـر الصـدر والإمـام موسـى

الصـدر وغيرهـم نجحـوا في توظيـف الثـورة في خلـق وعـي واقعـي زمنـي متواصـل لهـا، فمفاهيمهـا لا تنفصـل عـن تضحياتنـا اليوميـة، وعـن الشـهداء وعوائلهـم الصامـدة. ونحـن مسـؤولون عـن ديمومة هـذا الوعـي وعدم تلاشـيه.

المفهـوم الثالـث: فاعليـة المـرأة، فالحـدث الزينبـي ومـا حاطـه مـن وقائـع نسـويّة هـو بالتأكيد رسـالة ضمنيّـة للنصف الآخر مـن المجتمع أنّ بإمكانـك أن يكـون لـك دور في اللحظـات الحرجـة عـلى الأقـلّ، فعندمـا أقـدّم في المشـهد التاريخي دور المـرأة في لحظات الانهيار بشـكل معاكـس تمامـاً للنـواح والعويـل، ليبـدو وكأنّـه عصاميـة غـير عاديـة، تقـف في وجـه أكـبر حـكّام العـصر ـ عنيـت يزيـد بـن معاويـة وغـيره مـن رجالاتـه ـ فهـذا يعنـي أنّ المـرأة ليسـت وظيفتهـا في الحيـاة النـوح عـلى القتـلى مـن الرجـال، بل خلـق الحدث في لحظـات الحـزن، الحدث الإعلامـي والسـياسي والاجتماعـي.

هـذا مفهوم بالـغ التأثـير اليوم يمكنـه النهـوض بالمرأة لتلعـب دوراً في لحظـات الشـدّة، بـدل أن نعلّمهـا النحيب واللطم عـلى الوجه على ما افتقـدت مـن أسرة وعيـال. إنّ الثـورة الحسـينية هنا تعيد تظهير المشـهد بصـورة مختلفـة، فقـد كان مـن المتوقّـع أن تنهـار تلـك المـرأة (زينـب) وكلّ مـن معهـا مـن نسـوة وبنات، لكـنّ الأمـور وقعت بطريقـة مختلفة تمامـاً، هـذا يعنـي أنّ المـرأة في عصرنـا إذا أرادت أن تمثل الـدور الزينبي فعليهـا في لحظـات الشـدّة التـي تمـرّ بهـا أمتنـا اليـوم أن تسـتنفر طاقاتها في رباطـة جـأش ليكـون لهـا دورهـا في الفعـل والتأثـير، لا أن نطالبهـا بالسـكوت والخضـوع والجلـوس في البيت لا دور لهـا في الوقوف بوجه الظلـم والعدوان والاحتـلال والاغتصاب لـلأرض والعرض والوطن

والقيـم والمفاهيم.

المفهوم الرابع: الشـجاعة، ولا أقصد بالشـجاعة تلـك الصفة الفردية فقـط بما لها مـن تطبيق محـدود، بل أعني مواجهـة أزمـة الإرادة في الفرد والجماعـة والأمّـة، ففـي كثـير مـن الأحيـان لا يواجـه الفـرد أو الأمّـة أزمـة معرفـة؛ لأنّ الأمـور واضحة، بل يواجـه أزمة إرادة وأزمة شـعور بالخمـول اللامتناهـي، إنّهـا أخلاقيـات الهزيمـة أو مـوت الضمـير كـما كان يسـمّيها السـيد محمـد باقـر الصـدر، عندمـا تتغلغل في الأمّـة تنهي أمرهـا إلى الأبـد، فـكلّ واحـد يرصـد مصالحه ويبنـي علاقاته تبعـاً لها، وعندمـا تتشـابك العلاقـات يصعب عليـه الفرار مـن قبضتها.

إنّ شـجاعة الحسـين وأصحابه وأهـل بيته سـلام الله عليهم تكمن في وجـود إرادة وسـط إحبـاط عـام في الأمّة، هـذا موضوع جـادّ، الحديث عـن خلـق إرادة وسـط منـاخ إحباط وخمـول وتكاسـل عـامّ شيء مهم للنهـوض، وشيء ليـس بسـهلٍ أبـداً، وهـذا هو مـا يقوم بـه المصلحون عـبر التاريخ.

ألا يمكننـي بهـذه الثـورة العظيمـة أن أعيـد إنتـاج مفهـوم الإرادة المقدّسـة والحديـث عـن مكوّناتـه وكيفيـات صنعـه وتأثيراتـه ونتائجـه وغـير ذلـك؟! بالتأكيـد يمكـن ولـديّ الكثير من المـواد التاريخيـة الخام في هـذه الثـورة التـي تسـاعدني في توظيفها لهـذا الغرض الشريـف. هنا يظهـر مفهـوم «قلوبهـم معـك وسـيوفهم عليـك» أو مفهـوم «قلوبهـم معـك وسـيوفهم في أغمادهـا»، حيـث تهيمـن ثقافـة التثبيـط بلغـات متعـدّدة، يقولـون لـك: لا فائـدة مـن العمـل؟ أمّة لـن يصلـح أمرها؟ شـعوبنا لـن تسـتجيب؟ لـن تجـرّ سـوى الويـلات عـلى نفسـك والنقد والتجريـح والهجـوم والاعتـداء.

هـذه هـي نفـس الثقافـة التـي احتواهـا الحـوار التاريخي بـين الإمام الخمينـي وأحـد العلـماء البارزيـن رحمهـما الله، وعـلى أبعد تقديـر يتكلّم المثبّطـون بلسـان الحـرص عـلى الحسـين عليه السلام: لا تخـرج فإنّك مقتـول، لا تخـرج فسـوف يغـدر بـك أهـل الكوفـة، لا تخرج..

المفهـوم الخامـس: صدق الولاء أو السـلامة الأخلاقيـة للانتماء، هذا موضـوع ضروري جـدّاً، فقـد رأينـا الكثير مـن الحـركات الدينية وغير الدينيـة كيـف عانـت مـن النفعيـين والوصوليـين في صفوفهـا، ورأينـا كيـف يمكـن للشـخص الضعيـف أن يحـرف ولاءه مـن جهـة إلى جهة ثانيـة تحت ضغـط الواقـع والمصالـح الخاصّة.

إنّ تجربـة أصحـاب الحسـين وأهـل بيتـه عليهم السلام تعطـي درسـاً رهيبـاً في صـدق الـولاء، ليـس بمعنـى التضحيـة فقط، بـل بمعنـى أنّنـي عندما أنتمـي لفكـر أو عقيـدة أو مدرسـة أو تيـار مـا في الديـن أو الاجتماع أو السياسـة فإنّنـي صـادق الولاء سـليم الانتـماء، وهذا يعنـي أنّني مخلص لهـذا الاتّبـاع الواعـي، ولسـت وصوليـاً أو متخلّيـاً في لحظـة حسّاسـة عـن ولائـي هـذا. إنّ صناعـة مجموعـة مخلصـة يبقـى ضرورة عظيمـة لقيامـة أمّـة ونهضـة وكيـان، فـما لم تكن هنـاك مجموعـة مخلصـة صادقة فـإنّ السـواد الأعظـم يمكـن أن تضيـع بـه السـبل عـبر تحريكـه بأيدي المنافقـين والوصوليـين.

إنّ الحركـة الإسـلامية والنشـاط الدينـي معنـيٌّ اليوم بصنـع الصدق في الـولاء؛ لأنّ هـذا الصـدق الـذي يقـوم عـلى مجموعة مفاهيـم عقدية وإيمانيـة وأخلاقيـة وتربويـة يمكـن أن يشـكّل ضمانـة سـلامة المسـيرة وعـدم انحرافهـا في المسـتقبل، وهـو مـا تسـتطيع السـيرة الحسـينية أن تسـاهم في زرعـه في الثقافـة الاجتماعيـة العامّـة.

المفهوم السادس: الصبر وعدم استعجال النتائج، فكثير منّا لا يصبر للوصول إلى الهدف، وكم من مشروع أجهضناه لأنّنا لم نعطه الوقت الكافي والطبيعي لكي يُنتج ثماره، فحالنا حال مزارعٍ جاهل قطع أشجاره في الشتاء؛ لأنّها لم تثمر، ولم ينتظر إلى الربيع أو الصيف كي يرى الثمر الطيّب. نحن عجولون، نحرق المراحل ونستعجل النتائج وإلا أصبنا باليأس والإحباط، ونحسب أعمار الشعوب والأمم على عمر الفرد العادي، فالفرد العادي يحتاج لعشرين سنة حتى يصبح في عنفوان شبابه، لكنّ الأمم قد تحتاج أحياناً لخمسين أو سبعين سنة أو أكثر حتى تصل إلى هذه المرحلة.

إنّ ثورة الحسين عليه السلام تعلّمنا أنّ النتائج قد لا تكون في حياتك، بل قد تكون بعد رحيلك. إنّها تعلمنا أحياناً أنّ رحيلنا مقدّمة لتغيّر الأوضاع، وأنّ ثورةً وقعت في ٦١هـ آتت ثمارها بعد عقود وما تزال. يقولون بأنّه عندما سئل الإمام الخميني: كيف يمكن لك أن تسقط الشاه؟ وهل لك بهذا طاقة وقوّة وفرصة ووقت وأنت في هذا العمر؟ قال بكلّ هدوء: إذا لم أوفّق فسيأتي الجيل اللاحق ليكمل المسيرة. هذا مفهوم بسيط لكنّه منتج وناهض، نحن العرب بالخصوص مصابون ـ كبني الإنسان ـ بالعجلة، نؤسّس مشروعاً ونريد نتائجه في الغد. نفكّر بطريقة التاجر الذي يربح في صفقة واحدة، ولا نفكّر بطريقة العامل الذي يربح بالتدريج.

هذه كلّها مفاهيم معطّلة ومعيقة للنهوض، ويمكن للسيرة الحسينية اليوم أن تساعدنا على تفتيت هذه المفاهيم من وعينا الاجتماعي، وخلق نفوس قويّة صابرة غير مستعجلة، تسير ببطء متواصل بدل أن تسير بعجلة متقطّعة. إنّ خطابات السيدة زينب

فيها ما يشير إلى المستقبل، وأنّ القضية ليست في هذا النهار فقط، وإنّما في المستقبل الذي ننظر إليه بعيون أخرى.

المفهوم السابع: مفهوم الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على المستوى الاجتماعي والسياسي العام، كما جاء في خطبة الإمام الحسين عليه السلام التي حدّد فيها أهداف الثورة والخروج، وليس إبقاء الإصلاح في إطار الفرد، ولا حصر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في إطار التدخّل لمنع أغنية يضعها سائق أجرة في سيارته أو شعر من مقدّم الرأس يظهر من امرأةٍ في الطريق.

إنّه تحويل مسارات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وثقافة مفهوم الإصلاح من الأبعاد الفردية إلى الأبعاد العامّة المجتمعيّة، إلى الإعلام والثقافة والتربية والتعليم والسياسة والاقتصاد والظلم الطبقي وسوء الاستهلاك وتبديد الثروات وغير ذلك. لقد كان هذا هو الخلاف بين الإمام الحسين وبعض الصحابة في عصره. وعندما تفكّر الأمّة ـ بقواعدها ونخبها ـ بهذه الطريقة فيمكن لنا أن نتصوّر النهوض والبناء والقيامة، أمّا لو حصرنا الوظائف بالنمط الفردي وتخلّينا عن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح العام في المجتمع، ودخلنا في نهج اللاأبالية فلن نتمكّن من الإمساك بزمام أمورنا يوماً.

المفهوم الثامن: مفهوم إنسانيّة الدين وإنسانيّة الحرب، وهو المفهوم الذي تجلّى في غير موقع في المسيرة الحسينية، في ثقافة العفو وقبول التوبة مع الرياحي، وفي ثقافة الماء وتوزيعه على الأعداء، في مقابل الثقافة غير الإنسانية التي انتهجها الخصوم، وهنا يمكن التركيز على تأثيرات الثقافة الإنسانية في الدين من خلال تأثيرها في

الحرّ بن يزيد الرياحي وغيره.

إنّ لغة الحسين ولغة خصومه هي لغة الإنسان ولغة الوحش القابع في النفس الإنسانيّة، فأيّ مراجعة للنصوص من كلا الطرفين سوف تعطينا هذا الأمر، وقد جاء في الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام مخاطباً عمار بن أبي الأحوص: «أما علمت أنّ إمارة بني أمية كانت بالسيف والعسف والجور، وإنّ إمارتنا بالرفق والتألّف والوقار والتقية وحسن الخلطة والورع والاجتهاد، فرغّبوا الناس في دينكم وفيما أنتم عليه» (الخصال: ٣٥٤ـ ٣٥٥).

كم نحن بحاجة اليوم لما بات يسمّى بـ «إنقاد النزعة الإنسانية في الدين»، حيث بتنا نشهد تديّناً عدوانيّاً صدامياً لا يعرف الرحمة ولا الشفقة ولا المودّة ولا الرقّة، حريّ بنا أن نستخرج إنسانيّات الثورة الحسينية لنضيء عليها مقدّمةً لإحياء النزعة الإنسانيّة في حياتنا.

المفهوم التاسع: مفهوم القيادة الصالحة، حيث أراد الحسين عليه السلام فضح زيف القيادة غير الصالحة ولو كان من حولها من ينسج لها التبريرات الدينية ويبايعها على السمع والطاعة. لقد رفض الحسين تبريراتهم، وقال لهم بأنّ مثل هذا الإنسان لا يمكن أن يتولّى منصب خلافة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

حركة الحسين تفرض عليّ النظر في زماني، ففي هذا العصر أيضاً يزيدٌ وحسين، وذلك عندما أؤمن باستمراريّة المفاهيم التي بعثت ثورة الحسين، وعَليَّ أن أبحث عن يزيد لأواجهه وأرفضه، وعن الحسين لأنتمي إليه، فالحسين ليس تاريخاً فقط، بل هو واقعٌ إنساني مستمرّ في صراع البشر، وفي صراع الميول والقيم، ليس في السياسة والسلطة العسكرية والأمنية فحسب، بل في الاقتصاد، وفي الاجتماع،

وفي حياتنا المدنية، وفي عيشنا الديني، توجد نماذج متنوّعة يزيدية وحسينيّة. وعندما أبكي الحسين فإنني أبكي واقعاً مؤلماً لتكون دمعتي شعلةً للتغيير نحو الأفضل، وإلا فسيكون من التناقض أن أبكي الحسين في التاريخ وأوالي يزيد العصر في الحاضر والمستقبل.

المفهوم العاشر: مفهوم العقل المبدئي في مقابل العقل البراغماتي النفعي، لقد قلت يوماً الجملة التالية: «يوماً ما لم أفهم بعقلي البراغماتي (فقه المصلحة القائم على نظرية التزاحم) تصرّفات بعض الشخصيات الكبرى كالإمامين علي والحسين عليهما السلام، لكن عندما عايشت تجارب الانحراف الأخلاقي المجتمعي الذي يقع داخل الوسط الديني بحجّة المصلحة والضرورات، أدركت أنّ بعض الخطوات المنتفضة على الواقع والمتصادمة معه لا تحتاج لأن تكسب نتائجها المصلحيّة، بقدر ما يكفيها أن تهزّ الوجدان، وتخلق شعوراً بعدم الرضا عن الأنا الفردية والاجتماعية. يجب أن لا يبقى الانحراف متنعّماً بسكينة باطنية ومتحرّراً من عذاب الضمير، هذه خطوة مهمّة للتغيير المستقبلي، حتى لو لم يقع التغيير أساساً في لحظتك» (إضاءات في الفكر والدين والاجتماع ٢: ٥٧٧).

كثيرون عابوا ضعف السياسة عند الإمام علي والإمام الحسين عليهما السلام، لكنّني أجد أنّ الثبات على المبدأ ولو بطريقة حادّة، يظلّ ضرورة أحياناً لاسيما في المناخ الديني؛ لأنّ هيمنة الثقافة المصلحية التي توازن المصالح ـ ولست ضدّ فقه المصلحة من حيث المبدأ ـ قد يقدّم المبادئ يوماً ما قرابين على مذبحها، وهذه نقطة خطرة، فحركة علي والحسين هي حركة المبدأ حيث يحتاج إلى صدمة وإلى زوايا محدّدة كي يبقى في الذاكرة الجماعية وفي الضمير المدفون، مقابل حركة

المصلحة التي قد تذيب كلّ شيء بزواياها المدوّرة لأجل حساباتها الخاصّة، ولو كانت حسابات ملوّنةٍ بالدين أحياناً.

أكتفي بهذا القدر؛ لأنّ الكلام طويل جدّاً، والفرصة غير مؤاتية، ولو أراد الإنسان أن يقف مع نصوص وكلمات هذه الحادثة ووقائعها واقعةً واقعة وكلمةً كلمة، لأمكنه أن يستخرج عدداً كبيراً من المفاهيم العمليّة والبنائيّة التي تجعل حياتنا حسينيةً بالمعنى الأفضل، فالحسين يُقرأ جزءاً من كلّ، لا يمكن أن تقرأه بعيداً عن العقيدة والشريعة والقيم والمفاهيم، هو ليس حدثاً مستقلاً عن المنظومة الدينية والأخلاقيّة، بل هو جوهرها وخلاصتها، فلابدّ من التفتيش عنها فيه.

لكنّني أشير في نهاية الكلام إلى نعمة الاجتماع والتواصل في عاشوراء، فهذه الحشود العظيمة التي تتلاقى كلّ يوم في المجالس والمراقد والحسينيات وفي كلّ مكان، هي بنفسها مظهر تواصل اجتماعي، كيف أستثمره؟ كيف يمكن لأهل البصيرة أن يستثمروا كلّ هذا الحشد الهائل للناس وكلّ هذا الاستعداد للسماع؟ من الصعب أن تجمع كلّ هذا العدد ليستمع في أيام معدودة، فكيف يمكنني أن أستفيد من هذا الاجتماع البشري مترامي الأطراف؟ إنّ عاشوراء فرصة لإيصال الرسائل، فلو يكون هناك مجلس عالمي أو وطني للخطباء الحسينيين أو غيرهم ممّن لهم نشاط في هذه الأيام، وتكون هناك خطط استراتيجية لتحديد الموضوعات والأولويات العامّة والمناطقيّة لتداولها، فستكون لدينا قدرة تأثير كبيرة جدّاً، لأنّ طاقة الاستماع عند الناس مضاعفة في هذه الأيّام. عندما يتحدّث المئات من الخطباء في هذا البلد أو ذاك عن مشاكل هذا البلد السياسية أو

الاجتماعيـة أو الأخلاقيـة وتتنـوّع طرائـق بيانهم وأسـاليبهم، فسـيكون لذلـك وقـعٌ كبير.

إنّ عاشـوراء تقـدّم لي مجاناً مجموعة كبـيرة من الناس أتـت باختيارها إليّ لتسـتمع بـأذن صاغيـة، فكيـف لي أن أسـتغلّ هـذه الآذان لإيصـال رسـائلي التوعويـة؟ وكيـف لي أن أنبّه في هـذه الأيام على مشـاكل محدّدة ودقيقـة وبشـكل جماعي متنـوّع ومدروس؟ هـذه فرصة تاريخيّة سـنويّة توفّرهـا عاشـوراء ويمكن الاسـتفادة منها أيضـاً لتداول مشـاكل الأمّة خلال العـام كلّه.

نسـأل الله تعـالى لـكلّ القيمـين عـلى هـذه المجالـس الكريمـة ولكلّ الداعمـين ولكلّ الخطبـاء والمشـاركين التوفيق لإقامة عاشـوراء ناصعة مهيبة، تسـاهم كلّ المسـاهمة في قيامة ديننا وإنسـاننا قيامـةً صالحة في هذا الزمن العسـير، والله الموفّـق والمعين.

استغراق حركة الإصلاح الديني في جزئيّات الخلافات العقدية والشعائريّة[1]

◈ السؤال: تكثر في الآونة الأخيرة الجدالات حول تفاصيل عقدية وشعائريّة بين المؤمنين، ويتحسّس كلّ منهم من الطرف الآخر في تعابيره وكلماته، إنّني أعتقد بأنّ الإصلاح والتغيير لا ينصبّ على مثل هذه المفردات والممارسات الشعبيّة، فنحن بحاجة إلى مشروع إصلاح ولكن قبل ذلك نحتاج إلى رؤية ونحتاج إلى خارطة طريق - إذا جازت الاستعارة - ونحتاج إلى وضع أولويّات ودراسة النتائج. وحتى مع القول الذي يؤمن بفكرة الصدمة وبضرورة النقد، فإنّ «الخراب» في الأمة هل مكمنه في هذه الأدعية والتوسّلات أو في هذه الزيارة أو في تلك الشعيرة أو في هذه العقيدة التفصيليّة حتى تركّز كلّ الجهود عليها؟! أم أنّه تعبير عن فشل في التشخيص وإفلاس في تقديم مضمون فكري ثقافي واع وعميق في الأمّة؟ لقد علّقتُ على بعض مقالات الشيخ (...) وقلتُ: ما باله يختار مفردات تتعامل معها الأوساط الشعبية من قبيل حديث الكساء ورواية «لولاك» و «نحن حججه وفاطمة حجّة علينا» وما شابه؟ لماذا لا يقوم بوضع مشروع دراسة موسّعة لسيرة النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام؟ لماذا لا يشكّل فريقاً لوضع دراسة موسّعة متعدّدة الأبعاد تاريخية ودعوية حركية وتربويّة وتشريعيّة وسياسيّة عن النبي والأئمّة مثلاً؟ ثم إنّ التخلّف حالة عامة ليس في أمّة العرب والمسلمين فقط، بل في عموم العالم الثالث، فهل كلّ هذا التخلّف مصدره هذه الثقافة السائدة في الوسط الشيعي مثلاً بحيث يتعامل بعضٌ معها على أنّها تنشر الخرافة والتخلّف وما شابه، وكأنّ معالجتها والقضاء عليها سينقل العرب والمسلمين إلى عالم الأنوار وما بعده؟! ثم

(١) إضاءات ٣: ٤٩٧

حتى لو تنزّلنا وقلنا بأهمية تناول هذه الأمور ونقدها ولكن لابدّ من اتّباع طرق وأساليب علميّة موضوعيّة وخطاب منضبط يُسهم في نشر الفكرة بدلاً من الإثارة! لا أدري ما رأيكم؟

◈ الجواب: أوافقكم في الجملة على ما ذكرتموه، لكن لديّ ملاحظات قد تجعلنا مختلفين في المنهج والتصوّر:

أوّلاً: إنّ الخلافات الجزئيّة التي أشرتم إليها (وغيرها كثير) يمكن أن نقرأها من زاويتين: ففي الزاوية الأولى ستبدو خلافات جزئيّة وطفيفة وسطحية، لكنّها في الزاوية الثانية ليست سوى مصاديق وتمظهرات لمناحي فكرية في فهم الإسلام، فهناك في تقديري صراع بين منهج القرآن ومنهج الحديث، بين منهج التوثيق الحديثي ومنهج النقد الحديثي، بين المنهج العقلاني ومنهج اللامعقول الغيبي، بين المنهج التاريخي والمنهج غير التاريخي، بين منهج صناعة عادات وثقافات وأنماط عيش دينية جديدة ومنهج يرفض ذلك ويراه بدعاً، بين منهج دفاعي ومنهج نقدي، بين منهج تواصلي مع الغرب في مجال الإنسانيات ومنهج تقاطعي، بين منهج توحيدي مع أهل السنّة ومنهج تمييزي، بين منهج (كفى سكوتاً عن تقصيرات المرجعيّة الدينية) ومنهج لابدّ من التغيير الصامت، إلى غير ذلك من الاختلافات.

وأعتقد بأنّ هذه المعارك المبعثرة هنا وهناك ترجع إلى أنّ العقل الشيعي يحدّد خياراته، وأنّه على مفترق طرق في اختيار المناهج والعقول المعتمدة، ولهذا فأنا لا أبسّط ما يُثار؛ لأنني لا أراه لوحده، بل أراه انعكاساً لصراع مناهج وطرائق تفكير وخيارات استراتيجيّة.

ثانياً: وفقاً لذلك، فأنا إذا اخترت منهجاً فلا أستطيع أن أكون

نخبويّاً، أعيش مع المنهج، وأتحدّث فقط في المنهج والتنظيرات والثقافة المخملية الصالونيّة التجريديّة، ثم أُخلي الساحة لتطبيقات المنهج الآخر، فهذا ضرب من النخبويّة الخياليّة النرجسيّة المتعالية التي لا فائدة منها، فأنت مقهور على النزول إلى التفاصيل، لكي يخوض المنهج معركة الوجود فيها.

نعم، قد لا يناسب أن ينزل الجميع للتفاصيل، فإنّ في هذا استهلاكاً للطاقات وبعثرةً للأولويّات، لكن نزول البعض ضروريٌّ، كيف والآخر يخلق كلّ يوم تفاصيله التي تسيطر على الساحة وتشكّل وعياً جديداً سيجعلك في نهاية المطاف في غرفة مغلقة مهما أنتجت من كتبٍ ومجلات وفكر ومؤتمرات، فهذا مثل التقريب بين المذاهب، فما لم يدخل التقريبيون في صراع ميداني فكري مع اتجاهات التمزيق والسلفيّة فإنّ الحديث عن التنظيرات العامّة لا فائدة منه حتى لو قدّمت عشرين ألف مجلّد. والمعركة الفكريّة ليست معركة أوراق وتأمّلات في الفضاء الطلق، بل لها جانب عملي في الإمساك بالأمور، وهذا الجانب يفرض قوانينه الخاصّة، وإلا تحوّل الإصلاح إلى نخب تجلس في مقاهي الثقافة والشعر ونوادي الأدب والخطابة!! وعموم الناس ومتوسّطو الحال لا تنفع معهم المشاريع الفكرية الكبرى، بل لابدّ أيضاً من إصلاح التفاصيل والعادات، أليست هذه سنّة الأنبياء في محاربة العادات حتى الجزئيّة والإطاحة بها؟ فهل الأنبياء جلسوا ينظّرون في الكلّيات العامّة أم دخل النبيّ في التفاصيل وفي العادات وفي اليوميات وصحّحها حتى لو انفعل قومه الذين لا يريدون تغييرها؛ لأنّ تغييرها من تغيير مواقعهم وسلطتهم؟!

ثالثاً: أتّفق معكم أنّ النزول هذا يجب أن يكون مدروساً ومتوازناً

وعقلانيّاً يحسب الحسابات من جميع الجهات، بحسب ما أوتيت عقولنا من طاقات وإمكانات، وأنّ الكثير من أصحاب المشاريع الجديدة أخطأوا في هذه النقطة، ولعلّ هذا هو الذي يوحي بكلّ الإشكالات الأخرى.

رابعاً: إذا كان هيجان العامّة ضدّ الفكر الإصلاحي ردّة فعل، فلماذا لا نحسب تيار النقد بنفسه ردّة فعل على مآلات أوصلتنا إليها العقليّة القديمة السائدة التي تمتاز بأنّها الممسكة بالأمور سابقاً وحاليّاً؟ وإذا أردت أن أعذر هنا فعليّ أن أعذر هنا أيضاً؛ لهذا أعتقد أنّ علينا ممارسة التعذير في كلّ النواحي وفي الوقت نفسه النقد.

خامساً: إنّني دوماً أفرّق بين التقويم والتوصيف والتوقّع، فسلوك النقديين يمكن تقويمه سلباً أو إيجاباً، وأنا أقبل بوجود ملفّات أخرى هامّة مغفلة عندهم نسبيّاً، رغم أنني أختلف معكم في أنّ القوم اهتموا كثيراً بغير قضايا المذهبيّات؛ لأنّني لا أعتبر أنّ جماعةً بعينها هم الإصلاحيون الوحيدون في الساحة، ولا أقرأ الإصلاح بهذه الطريقة، فقد اهتمّ الإصلاحيّون بالفكر السياسي كثيراً، وكتبوا في التفسير وفي الحديث وفي العلاقات الاجتماعيّة والتربويّة وغير ذلك. وإنّني أرفض أن نجلد ذاتنا أو أن نستسلم لتوصيفات الآخرين الذين يريدون دوماً تصوير رموز الإصلاح الديني بالضعف العلمي، فهذا وهم، فالآخرون أيضاً يعانون من مشاكل في قضاياهم الفكريّة.

لكنّ تقويمي للإصلاحيين شيء وأن أتوقّع ظهورهم ولا أصاب بالدهشة منه في كلّ مرّة شيء آخر، لأنّ مسارات الأمور تفضي منطقيّاً لظهور تطرّف عندهم كما تفضي عند غيرهم، ولا يصحّ أن أضع الضحيّة والجلاد في كفّة واحدة، كما لا يصحّ أن أعتبر أنّ الفعل دوماً

في طرف وردّة الفعل في طرف آخر، بل هي علاقة جدليّة. هذا، وكلامي بالمطلق أما المصداق الفلاني هنا في هذا البلد أو هناك في ذاك البلد، فلست متعرّضاً له فيما قلته هنا.

سادساً: لا أحد يقول بأنّ الخراب في الأمّة مكمنه هذه الأمور فقط، لكنّ عالم الدين مسؤول عن عناصر الخراب المتصلة بشؤون الدين، لهذا من الطبيعي أنّ عالم الدين يتصدّى لعناصر الخراب الدينية، فيما يوكل مهمّة إصلاح العناصر الأخرى لسائر الفئات الاجتماعيّة والعلميّة أو على الأقل يشارك هناك بمشاركة من الدرجة الثانية، إذا كان لا يجوز أن ننتقد رواية هنا لأنّها ضعيفة أو زيارة هناك أو مسلكيّة هنا أو رأياً مشهوراً هناك، أو ننتقد مرجعاً أو فقيهاً؛ لأنّ المرحلة لا تتحمّل، ولا ننتقد تياراً فكريّاً معيّناً و...

ونبقى دوماً في نقدٍ مقنّع متخفّ يهمس من بعيد، فكيف نصلح عناصر الخراب المتصلة بالدين؟! هل جرّب أحدٌ طريقة التغيير الصامت هذه في العصر الحديث ونجحت معه؟ ألم يشنّ الإمام الخميني والسيد فضل الله والشيخ شمس الدين والسيد محمّد الشيرازي والسيد الصدر والسيد موسى الصدر والسيد محمّد صادق الصدر والشيخ المطهّري والعلامة الطباطبائي والدكتور علي شريعتي والسيد محمود الطالقاني والشيخ محمّد جواد مغنيّة والسيد هاشم معروف الحسني والسيد محسن الأمين وغيرهم أعنف الهجمات على الحوزة العلميّة أو على الأفكار المهيمنة التي كانت سائدة في عصرهم وتعرّضوا للتشويه والنقد، وخاضوا معارك ـ كلّ بحسبه ـ في هذا الإطار، وتدخّلوا في تفاصيل الوعي الديني الذي كان سائداً، حتى تحوّلوا اليوم إلى مسلّمات وتخطّينا الكثير من

الأفكار التي حاربوها؟

هل كان هؤلاء الرموز لم يثيروا ضجّة في الأوساط الشيعية ولم تحدث قلاقل في الخلاف معهم؟ هل كانت حركتهم هادئة؟ أم حوربوا وافتعلت الأزمات ضدّهم (حتى وصلت بعض تجلّياتها في المنهج الفكري والعملي إلى حروب داخليّة فرضت عليهم وسفكت فيها دماء الشيعة)؟ ولولا أنّهم صاروا الحلقة الأقوى بانتصار تيّارهم السياسي والاجتماعي لرأينا استمراراً للحرب عليهم إلى يومك هذا (بل هي ما تزال موجودة في الغرف المغلقة)!!

إنّ من المهم قراءة التاريخ لنعرف أنّ هؤلاء جميعاً أو غالبيتهم الساحقة واجهوا مشاكل من هذا النوع؟ كلّ ما في الأمر أنّ الأمور اليوم صارت مكشوفة ليس لشيء إلا لاتساع رقعة ومساحة نشاط وسائل التواصل والإعلام، وإلا فإنّني لا أجد في القضيّة شيئاً آخر مختلفاً، فهل كانت لغة السيد فضل الله أو الشيخ الذي ذكرتموه أعنف وأقسى من لغة مطهّري أو الخميني أو مغنيّة في حقّ الحوزات؟ راجعوا نصوص الفريقين وسترون، ولكنّ ذاكرتنا الجماعيّة قد تضعف في بعض الأحيان.

إنّ التغيير الصامت يمكن تطبيقه في الدول والبلدان المستقرّة مثل الغرب، أمّا في مثل العالم الثالث فلابدّ من قفزات فكريّة ونهضويّة وثورات حتى يتمّ التغيير. لست ضدّ التغيير الصامت لكنّني لا أراه كافياً في الكثير من المواقع، وإن كان مفيداً جدّاً في مواقع كثيرة أخرى، لكنّ تحويله إلى منهج عام يفضي إلى عجز.

وأخيراً، أودّ أن أشير إلى أنّ رجالات الإصلاح الديني وأتباعهم لم تقتصر جهودهم ـ كما يريد خصومهم أن يصوّروهم ـ على ملاحقة

القضايا الجزئيّة الخلافيّة، بل رأينا لديهم مشاريع كبرى، بحيث بدت هذه القضايا الخلافيّة أمامها أقلّ من الواحد في المائة من مجموع عملهم، لكنّ الآخرين يكبّرون هذا الواحد في المائة ليشغلوا الساحة به، فيما ينسى الجميع أنّ هؤلاء الإصلاحيين قد قاموا بأنشطة كثيرة أخرى وتجارب رائعة أخرى في حياتهم، خذ مثالاً السيد فضل الله الذي يعدّ أكثر الذين اتهموا بإرباك الساحة بهذه الأفكار النقديّة، هل قضى عمره كلّه في التعليق على هذه العادة أو تلك أو هذه الرواية أو تلك أو هذه الزيارة أو تلك؟!

كم هو عدد كلماته في هذا الإطار قياساً بما يقرب من ثلاثين مجلّداً في الفقه (وبعض أبحاثه في الفقه جاء مقارناً مع القانون الوضعي مثل كتاب الإجارة) وأخرى مثلها في تفسير القرآن الكريم، وعشرات آلاف المقالات والمحاضرات والإجابات والاستفتاءات في قضايا الفكر والسياسة والاجتماع والثقافة والأخلاق والتربية والتاريخ، ونظرياته ونهجه الفكري الذي وضعه في قضايا الحوار الإسلامي الإسلامي، وقضايا الحوار الإسلامي المسيحي، وقضايا المرأة، وما قدّمه من أنموذج متطوّر للرسالة العمليّة (فقه الشريعة) شهد أمامي بعض كبار تلامذة السيد الصدر بأنّها أفضل من الفتاوى الواضحة للسيد الشهيد، من حيث اللغة والمنهجة والتنظيم القانوني، فضلاً عن مشاريع ميدانية يقرّ بها العدوّ قبل الصديق لبناء الجيل الصاعد؟!

خذ مثالاً آخر، حركة الإصلاح الديني (لا السياسي) التي شهدتها إيران منذ بداية التسعينيات، ألم يسهم الإصلاحيون (المعتدلون منهم ولا شأن لنا بالمتطرّفين) في تأسيس علوم جديدة تراجعت مع الأسف

مـع تراجعهـم، مثـل علم فلسـفة الفقـه، وعلم الـكلام الجديـد، وعلم فلسـفة الدين، وكانت لهم مسـاهمات فلسـفيّة ومعرفيّة مشـهودة؟! هل يكـون بنـاء المشـاريع البديلـة بغير التراكـم التدريجـي؟ تعالـوا لننصف النـاس جميعـاً، ولا نصوّرهـم وكأنّهـم عاطلـين عـن العمـل لا يعملون إلا في مجـال التعليـق عـلى زيـد أو عمـرو أو ملاحقـة بعـض التفاصيل، وتعالـوا لتكـون لدينـا الجـرأة لنقـد خصـوم الإصلاحيـين علنـاً كـما ننتقدهـم هـم علنـاً أيضاً وبنفـس الدرجة، وإلا مـا راعينا قانـون العدل والإنصـاف! والله مـن وراء القصد.

تعليق على كلام د. مصطفى محمود
حول الإسلام الطقوسي والشعائري[1]

◈ **السؤال: يقول المرحوم الدكتور مصطفى محمود: إنّ الغرب لا يخشى الإسلام الطقوسي والشعائريّ، بل يخشى الإسلام الذي يدعو إلى العلم والعمل والتقدّم والحضارة. فهل تتّفق شيخنا مع هذا القول؟ هل نستطيع التفكيك بين العمل وبين الشعار؟ ألا تخدم الشعائر مسيرة العمل؟ أليس المجاهدون في لبنان يستمدّون طاقة الجهاد والتفاني من الصلاة ومن الشعائر الحسينيّة؟ أوليست الشعائر هي بنفسها تجسّد التفاني والإخلاص والتطوّع والتبرّع بالأموال كما نشاهد ذلك أثناء الشعائر الحسينيّة؟**

◈ الجواب: لعلّه حصل خطأ بسيط في فهم ما يريده الدكتور مصطفى محمود بحسب نقلكم، فليس مقصوده ومقصود أمثاله من الذين تحدّثوا عن هذا الموضوع كالإمام الخميني والشيخ المطهّري والدكتور شريعتي وغيرهم، هو القول بأنّ الشعائر الدينية لا قيمة لها أساساً، بل المقصود أنّ التديّن تارةً يكون طقوسيّاً فقط، فنسمّيه بالتديّن الطقوسي، وأخرى يكون تديّناً حياتيّاً وهو الذي تتحوّل فيه الشعائر إلى مادّة خصبة لبناء الحياة والوجود، ولقيامة الدنيا والآخرة.

فعندما نجد مجموعةً من الأشخاص همّهم فقط إقامة الصلاة في المساجد وإحياء المجالس الحسينيّة والذهاب للحجّ ونحو ذلك، فيما لا تجد لهم في قضايا الدفاع عن المظلومين، ولا في بناء الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكريّة للأمّة الإسلاميّة دورٌ يُذكر، بل تراهم دعاة راحةٍ ودعة ومسالمة مع المعتدي والظالم والجائر، فهذا

(١) إضاءات ٣: ٥١٦

هـو الإسـلام الطقـوسي. لقد قـال الإمـام الخمينـي يومـاً: إنّ أمريكا لا تنزعـج مـن الصـلاة، فلنصـلّ إلى يـوم الديـن فهـي لا تنزعج، والشـاه بنفسـه كان يقيم المجالس الحسـينية ويدعمها ويشـارك فيها شـخصيّاً!!

إنّ مقولـة الإمـام الخمينـي هذه لا تعنـي أن نترك الصلاة أو الشـعائر الحسـينية، بـل معناهـا هـو اسـتثمار هذه الشـعائر في بنـاء مجتمعٍ سـليم، كـما يحصل مـع المجاهدين في هـذا البلـد أو ذاك.

ومـن هنـا وجدنـا الكثـير مـن الـكلام عنـد العلـماء والمفكّريـن النهضويـين في القـرن العشرين حـول الجوانـب الاجتماعيّـة للعبادات؛ لأنّ المفكّر المسـلم رأى ضرورة اسـتثمار العبـادات في المجال الاجتماعي وعـدم التضحيـة بالإمكانـات التـي توفّرهـا لنا هـذه العبـادات في هذا المجـال، بـل رأينـا بعضهـم يتحـدّث عـن البُعـد الاجتماعـي في العقائد وأصـول الديـن أيضاً، حتى أدرجه السـيد محمـد باقر الصـدر في مقدّمة وخاتمـة رسـالته العمليّـة (الفتـاوى الواضحة).

إنّـه هـمٌّ كبير حملـه علماء النهضـة المسـلمون في كيفيـة تثويـر العقائد وإخراجهـا من الجانب النظري السـجالي إلى مجال بنـاء الحياة والمجتمع، وكذلـك الحـال في العبادات، ولكـم أن تراجعوا في هذا المجـال كتابات ومقـولات أمثـال: مالـك بن نبـي، وروح الله الخميني، وعـلي شريعتي، ومحمّـد باقـر الصـدر، ومحمـد صـادق الصـدر، ومحمـد عبده، ورشـيد رضـا، ومرتـضى مطهّـري، وحسـين عـلي منتظـري، ومحمّـد حسـين الطباطبائي، ومحمّد حسـين فضـل الله، وإقبال اللاهـوري، ومحمّد رضا حكيمـي، ومحمّـد مهـدي شـمس الدين، وسـيد قطـب، وحسـن البنّا، ومحمـد حسـين كاشـف الغطـاء، ومحمد جـواد مغنيّـة، ومحمـد الغزالي، وموسـى الصـدر، ومحمـد سـعيد رمضـان البوطـي، ومحسـن الأمـين،

ومهـدي بـازركان، وغيرهم، فضلاً عـن الكثير من العلـماء المعاصرين.

وعليـه، يمكـن التفكيـك بين الشـعار والعمـل، بل قـد حصلت على طـول التاريـخ ألـوان كثـيرة مـن ذلك، ومـن يطالـب برفض الإسـلام الطقـوسي إنّـما يطالـب برفـض الإسـلام الـذي يجمـد عـلى الطقـوس ويحوّلهـا إلى عـادات، ويسـتغرق كلّ طاقاتـه فيهـا، ويفقدهـا بُعدهـا الاجتماعـي والنهضـوي والإنسـاني بالمعنـى العـام للكلمـة.

أعتقـد أنّـه بهـذا الفهم لمـراد هـؤلاء العلـماء والمفكّرين ـ وهـو الفهم الصحيـح مـن وجهـة نظـري ـ يحصـل التوفيـق بين مـا قلتمـوه وبين ما قالوه.

هل الحسين شعار المرحلة؟
وماذا عن هدر الأموال في عاشوراء؟![1]

◈ **السؤال: نحن في العراق، كنّا في العهد المقبور نقيم الشعائر حسب الإمكان، ونتعرّض لما نتعرّض له من اعتقالٍ وترهيب؛ لكي نُعلي رمز الحسين عليه السلام إمام المظلوميّة، ففي ذلك الزمان كان الحسين رمز الثورة على الطاغية، ولا أحد يستطيع المزايدة على شيعة العراق في ذلك، وبعد الانعتاق من الطاغية تعيش الشيعة جوّاً من الحرّية لم نألفه سابقاً. سؤالي: هل من المنطقي أن نستمرّ باعتبار الحسين عليه السلام رمز المرحلة أم أنّ نتوجّه إلى رمزٍ آخر كالإمام أمير المؤمنين عليه السلام في فترة حكمه الميمون أم الصادق عليه السلام في فترة التدريس والانفتاح، ونبدأ بإرساء العدل الاجتماعي والوعي الديني والإنساني؟ وسؤالي هذا نابعٌ من الجهود والإمكانيّات الهائلة التي تُنفق في محرّم وصفر، والتي يراها بعضهم أنّها نوعٌ من الإهدار وفي غير المحلّ المناسب.**

◈ الجواب: ممّا لا شكّ فيه أنّ المراحل في حياة الفرد والجماعة تتغيّر باستمرار، وأنّ على الإنسان في كلّ مرحلة أن يتخذ نهجاً أو أسلوباً أو أداء يتناسب مع متطلّبات تلك المرحلة، فالشيعة ـ على سبيل المثال ـ لطالما عاشوا نهج المعارضة، فإذا صاروا في السلطة وتكرّس هذا الواقع لم يعد من المنطقي لمن هو في السلطة أن يعيش نهج المعارضة وعقليّتها حصراً، بل صارت أمامه استحقاقات جديدة تتطلّب أداء مختلفاً بعض الشيء. ولا يعني ذلك التباين في المواقف أو الأداء، وإنّما يعني شيئاً من الاختلاف وشيئاً من إعادة رسم الأولويّات، وهذا أمر طبيعي جداً.

---

(١) إضاءات ٤: ٤١٣

وإنّني أشارككم في أنّ الشيعة أو أيّ مذهب آخر إذا انتقل من مرحلة المعارضة إلى مرحلة السلطة فلا يصحّ أن يبقى مسكوناً بعقليّة المعارضة حصراً، بل عليه أن يضيف وينوّع كي يضمن استمرار مشروعه، فليست معارضة الظلم هي المشروع الوحيد في الحياة، وليس الدفاع عن المظلومين هو الهدف الوحيد في الحياة، بل أيضاً بناء الجماعة الصالحة التي خرجت من ركام الظلم وحطامه، وتمتين علاقاتها الداخلية، وتنمية حياتها الاقتصادية والثقافية والفكرية والاجتماعيّة والعلمية والإدارية والبشرية والروحية وغير ذلك.. هذه أيضاً أهداف جديدة دخلنا في استحقاقاتها بعد أن صارت الجماعة تملك سلطةً فيما كانت من قَبْلُ تدفع عن نفسها ظلم السلطات فقط.

ولا يعني هذا أنّ الظلم قد توقّف، بل يعني أنّه قد استجدّ ـ إلى جانب الظلم الذي يمارس على الجماعة على المستوى الإقليمي ـ استحقاقٌ آخر، وهو إدارة الجماعة والبلاد والأوطان، ولا تدار أوطانٌ بخطاب المعارضة فقط. من هنا، فأيّ جماعة كانت في موقع المعارضة والقمع والمظلومية، وخرجت لتملك غير مفصل من مفاصل الواقع، مطالبةٌ بأداء جديد، وأن لا تجلس تبكي فقط على حالها.

وهذا ما نجده في سيرة الأنبياء والأئمّة، حيث تحرّك كلّ واحدٍ منهم وفقاً للاستحقاق الذي كان يعيشه، ففيما كان همّ موسى عليه السلام رفع الظلم والبغي والجور الفرعوني عن بني إسرائيل، كان همّ شعيب رفع الفساد الاقتصادي (البخس في المكيال والميزان)، وإصلاح أخلاقيّات التعامل المالي، وكان هدف لوط نشر القيم الأخلاقيّة

لمواجهة الانحراف السلوكي الغريزي في المجتمع، وفيما كان الأداء الحسيني في آخر عمره عليه السلام ثورةً ورفضاً وشهادة، كان العمل الحسني مختلفاً من هذه الزاوية في آخر عمره عليه السلام، وكان الإمام الصادق عليه السلام يعمل ـ بحكم المرحلة ـ على نشر العلم والمعرفة. وقد ورد في الرواية الصحيحة أنّ الإمام الباقر والصادق هما من علّم الشيعة أحكام الشريعة، بعد أن كان السائد في الشيعة الجهل بهذه الأحكام.. فلكلّ واحدٍ منهم مرحلته وشعاره، مع وجود قواسم مشتركة بينهم جميعاً أيضاً مثل الدعوة إلى التوحيد..

فهذا المنطق هو منطقٌ طبيعي. وإذا لم نسر معه فستكون النهاية هي السقوط المدوّي؛ لأنّ الواقع لا يرحم ولا يجامل وليس في قلبه شفقة، بل هو يحثّك دوماً على العمل والانسجام مع متطلّباته.

لكنّ هذا لا يعني أنّ شعيرةً مثل شعيرة عاشوراء يفترض أن تتوقّف؛ لأنّ الظلم في هذا العالم لا يتوقّف، وكثير من أتباع مذهب أهل البيت ما زالوا يعيشون حياة المعارضة والظلم والقمع في غير بلد مسلم، ولم تأت عاشوراء لكي نعيشها إذا كنّا معارضةً فقط أو مقموعين من نظام استبدادي محلّي، بل أتت لتعلّمنا ثقافة رفض الظلم أينما كان وحلّ، وأتت لتقول للناس: إنّ حكّامكم الجدد ـ ولو رفعوا شعار الإسلام ـ لكنّه لا يجوز لهم الظلم والبغي والجور، فلا تغفلوا عن الظلم أبداً، وأبقوا عيونكم مفتوحةً لأيّ انحراف في الأمّة، وابدوا كامل جهوزيّتكم للتضحية بمختلف أشكالها حيث يتطلّب الأمر، وبالطريقة المتناسبة، فقد تكون التضحية شهادةً في سبيل الله، وقد تكون غير ذلك.

فالمبادئ التي نستلهمها من رمزيّة مثل حركة عاشوراء في الثقافة

الإسلاميّة هي مبادى عامّة، كما سبق لي أن شرحت بعضها باختصار من قَبْل وعددت منها عشرة مبادئ، وكلّما نجح العلماء والمصلحون في تجريد الرمزيّات لتحويلها إلى مبادئ عمليّة ـ إلى جانب الحدث التاريخي ـ فسيكون بمقدورهم توظيف هذه الأحداث التاريخيّة في صناعة مستقبلٍ أفضل.

من هنا، لست أوافقكم على أنّ تغيّر الحال في بلدٍ كالعراق يستدعي وقف هذه الشعيرة، لاسيما والظلم العالمي لم يتوقّف قط، فالظلم ليس في العراق فقط، وأنا ـ بوصفي إنساناً وبصفتي مسلماً ـ معنيٌّ بدرجةٍ ما بما يحدث على الإنسان الآخر من ظلم في بلاد المسلمين أو غيرهم، لأكون بذلك إنساناً حقيقيّاً، وأكون بذلك مسلماً حقيقيّاً يعيش ما يعيشه المسلمون في وجدانه ويهتمّ لأمرهم بطريقةٍ حكيمة لا تفسد عليه أمره وأمرهم معاً! هذا كلّه إلى جانب البعد الديني في شعيرة عاشوراء والمرتبط بمبدأ المودّة لأهل البيت وتعميق العلاقة معهم روحيّاً وعاطفيّاً.

لكن لعلّكم لا تقصدون هذا ـ أي إلغاء الشعائر ـ وإنّما تقصدون حجم الاستهلاك الهائل فيها، وهذا موضوعٌ آخر، يجب أن ندرسه من زوايا متعدّدة اقتصاديّة واجتماعيّة ودينية وسياسية محليّة وإقليمية؛ لأنّ ما يحدث في كربلاء أيام محرّم وصفر لم يعد يقتصر على وضع مذهبي داخلي، بل صارت له رسائله الإقليميّة والسياسية الواسعة، فقبل الحكم في هذا الأمر، علينا دراسة هذه العناصر مجتمعةً، وهو ما لا يفسح به المجال.

لكن دعني أؤكّد على مفهوم (الهدر والإسراف)، حيث يدّعي بعض الناس أنّه لا إسراف في قضايا الشعائر، بل لا إسراف عندهم

فيما يسمّونه شعائر ويلحقونه بها إلحاقاً، ولو طيلة العام وليس في محرّم فقط، هذا موضوع مهم جدّاً، عنيتُ الإسراف والهدر في الوقت والمال والطاقات، وكذلك التبذير بسائر التكاليف بهدرها وعدم إعطائها حقّها في نظام الأولويّات، وهذا يستدعي ليس إلغاء الشعائر كما يتوهّم بعضهم، وإنّما العمل على تنظيمها بشكلٍ دقيق زمنيّاً وأدائيّاً بما يحفظ تمام القيم الأخلاقية والدينية.

فلو فرضنا مثلاً أنّ شعيرة الحجّ ستفضي ـ بطريقةٍ ما في أسلوب أدائها ـ إلى فقر المسلمين وضعفهم وتخلّفهم، فهل يعقل أنّ الشريعة فرضت هذه الشعيرة لكي يتراجع حالنا؟ كيف وقد رخّص القرآن للناس بالتجارة في موسم الحجّ ولم يعطّلها عليهم كما هو معروف، وهنا أنا لا أتكلّم عن أصل الفريضة أو الشعيرة، بل أتكلّم عن طريقتنا في أدائها، بحيث تجدنا نُلغي ـ أثناء تأديتنا لها ـ فرائض أخر كانت لازمةً علينا أيضاً، من نوع بناء الأوطان وتقوية اقتصاد المسلمين، ورفع مستوى الوعي والثقافة في حياتهم وغير ذلك، وكأنّها أمور لا تعني المسلم قطّ في هذه الحياة.. أو كأنّها ملفّات انتهينا منها ويحتاج العالم لسنوات كي يلحق بنا فيها!!

نحن اليوم ـ أخي الكريم ـ في حال طوارئ ولسنا في حال رخاء، وهذا يجب أن نعرفه جيداً.. هل تطوّرنا العلمي اليوم ونجاح شبابنا في تطوير العلوم الإنسانيّة والطبيعية لما فيه مصلحة أوطان المسلمين ولو بالاستفادة من الشعوب الأخرى، أمرٌ مستحب ومن الكماليّات أم واجب ومن الضروريّات؟ هل اكتفاؤنا الذاتي اليوم على المستوى الصناعي والتكنولوجي مستحبّ وكمالي أم واجب وضروري؟ هل إصلاح بل وتطوير أوضاعنا الإدارية ومحاربة الفساد المالي والإداري

اليـوم واجـب أم مسـتحبّ؟ هـل تطـوّر بـلاد المسـلمين في الإنتاج على مختلـف الصعد مسـتحبّ اليـوم أم واجب وضروري؟ هل حثّ شـبابنا عـلى طلب العلـم في أصقـاع الأرض وبأعـلى الشـهادات وأرقاها لازمٌ للأمّـة أم خطـر؛ لأنّ بعـض الأشـخاص ارتـدّوا مثـلاً، وكأنّهـم لـن يرتـدّوا لـو بقـوا في بـلاد المسـلمين؟! وهـل كلّ تلـك الحضـارة التـي بناهـا المسـلمون عـبر التاريـخ كانـت أمـراً مسـتحبّاً وليـس بواجب؟! ألم نلاحـظ في القـرآن والسـنّة تكـرّر الدعـوة للأخذ بالأحسـن وطلب الزيـادة في العلـم وغـيره؟! فلـماذا صـارت هـذه الأشـياء مسـتحبات وكماليـات لا يعيـش المتديّـن اعتبارهـا مـن فـروض الكفايـات، عنيت فـرض تطويـر المسـلمين وتقدّمهم عـلى مختلـف الصعد بما يرفـع حالهم ليكونـوا في مصـافّ بـل أرفع من الأمـم الأخرى..؟ وألسـنا بحاجة إلى العقـل الدينـي الذي يحمـل هذا النمـط من الفهـم؟ ألم يذمّ الرسـول في الروايـة المنقولـة عنـه ذلـك الشـابَّ الذي تـرك أهلـه وعيالـه للتعبّد لله تعـالى وهـم محتاجـون للنفقـة؟ أليس المسـلمون عيال بعضهـم، يلزمهم أن يحقّقـوا وضعـاً اقتصاديّـاً يرفع الفقـر بينهم؟!

إنّ طريقـة الأداء هـي التـي يجـب أن نفكّـر بهـا، وهـي تخضـع أيضـاً لنظـام الأولويّـات والقـراءة المجموعيّـة للديـن، فـلا يصحّ لـك عندما تمـارس فريضـة الصـلاة أن تقوم بهـا بأيّ طريقـة كانت، ولو بـأن تصلّي عـلى أرضٍ مغصوبـة، فـالله لا يمكـن أن يُطـاع مـن حيـث يُعـصى، ولا يمكنـك وأنـت تريـد أن تـؤدّي فريضـة الصـوم أن تؤدّيـه بـأيّ طريقـة كانـت، ولـو لزم مـن ذلك الـضرر البدني عليـك، فالشريعة هنـا تمنعك مـن هـذا الاندفـاع العاطفـي لهـذه الفريضـة بحيـث تـؤذي نفسـك بدنيّـاً ومادّيـاً.. ولا يجـوز لـك أن تتفاعـل روحيـاً وعاطفيّاً مـع الصلاة وبجانبـك طفـلٌ صغـير تهـمّ أفعـى سـامّة بالقضـاء عليه.. هذه ليسـت

روحانيّة العبادات، بل هذا ضربٌ من مخالفة الدين..

الأمر بعينه يجري في سائر الفرائض والشعائر، لكن ليس على المستوى الفردي فحسب، بل على المستوى المجتمعي أيضاً، فمثلاً ـ وهذا مجرّد فرض غير واقعي ـ هل يجوز أن يظلّ الشيعة طيلة أيّام السنة يعطّلون أعمالهم ويذهبون فقط للزيارة كما يحصل مثلاً في أيام عاشوراء، فهل يجوز تطويل هذه المدّة لكلّ أيام السنة وليس فقط ليوم العاشر من المحرّم بحيث يتكرّر العاشر بزخمه وقوّته واستنفاره لثلاثمائة وخمسة وستين يوماً في السنة؟ بالتأكيد لا يرضى الفقهاء أنفسهم بذلك؛ لأنّ هذا يعطّل حياة الناس ويوجب تخلّفهم وتضرّرهم..

هذا كلّه يدلّني على أنّه لابدّ من توجيهٍ ديني ودنيوي (علماء الدين والسلطات الحاكمة) في كيفية استثمار هذه الشعائر بأفضل طريقة وبأقلّ خسائر من الجهات الأخرى، بما يحقّق ـ من حيث المجموع الروحي والمادي ـ مكسباً إضافيّاً للفرد والأمّة، ويوازن كافّة التكاليف والفرائض والمستحبّات الأخرى.

ونتيجة القول: إنّ التعامل مع الشعائر يجب أن يكون ـ كما مع سائر الفرائض الدينية ـ وفقاً لمنطق أنّ الشعائر لا تحلّل الحرام، ولا يصحّ أن نقول فيها: إنّ المشاركة في الشعائر حسنة لا تضرّ معها سيئة! أو نقول: إنّ الشعائر فعلٌ حسن يُسقط سائر الأفعال الحسنة عن كاهلي! ولا يصحّ فيها أن نقول: ليس هناك في الدين والدنيا غير هذه الشعائر! فكلّ هذا منطق غير صحيح لا شرعاً ولا غيره، بل الشعائر جزءٌ من المنظومة الدينية المتكاملة التي تؤخذ معاً، وتنظّم بالطريقة التي تحقّق أفضل المكاسب وأقلّ الخسائر، آخذين بعين

الاعتبار الجوانب الروحيّة والماديّة، وليس فقط الماديّة منها، وآخذين بعين الاعتبار أيضاً التمييز بين كون الشعائر سبباً في تخلّفنا وتراجع حالنا، وبين كون طريقة أدائنا لها هي الموجبة لذلك، وفي الحالة الثانية علينا الاشتغال على تطوير أدائنا باستمرار بما يحقّق قيامة هذه الشعائر من جهة، ويضمن تحقيق مستوى أعلى من المكاسب منها للفرد والأمّة من جهة ثانية.

هذا هو المنطق الذي أعتقد أنّ به يمكن إقامة أفضل أنموذج للشعائر، فكما كانت لحوم أضاحي الحجّ تذهب هدراً، وبدأ التفكير باستغلالها، وتحقّق تقدّم كبير للغاية في هذا المجال والحمد لله، واستطعنا ترشيد أدائنا الحجّي، كذلك الحال في أيّ شعيرة أخرى، حيث يجب أن نفكّر دوماً في الآثار السلبيّة التي قد تنجم أحياناً عن قضيّة تفصيلية هنا وأخرى هناك، لكي نقوم بتفاديها وبترشيد الأداء الشعائري العام، دون أن يطغى أداء شرعي كالشعائر على وظائف أخرى نحن مكلّفون بها أيضاً، فليس الدين ـ كما يريده بعضهم اليوم ـ شعائر وشعائر فقط، بل هو مسؤوليات أخرى جمّة في الحياة أيضاً إلى جانب هذه الشعائر، وعندما نقيمه بهذه الطريقة، ستبدو الشعائر أكثر جمالاً وهيبةً؛ لأنّنا نضعها في سياق مركّب متكامل و منسجم .

وأخيراً: إذا كان الكثيرون اليوم يتحدّثون عن تشويه بعض ما يسمّى بالمنظمات الدينية الجهادية لصورة الإسلام (علماً أنّ لهذه المنظمات تبريراتها الفقهيّة أيضاً) فإنّ هذا الهمّ يجب أن يكون معنا أيضاً في غير باب الجهاد، فربما نفعل أشياء لا ندرك ـ كما لم تدرك هذه المنظمات الدينية الجهادية ـ أنّها تشوّه صورة الإسلام، وتعطّل

تقـدّم المسـلمين عـلى مختلـف الصعد.

إنّ تقديـم تجربـة دينيـة اليـوم تهتـمّ بأمـر الشـعائر أيّـما اهتـمام لكنّهـا تعجـز عـن تقديـم حـال المسـلمين وتطويرهـم عـلى مختلـف الصعـد، بحيـث يبقـى الفقـر والجـوع والتخلّـف والـصراع والأميّـة والفـوضى والعبثيّـة والعيـش عـلى إنتاج الآخرين وغـير ذلك، مهيمنـاً عليهم.. إنّ تقديـم مثل هـذه التجربة قد يشـوّه القضيّة الحسـينية نفسـها؛ إذ يقدّمها للنـاس عـلى أنّهـا مـشروعٌ أفـضى بجماعتـه للتخلّـف والـزوال والجهل والرجعيّـة والعدميّـة، وفي هـذا عـبرةٌ لمتفكّـر، وفُسـحةُ نظرٍ لمتأمّل.

أسباب المبالغة بالشعائر والمندوبات وتقديمها على الواجبات[1]

◈ **السؤال: ما سرّ تمسّكنا ببعض المستحبات أو بعض الأعمال غير الثابتة أو فيها كلام بين العلماء إلى الحدّ الذي نجعلها فوق الواجب، فنهتمّ بها وننفق عليها كثيراً من المال والوقت مثل بعض الزيارات وغيرها؟**

◈ الجواب: هناك أسباب متعدّدة متداخلة ومتواشجة لهذا الموضوع يمكنني أن أذكر بعضها باختصار:

١. وهو في نظري من أهم الأسباب التي تكمن اليوم وراء هذا الموضوع. إنّه الخوف على الهويّة أو الهاجس الذي نعيشه إزاء الاستمرار في التخلّي أو التخفيف من رونق أو وهج بعض الأمور الدينية، فعندما يقوم فريقٌ من الناس بنقد هذا المستحبّ أو ذاك، أو نقد هذا التفصيل العقدي أو ذاك، أو نقد هذه الرؤية التاريخية أو تلك، أو نقد هذا التفسير أو ذاك، أو نقد هذا الحديث أو ذاك.. فإنّ ما يقوم بفعله قد يكون عمليةً بسيطة لا يُفترض أن تؤدّي إلى قلق، لكنّ القلق يكمن في الشعور بأنّ عملية النقد هذه أو عملية التهميش هذه لا تقف ـ بحسب طبيعتها ـ عند هذا المستحبّ أو الاعتقاد أو التاريخ أو الحديث أو.. بل إنّها سوف تمتدّ لتستوعب مجالاً أوسع، وفي هذه الحال يظهر شعور بالخوف من أن يكون الذهاب خلف عملية النقد التفصيلي هذه مما سيجرّ إلى تساقط أوراق الشجرة المثمرة أو تهاوي حبّات السبحة، فيظهر شعور بالقلق تجاه مستقبل الوضع الديني لو أخذنا بهذا النقد التفصيلي هنا أو هناك.

(١) إضاءات ٤: ٤٥٨

إنّ القلقين ليسوا سذّجاً، إنّهم يدركون ـ أو على الأقل قسمٌ ليس بالقليل منهم يُدرك ـ بوضوح أنّ هذا التفصيل العقدي أو التاريخي أو الفقهي أو الحديثي ليس مشكلةً في حدّ نفسه، إنّما المشكلة هي التيار النقدي الذي قد لا تتوقّف آلة النقد الهدّامة عنده عند هذا التفصيل أو ذاك، بل ستستمرّ، وهناك خوف من المآلات التي ستوصلنا إليها عملية الاستمرار هذه. لقد قلتُ مرةً بأنّ بعض القلقين يحاول تضخيم تفصيلٍ صغير لكي يحمي بذلك أمراً كبيراً يخشى أن تطاله عملية النقد والهدم بعد ذلك، فكما أنّك تضع خطوطاً دفاعيّة متعدّدة لكي تحمي العمق، بل قد تذهب ناحية أراضي الآخرين لتحمي نفسك من تقدّمهم العسكري نحوك، كذلك الحال هنا، هناك من يضخّم من تضعيف هذا الحديث أو ذاك، أو هذه القضية الفقهية أو تلك، أو هذا الرأي الفلسفي أو ذاك؛ لأنّه يريد بذلك ـ ولو من حيث لا يشعر ـ أن يحمي المنظومة القابعة خلف هذا التفصيل، فإنّ الكثير من التفاصيل تقوم بدور حماية المراكز الكبرى في المنظومات الفكريّة.

ولهذا السبب تجد أنّه في ظرفٍ زمني معيّن يمارس القلقون أنفسهم نقداً شبيهاً بهذا الذي خافوا منه، فالمحافظون نقدوا بأنفسهم في مرحلةٍ زمنية الكثير من الموروث، لكنّهم اليوم شعروا بالخوف من استلام آخرين لدفّة النقد هذه، واستمرار الآخرين بها، بحيث أوجب ذلك قلقاً على ما تبقّى من المنظومة، ولهذا تجد اليوم أنّ الكثيرين من أنصار الشيخ المطهري أو السيد الصدر أو الشيخ محمد عبده أو غيرهم يخشون من ذكر بعض أفكارهم، رغم أنّهم كانوا يروّجون لها في الماضي القريب، لماذا؟

لأنّ الوضع انقلب من مرحلة الإحساس بالأمان إلى الشعور بالخوف على الذات بفعل تراجع أوضاعنا الدينية وتنامي المدّ العلماني الناقد للمنظومة الدينية من الداخل، وهي مرحلة جديدة من الصراع العلماني الديني شهدناها في العالم العربي والإسلامي، وهي غير النقد العلماني المخارج لهذه المنظومة، فالعلمانيون اليوم أخذ فريقٌ منهم بنقد الفكر الديني بواسطة إعادة إنتاج فهم جديد له، وليس فقط بواسطة نقد خارجي عليه، وهذا كالفرق بين من يقتحم صفوف العدوّ برّياً، وبين من يقصفهم من بعيد.

٢. عدم الثقة بمن يدير المشاريع النقدية والإصلاحيّة والفكريّة الجديدة، فهناك أزمة ثقة بين الناقدين الجدد والمحافظين. إنّ المحافظين لا يثقون ببعض أو بكثير من الناقدين ولا بنواياهم، لهذا يشكّون في أنّهم تركوا مذهبهم أو لا يؤمنون بالدين أساساً وإنّما يتلبّسون بما تراه الأغلبية لكي يمرّروا أفكارهم من خلال ذلك، إنّهم يريدون تدمير المؤسّسة الدينية والبنية التديّنية للناس، إنّهم خبثاء منحرفو القصد يجيدون أعلى مستوى من ممارسة التقيّة، وربما يصل أمر التشكيك بهم إلى حدّ التخوين بالعمالة للأجنبي، الأمر الذي يتعزّز ببعض المعطيات هنا وهناك.

هذه الحالة من فقدان الثقة موجودة، وعندما تفقد ثقتك بمن يدير مشروعاً فكريّاً دينيّاً فمن الطبيعي أن تُبدي حساسيةً عالية إزاء كلّ ما يصدر عنه ولو كان أمراً يمكن تصحيحه في حدّ نفسه. وكلّنا يعرف أنّ إعادة بناء الثقة ليست عملية بسيطة أبداً، ولا تكفي فيها البيّنات ولا الأيمان المغلّظة. إنّ فقدان الثقة

تصاحبه عادةً حالةٌ من الجفاء، والجفاء يسمح للخيال السلبي بالنشاط، فعندما تبتعد عن شخص وتكتفي بما يصلك عنه ممّا يعزّز فقدان الثقة به، فإنّ الخيال يصبح نشطاً في مجال شيطنته في عقلك، فيزداد الموقف تأزّماً، ويصبح من العسير أن تصدّق بأنّه لا يحمل كلّ هذه السلبية والخباثة التي تعتقدها فيه.. نحن نتعامل مع وقائع، وعلينا وعيها بشكل كامل، هذه ردّات فعل تبدو لي أحياناً طبيعية ومتوقّعة، مهما كانت غير صحيحة فكرياً ولا قيمياً.

٣. تحوّل الجماعات الناقدة إلى خصم سلطوي ينافس التيارات المحافظة في اكتساب الجماهير أو مواقع النفوذ المالي والاجتماعي والسياسي. أرجو أن لا يظنّ أحد أنّني أتكلّم عن نوايا غير أخلاقية عند أحد، إنّني أتكلّم عن صراع نفوذ وتجاذب فيما يراه كلّ طرف هو الحقّ وهو الدين الذي لابدّ له أن يدافع عنه. لقد تحوّل الواقع إلى تيارات أتت من أفكار وغيرها، والتيارات تعتبر قوى نافذة على الأرض، وتعدّد القوى النافذة في ظلّ وضع غير سويّ على مستوى المشاركة السلطوية عموماً في العالم الإسلامي ـ بالمعنى العام للسلطة ـ يفضي إلى تصارع يبدو أحياناً غير منطقي، فلو كنّا في بلدان مستقرّة لا يعيش أحدٌ فيها الخوف على الوجود والعنوان، لكان التنازع بين التيارات مؤطّراً بالأطر الطبيعية العامّة التي تحكم المجتمع عموماً، أمّا عندما نكون في بلدان غير مستقرّة كأكثر بلداننا الإسلاميّة، فإنّ التنازع بين التيارات سوف يفضي عادةً إلى صراعات أشدّ، لاسيما ونحن نتكلّم عن تيارات دينية أيديولوجيّة. واشتدادُ الصراع يفضي إلى قطيعة، والقطيعة تفضي إلى التركيز على الخصوصية الفئوية،

بمعنى أنّه عندما يتمّ التنافس السلبي بين التيارات فإنّ كلّ تيار يحاول أن يقطع علاقته بالتيارات الأخرى، والعلاقات المقطوعة سياسياً وفكرياً واجتماعياً و.. تؤدّي عادةً إلى سعي كلّ فريق للحفاظ على خصوصيّته، فيزيد كلّ فريق من لون امتيازه عن الآخرين ويقلّل من العناصر التي تؤدّي إلى تشاركه مع الآخرين، وهذا ما يؤدّي بطبعه أيضاً إلى أن تجد تشديداً على أمر غير ثابت أو فيه كلام لا لشيءٍ إلا لأجل الامتياز عن التيارات الأخرى التي نواجه معها معركة نفوذ أو وجود، ولهذا أنت تجد أنّه كلّما اشتدّ الخصام بين المذاهب والتيارات الدينية زادت نسبة العادات والأعراف والمفاهيم التمايزية وقلّ رونق المفاهيم والأعراف المشتركة، وهذا بالضبط ما حصل تاريخياً وإلى يومنا هذا مع المذاهب الإسلاميّة عموماً تقريباً.

بل نحن نجد التنظير لمخالفة الآخر المذهبي وأنّ الرشد في خلافه، وأنّه يجب ترك كذا وكذا لأنّ أنصار هذا المذهب يفعلونه، ويجب فعل كذا وكذا، لا لأنّه ثابت في أصل الدين والشرع بنصّ أو بدليل خاصّ به، بل لأنّه صار عنواناً للخصوصيّة المذهبية هنا أو هناك، والخصوصية صارت بنفسها قيمة ذاتية تضفي على الأشياء قيمةً جديدة، وهذا بعينه يحصل داخل التيارات في المذهب الواحد، وقد يولّد بمرور الزمن مذاهب داخل هذا المذهب لو طالت مدّة التخاصم هذه.

٤. الإحساس بفقدان البدائل، وهذا أمر لا ينبغي أن نستهين به، فعندما يقوم الناقدون بتهديم صرح مفهوم ما أو عادةٍ ما أو شعيرة ما، فإنّ الشعور العام يعطي أنّ الثقافة الدينيّة قد

فرغت من هذه الشعيرة، وعندما لا يقوم الناقدون بتعبئة هذا الفراغ بشيء آخر يرونه ثابتاً، فإنّ الإيحاء العام يعطي أنّهم يقومون بهدم الدين دون بدائل، وهذا يعني أنّ القيم الدينية يتمّ الإنقاص منها دون أن يتمّ التأكيد عليها، وهذا ما يولّد أيضاً شعوراً بالخوف والقلق.

من هنا، يخطأ الناقدون عندما لا يركّزون على البدائل حيث يمكن؛ لأنّ الحالة النفسية الاجتماعية تشعر بالفراغ الديني حينئذٍ (حتى لو كنت تعتبر شخصيّاً أنّ هذا الفراغ وهميٌّ)، الأمر الذي يعطي إحساساً بأنّ التديّن يتراجع، فإذا جاء شخص يقول بأنّ حذف صلاة الرغائب مثلاً هو تضحية بحالة إيمانيّة تحصل في بدايات شهر رجب، فهو يتكلّم عن واقع اجتماعي حقيقي، إذ بالفعل سوف يحصل هذا وفقاً للوضع القائم، فإذا لم تكن لديك رؤية لتعبئة مكان الفراغ الذي خلّفته عملية الحذف هذه، فسوف تواجه أزمةً، لهذا عندما يدافع بعض الناس عن هذه الصلاة عالمين بأنّها غير ثابتة مثلاً فقد يقصدون ـ بالتحليل النفسي ـ إبداء رفضهم للتضحية بحالة دينية معيّنة تمّ توفّرها لسبب أو لآخر، كما وإبداء تمايزهم عن الجماعات الناقدة، ولهذا تجد بعض الناس يستغلّ هذه المناسبات لإبراز عناصر التمايز عن هذه الجماعات عبر التركيز على هذه الشعيرة مثلاً، وكأنّه يريد أن يبقيها بالقوّة والقهر، في حين لا تجده بهذه الحماسة في شعيرة أخرى ثابتة باليقين في النصّ الديني ومهجورة في الوقت عينه مثل صلاة الليل! والسبب هو هذا، لا لأنّه لا يعرف أنّ الأمور علميّاً على الشكل التالي، بل لأنه يريد أحياناً أن يتمايز عن هذه الجماعات أو لأنه يريد أن لا نخسر ـ في فضاء تتساقط

فيه الكثير من الأوضاع الدينيّة ـ حالة إيمانية شعبيّة متوفّرة تظلّ بنظره أفضل من ذهاب شبابنا نحو مكان آخر.

بهذه الطريقة تتمّ العملية، فكلّما لم تقدّم أنت بدائل فإنّ النقد قد يذهب بالحالة الشعبية نحو مكان أسوأ من الأمر الذي قمت أنت بنقده.

٥. مساس بعض الأمور بالجانب الشعبي الناظم للجماعة الدينية كالشعائر العامّة، فإنّ الشعائر ـ من زاوية من الزوايا ـ تعدّ أحد عناصر انتظام الجماعات الدينية والتئامها وتماسكها (وشحنها)، فعندما تقوم بالتخفيف من رونقها فأنت تهزّ عنصر اللحمة الجماعية الدينية أو المذهبيّة، صحيحٌ أنّك تنتقد بطريقة علميّة، لكنّ الزاوية الاجتماعية لنقدك يتلقّاها الطرف الآخر على أنّها هدم لركن أو عنصر من عناصر الاجتماع الديني..

تصوّروا مذهباً أو ديناً بلا شعائر عامّة، إنّه قد يكون أقلّ استحكاماً على المستوى الاجتماعي من الدين الذي يلتحم فيه أبناؤه عبر هذه الشعائر التي تمثل شحنات روحية اجتماعيّة عامّة. والذين يدافعون عمّا تنتقده أنت قد يتحرّكون في لاوعيهم ضمن هذا السياق، فكلّما حافظنا على هذه الشعيرة فنحن نحافظ على قيامة المذهب أو الدين، في مقابل الآخرين، كما أنّنا نمارس عرض قوّة في مقابلهم في مناخ يعجّ بالتوتر الطائفي، هذا كلّه يجب أخذه بعين الاعتبار.. صحيحٌ أنّه لا يؤثر على القيمة العلمية لنقدك، لكنّه لا يمكن تجاهله بالنسبة للإنسان الرسالي الذي يريد بنقده حماية الدين على أرض الواقع لا هدمه.

عندما أضع هذه العوامل ـ وهي مجرّد أمثلة ـ لا أقصد تأييد ما يحصل، بل إنني أعتبره مخالفاً لفقه الأولويّات، وإنّما أقصد فهم بعض جوانب ما يحصل، وعدم التعامل مع الأمور من جانبٍ علميّ بحثي فقط؛ لأنّ فهم الآخر فهماً سليماً ووعي منطلقاته الملموسة والمستورة في ردّات فعله ضروريٌّ للغاية أيضاً. إنّ بعث الشعور بالأمان والعمل على خلق بدائل على المستوى الاجتماعي والروحي.. عناصر مهمة لنجاح عمليات الإصلاح الديني في مناخ يعيش الدين بوصفه ركناً أساسياً من أركان الحياة.

أشعار بعض الشعراء
والمدّاحين ومسألة الغلوّ[1]

◈ **السؤال: ما هو رأيكم بمن يقول في شعره ـ لأجل تعظيم الإمام الحسين عليه السلام: يا حسين أنت كبير، يا حسين أنت عظيم، أكبر من الله أكبر والصلاة.. وقد انتشر هذا الشعر على وسائل الإعلام الطائفي لتشويه صورة مذهب أهل البيت عليهم السلام، نتيجةً لما قاله بعض المدّاحين في إحدى القنوات المحسوبة على التشيّع. فما صحّة الاعتقاد بمثل هذه العقائد؟ وهل فيها شركٌ بالله سبحانه وتعالى؟ وهل أهل البيت عليهم السلام أكبر من الله أكبر والأذان وقول لا إله إلا الله والدين؟ وكيف ينسجم ذلك مع قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (ما قلت ولا قال القائلون قبلي مثل لا إله إلا الله)؟**

◈ الجواب: لقد سبق لي أن تابعت هذه القضيّة والجدل الذي وقع فيها، ووجدت أنّ بعض الناس فهم من هذا الشعر أنّ الحسين أكبر من الله، وهذا غير صحيح، فمن يستمع لهذا الشعر يعرف أنّه لا يريد أكثر من كون قضيّة الحسين والإمامة أكبر من الصلاة والأذان، وهذا لا يصنّف في ضمن الشرك أو الكفر بالله تعالى، ولا ينبغي التهويل في الأمور كثيراً لأغراض سياسيّة أو مذهبيّة أو طائفيّة، وقد رأينا عشرات الحالات التي من هذا النوع يصار إلى تصوير الأمور فيها بطريقة تشويهيّة أو مبالغ بها بحيث تخرج عن وضعها الطبيعي، من هنا فلا أجد أنّ هذا المقطع من الشعر تعبيرٌ عن كون الحسين أكبر من الله أو كونه شريكاً لله تعالى في خلقه أو تدبيره أو غير ذلك والعياذ بالله.

إنّما ينطلق مثل هذا الشعر من ثقافة موجودة عند كثير من

(١) إضاءات ٥: ٤٥٧

الشيعة في تقديم قضيّة الإمامة على سائر الفروع الفقهيّة، كما تتقدّم قضيّة النبوة عليها عند جمهور المسلمين، فالإمامة أفضل من الصلاة والصوم والحجّ والخمس والزكاة والعمرة وغير ذلك، وهي أعظم ما نودي به في الأمّة مقارنةً بأكبر الفروع الشرعيّة العمليّة، بل قد اعتبرها بعضهم من أصول الدين التي تتقدّم بشكلٍ تلقائي عادةً على الفروع العمليّة في الدين الإسلامي نفسه، وهذا الرأي هو الذي يريد الشاعرُ أن يعبّر عنه، ولا يريد أن يقول بأنّ الحسين أكبر من كلمة التوحيد في الأذان، ولا من الرسالة التي ننطق بها في الأذان والإقامة، بل يريد أن يقول بأنّ الأذان والصلاة هما شعار العمل الصالح في الإسلام، والحسين أكبر منهما، بوصفه رمزاً للإمامة بكلّ قضاياها الكبرى التي يؤمن بها الشيعة.

نعم، ينتقل الموضوع هنا إلى أنّ هذه الفكرة، وهي فكرة أنّ الإمامة أكبر من فروع الدين برمّتها، هل هي فكرة صحيحة أو هي فكرة غير صحيحة؟ فمن حقّ فريق أنّ يقول بأنّ هذا المفهوم خاطئ ومنافٍ للنصوص القرآنيّة والحديثية، انطلاقاً من فهمه للنصّ الديني بمجمل أطرافه، أو كما كان يقول أبو الفضل البرقعي ـ فيما ينسب له ـ بأنّ الإمامة طريق للدين وتعريف به وليست جزءاً منه. ومن حقّ فريقٍ آخر أن يجتهد فيرى أنّ الإمامة أعظم من مختلف الفروع الفقهيّة والعمليّة والشعائريّة في الإسلام، وينطلق في ذلك من نصوصه التي يؤمن بها، ومن فهمه لمجمل أطراف النص القرآني والحديثي في هذا السياق.

وهذا الخلاف مشروع، ولا أريد أن أُبدي فيه الآن رأياً، لكنّه لا يمتّ بصلة لقضيّة الشرك والتكفير حتى نمارس تهييجاً كبيراً للناس

في ذلك، أو نحاول أن نقرأ الشعر بطريقة أخرى، وهي: الحسين أكبر من الله، أكبر والصلاة، بحيث يكون المعنى أنّ الحسين أكبر من الله ومن الصلاة؛ فإنّ الشعر ليس كذلك، وكلّ من يسمعه يعرف هذه الحقيقة بوضوح.

وليس همّي هنا أن أدافع عن هذا الشعر أو أفسّره، بل همّي أن ننتقل من هذه الحادثة / المفردة، إلى وعي منهج يقوم على:

أ. عدم اقتطاع النصوص بهدف تعظيم النصّ المقتَطَع، أو تقديمه بصورة غير دقيقة، وهي عمليّة تمارسها الكثير من المذاهب عادةً في حقّ بعضها.

ب. حمل المسلم على التفسير الأحسن لكلامه؛ إبعاداً للنفس عن اتهام الناس بالكفر أو بالشرك، فالاستعجال في الاتهام مشكلة عظيمة ابتُليت بها الأمّة، وما دام هناك محمل في هذا النص أو ذاك فلا بأس باختياره، نعم لو كان النصّ واضحاً فلكلّ إنسان الحقّ في الحكم عليه.

ولست أرفع التهمة عن بعض الناس الذين أعتقد شخصيّاً بأنّ في كلامهم ما ظاهره الكفر أو الشرك هنا أو هناك، سواء قصدوه أم لم يقصدوه (دون أن أنصّب نفسي في الحكم على دينهم)، بل أقصد إلى أن نتريّث كثيراً في هذا الموضوع، ونلتمس المعاني الأحسن والأبعد عن الشبهة في فهم كلام المسلمين، ولو رأينا في كلامهم ما فيه شبهة فالأفضل أن نعظهم بتجنّب مثل هذه الكلمات، قبل أن نسرع إلى اتهامهم بالشرك على أساسها مع إمكان حملها على معنى لا ينافي التوحيد.

ج. أن نعرف أنّنا اليوم في عالم مفتوح، وقد انتهى زمن السرّ والعلن في كثير من الأمور، وأنّك عندما تكون في مجلسٍ هنا أو هناك فإنّ الكثيرين يرصدون ما تقول أكثر مما ترصد أنت نفسك وجماعتك ما يقولون، فهذه حقيقة قاطعة واضحة تجلّت خلال العقود الثلاثة الأخيرة في صراع المذاهب فيما بينها، وساعد عليها انفجار المعلوماتية وتطوّر وسائل التواصل، وهذا يعني أنّ الكلام الذي يحتمل أكثر من معنى ينبغي ـ قدر الإمكان ـ السعي لتجنّبه؛ حذراً من حصول فهوم مغلوطة له، نتيجة الشحن الطائفي القائم في المنطقة.

نعم لو كان الكلام واضحاً جليّاً، ولكنّ الآخر يريد الاتهام كيف شاء والافتراء.. فلا ضير ولا تثريب على قائل الكلام، لكن ما دامت بعض الكلمات تحتمل وجوهاً في المعنى، وأحد وجوهها ملتبسٌ، وقد يخلق مشكلةً، فالأحسن تجنّب ذلك؛ حذراً من أن يُفهم الإنسان خطأ على مستوى موضوع التكفير والإيمان ونحو ذلك من القضايا الفائقة الحساسية والأهميّة.

ومن هنا دعوتي للكثير من الشيعة والصوفيّة والسلفيّة أن يتجنّبوا التباس الكلمات في تعابيرهم في هذه المرحلة الخطرة من عمر الأمّة، كما أدعو ـ بصفتي مسلماً من آحاد المسلمين ـ المرجعيات الدينية في المذاهب المختلفة لوضع حدّ لفوضى تصدّي أيّ كان للتعبير عن قضايا المذهب بطريقة ملتبسة وخطرة وقد تجرّ مشاكل كبيرة، ولا أعني بوضع الحدّ منع الناس أو حجز الحريات، وإنّما أن تعبّر المرجعيات الدينية عن رؤيتها الواضحة الصريحة في الكثير من هذه المواضيع الملتبسة، ويكون هذا التعبير مُفصحاً ومفوّتاً الفرصة على

مـن يريـد اسـتغلال جملـة هنـا أو هنـاك أو توظيف تعبـير هنـا أو هناك في أغراضـه الشـخصيّة أو الفئويّـة، أو الترويـج لتعبـير هنـا أو هنـاك لا يشـكّل أساسـاً فكريّـاً في هـذا المذهـب أو ذاك وإنّـما هـي تعابـير دخيلة عليـه.. ويتـمّ العمـل عـلى الترويـج الإعلامـي لمواقـف المرجعيّـات الدينيّـة في هـذا المجال، وعدم تـرك المنبر الإعلامي لهـذا المذهب أو ذاك بيـد الشـعراء والمدّاحـين والخطبـاء فقـط، مـع حـقّ هـؤلاء المحفوظ في نشـاطاتهم الكريمة جزاهـم الله خيراً، فالعلماء والمفكّـرون من وظيفتهم التـي أمرهـم الله بهـا تصويـب الأخطـاء وجـرأة الإفصاح عـن الحقيقة وعـدم الخوف غـير المبرّر مـن (عامّة) النـاس؛ لأنّ هذا الأمـر قد يفضي بمـرور الوقـت إلى (عومة) أهل الاختصاص، بـدل (خوصصة) جمهور النـاس وعامّتهـم إذا صـحّ التعبـير، (عومـةً) تسـتحكم في المختصّـين أنفسـهم وهـم لا يشـعرون بـما طرأ عليهـم مـن التفكـير (العوامي).

كـما أهيـب بالعلـماء والعاملـين والمؤمنـين كافّـة أن يبـدوا حساسـية محمـودة تجـاه قضيّـة الألوهيّـة والتوحيـد، وأن لا يهدروهـا بحيـث لا يتحسّسـون مـن الأفكار أو المسـلكيّات أو الأقوال التي قـد تقترب منها بطريقـة سـلبيّة، فالتوحيـد أكـبر قضايانـا الدينيـة، والالتفـاف على هذه القضيّـة أو تمييعهـا بتحويلهـا إلى قضيّـة نظريّة رقميّة بعيدة عن السـلوك والمشـاعر شـكلٌ من العـدوان عليهـا دينيّاً.

والعجيـب أنّ بعضنـا يتحسّـس مـن كلمـة بسـيطة قـد تُطلـق هنا أو هنـاك تتصـل بشـأن مذهبـي، لكنّه لا يُبـدي أيّ حساسـية تجـاه التباس مـا قـد يتصـل بقضيّـة التوحيـد! فقـد لا يُبـدي بعضنـا حساسـية تجـاه مـدّاح مشـهور جـدّاً يخـرج للنـاس (وقـد لا يكون قاصـداً ذلـك جداً، بـل يكـون ذلك ناتجـاً منه عـن هيجـان العاطفة الشـديدة) فيقـول: (لا

إلـه إلا الزهـراء) أو (لا إلـه إلا زينـب)، وقـد تجد مـن يتأوّل لـه تعابيره وينتقـد هـذا المتـأوّلُ مرجعـاً كالشـيخ مـكارم الشـيرازي لتصدّيـه لهذه الظاهـرة (بـصرف النظـر عن الجـدل الذي صاحـب الموضـوع فيما قيل عـن الحكـم بكفره مـن قبـل المرجعيّـة الدينيـة).. لكنّه يتحسّـس للغاية ممّـن يقـول ـ وهـو الدكتور حسـن رحيـم بور ازغـدي ـ: لا تجعلـوا كلّ أيّـام السـنة حزنـاً وعـزاءً، فقد تعبـت النـاس وملّ الشـباب منّـا، رغم أنّ رأي ازغـدي سـبق أن صـدر مـا يؤيّـده تقريبـاً قبـل عـام أو عامـين مـن قبـل المرجـع الديني السـيد موسـى الشـبيري الزنجـاني حفظه الله، عندما اعترض سـماحته على تكثير مشـاريع أسـابيع الحـزن أو عشريات الحـزن التـي راجت مؤخّـراً في غـير مكان.

نعـم، لا ينبغـي لأيّ حـرب مذهبيـة أو طائفيّة أن تفـرض علينا ـ من حيـث لا نشـعر ـ تراجعـاً عـن الاهتـمام بقضيّـة التوحيـد التـي ترجـع إليهـا أعظـم قضايـا الديـن في الفكـر والسـلوك والعمل والإحسـاس، كـما يقـول العلامـة الطباطبائـي رضـوان الله تعـالى عليه.

سعة مفهوم (هيهات منّا الذلّة)
في الحياة الاجتماعيّة والمدنيّة[1]

◈ السؤال: أليس من المفارقة الإيمان والاعتقاد بمقولة (هيهات من الذلّة) التي أطلقها الإمام الحسين، ويردّدها الناس اليوم مع كلّ ما يعانون من ظلمٍ وتدهور سياسي وأمني واقتصادي، وسكوتهم عن من يغتصب حقوقهم كشعوب؟ هل المطلوب اليوم هو أن نسيل الدماء لأجل هذه المقولة أو أنّها خاصّة بموضوع معيّن؟

◈ الجواب: هذه الجملة وهذا الشعار مستقى من الثقافة الدينية التي ترفض الذلّ والهوان، ولا تسمح بأن يضع الإنسان الصالح نفسه في موقع الذلّ حتى لو تطلّب الأمر أحياناً بذل الدم. ولا يختصّ هذا الشعار الديني ـ في أصوله الفكريّة الدينيّة، وعلى مستوى نصوص الكتاب والسنّة ـ بالصراعات السياسيّة وبقضايا الجهاد الحربي، بل يستوعب حتى المجال الحياتي للفرد المسلم، فالعيش في ذلّة وهوان أمر مرفوض، وعلى الإنسان الصالح أن يعيش في عزّة وكرامة في مختلف أمور حياته. فكما يوجد هوانٌ على الصعيد السياسي كذلك على الصعيد الاقتصادي والمعيشي، وكذلك على صعيد القيم والكرامة الاجتماعيّة، فالمطالبة بحقوق الأفراد والجماعة نوعٌ من الرفض للذلّ والهوان في بعض تطبيقاته على الأقلّ، بل قد يكون السلم وعدم الحرب في بعض الأحيان هما المحقّقان للعزّة والكرامة فيما الحرب لا تجرّ على الناس سوى الموت والدمار والهزيمة. وهذا ما يتطلّب وعياً دقيقاً بالظروف والمآلات.

لا تؤخذ هذه الكلمة على أنّها ذات معنى محدّد ومنحصر، بل

(١) إضاءات ٥: ٥٠٦

هي مبدأ حياتي عام وردت حوله الكثير من النصوص القرآنية والحديثية، يمكن مراجعتها، أمّا تطبيقه فيختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والظروف والمجتمعات.

من هنا، نعرف أنّ رفض الذلّة والهوان يمكن أن يعيشه الإنسان عبر طريق الجهاد الحربي الذي هو الطريق الأسمى، فلو استشهد يموت عزيزاً شريفاً تخلّده القلوب وتفتح له السماء أبوابها، كذلك يمكن أن يطبّق في مكان آخر بالسلم، فالمعارضة السلميّة والمظاهرات السلميّة الرافضة لأشكال الذلّ والعار، وكذلك مختلف الأنشطة الحقوقيّة والمدنيّة والثقافيّة التي تمارسها مؤسّسات وجمعيّات المجتمع المدني وغيرها يمكن أن تكون في بعض الأحيان مصداقاً لتطبيق مبدأ رفض الذلّ عندما يكون هدفها الحقيقي تأمين وتوفير كرامة المواطنين وعزّتهم وشرفهم وهيبتهم، فالمؤمن له حرمة عند الله كحرمة الكعبة كما جاء في بعض النصوص الهادفة لتأكيد مكانة المؤمن وهيبته وقدسيّته في الثقافة الدينية العامّة.

نعم، إنّ هذه الأنشطة جميعاً تنتمي إلى هذا المبدأ الديني وفقاً لأهداف أصحابها، وليس الدين ـ كما يخيّل لبعضنا ـ بعيداً عن مطالبة الإنسان بحقوقه بالعيش الكريم والحياة العزيزة الشريفة، فحفظ المؤمن لحقّ العزّة والكرامة لنفسه توجيهٌ إلهيّ، ولهذا قال الإمام الحسين بأنّ الذلّة يأباها له الله ورسوله؛ لأنّهما لا يقبلان بالعيش الذليل الخانع، بل يريدان من الناس السعي لتوفير عيش قوي يرفع رؤوسهم عالياً في أوطانهم وأينما ذهبوا، بدل أن يرمي بهم أذلاء في بقاع الأرض!

وعلى هذا الأساس قلنا في بعض حواراتنا بأنّ سعي الإنسان

للمطالبة بحقوقه لا يقوم في الفكر الديني على رغبة بتأليه الإنسان لنفسه، بل على طاعة الله وخضوع له سبحانه فيما أراده منّا أن نكون أعزاء نملك حقوقنا ولا نُسْلَبها أو نُغْتَصَبها، ولهذا كانت الحقوق في الإسلام نوعاً من الواجبات بمعنى من المعاني (انظر: حيدر حب الله، حوارات ولقاءات في الفكر الديني المعاصر ١: ٤٦٧ ـ ٤٦٨، حوار: الفقه الإسلامي والتنمية، مآزق ومفاتيح لتطوير عمليّة الاجتهاد).

وبعبارة موجزة: هذا المبدأ يعني أنّ الإسلام يرفض الإنسان الذليل والمجتمع الذليل الضعيف، إنّه ـ كما في بعض النصوص ـ يرفض المؤمن الضعيف، فالإنسان في الإسلام يفترض أن يحافظ دائماً على عزّته وكرامته، ولا يضع نفسه في موضع الذلّ والهوان والخنوع طبقاً لإمكاناته وظروفه، إلى حدّ أنّه قد يلزمه في بعض الأحيان بذل نفسه ودمه وماله في سبيل الحفاظ على هويّته العزيزة الشريفة الكريمة. ومن الطبيعي أن ذلك كلّه يقع ضمن حدود إمكانات الفرد والجماعة من جهة، وضمن نظام الأولويات والحاجات الزمنيّة من جهة ثانية.

المنبر الديني والأزمة الطائفية والمذهبية[1]

◈ **السؤال: هناك آفات واضحة في الخطابات الدينية وفي خطاب المنابر الدينية باتت هاجساً مضراً بواقع المسلمين، فمن الخطابات المذهبية إلى الخطابات الطائفية. كيف يمكن أن تؤثر هذه الخطابات الواسعة الانتشار على مشروع الوحدة؟ وما هي العلاجات الناجعة لإعادة بناء خطاب إسلامي عالمي معتدل؟**

◈ الجواب: إذا أردنا تشبيه هذه المشكلة، فانا أشبّهها بما كان يعرف في القرون الإسلامية الأولى بظاهرة القصّاصين، مركز المشكلة أنّ شرائح كبيرة من شعوبنا تسيطر عليها الذهنية الشفوية، والعقل الشفوي يتأثر بالخطاب الشفوي، وهذا الخطاب يعتمد بدرجة كبيرة جداً على القصّة، أي على الخيال، هذا معناه أنّنا ما دامت الذهنية شفويةً فحتى لو استخدمنا القلم سنبقى نتحرّك في مدار المؤثرات الخيالية، وفي هذه الدائرة من الطبيعي جداً أن لا نولّد معرفة حقيقية صارمة، وإنما ثقافة شعبية، ولاسيما عندما نحتكر المعرفة الحقيقيّة في ضمن دوائر مغلقة ونحظر تداولها إلا لفئة محدودة جداً، زعماً منّا أنّنا بذلك نحافظ على الحقيقة نفسها. هذه هي بالضبط ظاهرة القصّاصين التي حاربها بعض العلماء المسلمين من قبل، وهذا ما يجعل المنبر الشفوي الخيالي أكبر تأثيراً في مجتمعاتنا العربية من رجال الفكر والمعرفة الذين لا يملكون ثقافة شفوية، وإنما ثقافة تدوينية، والثقافات التدوينية هي التي تؤسّس لبناء حضارات.

أحد الحلول الهامّة في هذا الصدد الإعداد على المستوى المنبري، ولاسيما المنبر الحسيني، لمدارس جديدة لبناء كادر يستطيع غزو المنابر

(١) حوارات ولقاءات في الفكر الديني المعاصر

بشكل أو بآخر، ويكون ملمّاً بالأساسيات الفكرية لرؤية حركة الإصلاح والتغيير في الأمة، علّه يمكن بذلك إيجاد نقلة في الأمّة من الشفويّة إلى التدوينية، إلى جانب إفساح المجال بل والسعي لتداول قضايا الفكر الديني خارج المؤسّسة الدينية؛ لأنّ هذا من شانه أن يعمّم الثقافة التدوينية العلميّة.

النقطة الأخرى هي أنّه من الضروري وضع الخطباء المنبريين في حجمهم الطبيعي، وذلك عبر تحريض العلماء والمفكّرين والمجتهدين لنقدهم أمام الملأ وبصورة واضحة، إذ السكوت عنهم هو الذي جعلهم يتصوّرون أنّهم قادرين على قول ما يريدون ولو من غير دليل معتبر في مدارس الاجتهاد الإسلامي العريقة، لقد أخذ هؤلاء موقعاً أكبر من حجمهم الطبيعي بسبب سكوت العلماء في هذا المجلس وذاك عن تصويب حركتهم بطريقة بنّاءة لا تستهدف تشويههم ولا التنقيص من شأنهم، ومن الطبيعي أنّنا نتحدث هنا عن الحالة الغالبة، وإلا ففي الخطباء أنفسهم علماء ومفكّرون بارزون والحمد لله.

الإصلاح والتجديد في الشعائر الحسينيّة[1]

◈ **السؤال: نحن في محرم وما زلنا نرزح تحت وطأة مسألة حادثة الطف مما ساهم في تصغير حجم الحدث من العالمية إلى المذهبية لتغييب غاياته ومقاصده عن واقع الإنسان بما هو إنسان، ولذلك هناك طريق حافل بالمطالبات لتجديد أو إصلاح أو إعادة بلورة رؤية حقيقية حول الشعائر الحسينية تنسجم مع راهننا وتستطيع أن تملك خطاباً عالمياً إنسانياً يتناسب والغايات التي لأجلها استشهد الإمام الحسين. كيف تنظرون لهذه المطالبات وهل فعلياً بدأت تخطو عملياً على واقع الأرض؟**

◈ الجواب: من وجهة نظري أنا أؤيد كلّ أشكال المطالبة بإجراء تغييرات وإصلاحات في الشعائر الحسينية والسيرة الحسينية والمنبر الحسيني، لكن بشرط أن لا تؤدّي هذه الإصلاحات إلى إلغاء الجانب العاطفي في التفاعل مع القضية الحسينية؛ لأنّ الذي نفهمه من نصوص أهل البيت سلام الله تعالى عليهم هو الرغبة في بقاء هذا الجانب العاطفي، كما أنّ استمرار الشعائر التي من هذا النوع يكون من خلال البعد العاطفي أكثر من البعد الفكري، إذاً فنحن الآن بحاجة إلى وضع أساسين لتفاعلنا مع القضية العاشورائية: أساس العاطفة المتمثل في البكاء والحزن ومظاهرهما، وأساس العقل المتمثل في الفهم العقلاني للحدث وتوظيفه في إطار الممكن لما فيه المصلحة العامّة بهدف جعله جسراً ومعبراً للنهوض بأمتنا والتأسيس لثقافة النهضة والثورة والراديكالية حينما يحتاج الأمر إلى ثورة ونهضة وراديكالية.

وعندما ندمج الفكر بالعاطفة نستطيع أن نحرك العاطفة في إطار

(١) حيدر حب الله، حوارات ولقاءات في الفكر الديني المعاصر ج ١، ص ١٦٤

القضايا الفكرية الصحيحة، بدل تحريك الفكر بمنهج تأويلي إرضاءً للعاطفة الشعبية، كما نستطيع تحريك الفكر في إطار احترام العاطفة وتقديرها وعدم التعالي عليها أو تسفيهها وتخطّيها، حينئذ يصبح اتّباعنا للإمام الحسين أو تأسّينا به في أن نجاهد كما جاهد، وبدل أن ندمي أجسادنا بأيدينا نقاتل ليدمي العدوّ جسدنا وبهذا يكون الاقتداء الحقيقي والتماهي.

الوعي التاريخي والتأسيس
لفهم إنساني للسيرة[1]

◈ **السؤال: هل نحتاج إلى نقد للقراءة التاريخية؟ وهل نستطيع أن نعيد قراءة التاريخ على أساس مقاصدي بمعنى أن ندرس مقاصد الحركات التاريخية من قبل المعصومين حتى نصنع حاضراً على أساس مقاصدية الحراك لنخرجه من دائرة القراءة المذهبية إلى دائرة القراءة الإنسانية؟**

◈ الجواب: المؤسف أن المناخ المدرسي للمؤسّسة الدينية لم يشهد كثيراً ما بتنا اليوم نسمّيه بالقراءة التاريخية للفكر والحدث معاً، فعندما نُدخل الوعي التاريخي للأمور إلى جانب أشكال الوعي الأخرى نستطيع تكوين صورة واقعيّة، بعيداً عن الإسقاطات الأيديولوجية.

لكن مشكلة القراءة التاريخية هو الأنموذج الغربي لها، فالمستشرقون مثلاً ومعهم الكثير من التيارات المحدثة يستخدمون المنهج الوضعي في قراءة التاريخ، وهذا المنهج يقصي في العادة أيّ عامل ديني ما فوق تاريخي في تفسير أيّ حدث، وعندما تكون القراءة التاريخية قائمة على الفلسفة الوضعية فمن شانها حينئذ أن تفتّت كل المقولات الدينية.

لكن نحن بإمكاننا أن نتحدث عن قراءة تاريخية تحافظ على كل عقلانية القراءة التاريخية آخذةً في الوقت نفسه العامل الديني بعين الاعتبار بوصفه عاملاً استطعنا في الدراسات الفكرية الأخرى أن نبرهن عليه وأن نثبته كحقيقة موضوعية؛ فالجمع بين القراءة

(١) نفس المصدر، ص ١٦٦

التاريخيـة وبين الأسـاس اللاوضعـي لهذه القـراءة أو فلنقـل الدمج بين الأسـس الوضعيـة واللاوضعيـة للفهـم التاريخـي للأحداث من شـأنه أن يطـلّ بنـا عـلى رؤيـة تتخذ شـكلاً مقصدياً لفهـم التاريخ الإسـلامي بـما يتناسـب مـع البعـد العقـلاني في فهـم هـذا التاريـخ، ومـع المقاصد التـي أرادهـا الديـن من خـلال الأحـداث التي وقعـت في هـذا التاريخ الدينـي أو ذاك.

بين الفهم السياسي والنصوص النبويّة
المخبرة بشهادة الحسين[1]

◈ **السؤال: ذكرتم في مقالتكم حول النهضة الحسينيّة، هل هي ثورة إصلاحيّة أم انتحار سياسي: أنّ الحركة الحسينية لم تكن مخطّطاً لها تخطيطاً مسبقاً بشكلها الحالي، بل حصل فيها تبدّل في الأهداف الاستراتيجيّة، فعندما خرج سيّد الشهداء من المدينة لم يكن قاصداً كربلاء ولا الشهادة، ولكنّ خيار الشهادة جاء بعد الاستقرار في كربلاء. كيف ينسجم هذا الكلام مع الروايات المعروفة في أنّ مسألة الشهادة معروفة منذ زمن رسول الله؟!**

◈ الجواب:

أولاً: لقد أشرت في المقال الذي أرجعتم إليه إلى أنّ هذه المحاولة التفسيريّة تأتي بصرف النظر عن بعض الخلفيّات العقديّة والمذهبيّة، وأنّها محاولة تفسير محايدة من هذه الزاوية.

ثانياً: إذا كنتم تقصدون الروايات التي صرّح فيها الإمام الحسين بأنّه يذهب شهيداً إلى كربلاء، فقد بحثتُ شخصيّاً هذه الروايات في بحثي المتواضع تحت عنوان (الحركة الحسينية والتأصيل الفقهي لشرعيّة الثورة)، والذي نشر في موقعي الالكتروني، وكذلك في الجزء الثالث من كتابي (دراسات في الفقه الإسلامي المعاصر ٣: ٣٠٣ ـ ٣٦٣)، وناقشت ما يتعلّق بها، وهي نصوص قليلة العدد رغم تداولها الشعبي على نطاق واسع، أغلبها جاء في مصادر متأخّرة، ويعاني بعضها من مشاكل في مصادره، وبعضها الآخر يعاني من

(١) إضاءات ٤: ٥١١

مشكلات في طريقة إثباته التاريخي، ويعاني قسم ثالث منها في دلالته على المفهوم الذي فسّره به العلماء، كما يعاني مجموعها من نصوص معارضة إلى درجة معيّنة وردت في مصادر قديمة في التاريخ والسيرة. ويمكنكم المراجعة كي لا نطيل.

ثالثاً: إذا كنتم تقصدون التوفيق بين التحليل الذي قلته وبين نظريّة علم الإمام بموته، فيمكنكم أيضاً مراجعة البحث المشار إليه، وأنّ تلك النظرية في علم الإمام ـ لو تمّت ـ فلا تغيّر من سلامة التحليل الذي قلناه شيئاً، وهناك أيّدتُ قولي ببعض ما طرحه كلّ من السيد الشهيد محمد صادق الصدر والعلامة التستري صاحب الخصائص الحسينيّة، وقلت بأنّ علم الإمام بالغيب لا يعني أن حركته محكومة لهذا العلم، بل هو يسير بعلمه العادي ومعطياته الظاهريّة، ألا ترى النبيّ (صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم) ـ وأهل بيته الكرام ـ يقضي بين المؤمنين، كما يقول هو نفسه، بالأيمان والبيّنات، ولا يقضي بعلمه الغيبي، فهذا من هذا، فلا مانع من أن يكون عالماً بالمآلات علماً غيبيّاً، وفي الوقت عينه تكون حركته محكومة للعلوم الظاهريّة وكأنّه ليس بعالم بالغيب، ونحن ندرس حركته الظاهريّة، ولا ندرس علم الغيب الذي عنده، أي ندرس أداءه الظاهري الذي هو معيار الحجيّة والاعتبار بالنسبة إلينا.

علماً أنّ العلماء مختلفون في قضيّة علم الإمام بموته ونهايته، فقد ذهب السيد المرتضى والشيخ المفيد ـ على سبيل المثال ـ إلى أنّه لا دليل من عقل ولا نقل على علم الحسين بغدر أهل الكوفة له (راجع: تلخيص الشافي ٤: ١٨٣ ـ ١٨٥؛ والمفيد، المسائل العكبريّة: ٧١)، كما ذهب الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء إلى أنّ علوم الأئمّة بالغيب

يمكـن أن يعرضهـا البـداء، لهـذا كانـوا يحتملـون دومـاً عـروض البداء عـلى علمهـم (جنّة المـأوى: ١٨٩ ـ ١٩٠).

رابعـاً: إذا كنتـم ـ كـما بدا من سـؤالكم ـ تقصدون النصـوص النبويّة التـي أخـبرت بـأنّ الحسـين ابنـي هـذا شـهيد، وسـيُقتل في أرض كـذا وكـذا، وسـتكون نهايتـه الشـهادة، وأنّ أمّتـي تقتلـه ومـا شـابه ذلـك، وروايـة أمّ سـلمة و.. فإنّني أدعوكـم لمراجعة تلك النصـوص التي جُمع أغلبهـا في الجـزء الرابـع مـن كتـاب (مـع الركـب الحسـيني مـن المدينة إلى المدينـة)، مـن تأليـف الشـيخ عـزت مولائـي والشـيخ محمـد جعفر الطبـسي، وهناك عندمـا ترجعون لهذه النصوص أرجـو أن تقرؤوها من هـذه الزاويـة: هل هـذه النصوص ـ بـصرف النظر عن قيمتهـا التاريخية والحديثيـة ـ تقـول بـأنّ نهايـة الإمام الحسـين هي الشـهادة أم تقـول بأنّ نهايتـه الشـهادة بتاريـخ كذا وكذا؟ فـإذا كانت تحـدّد الوقـت بطريقةٍ أو بأخـرى، كان إشـكالكم وارداً، وأنـا أقبل بـه، بصرف النظر عـمّا تقدّم، وأمّـا إذا كانـت تقـول فقـط بـأنّ نهايـة هـذا الإمام هـي الشـهادة، فهذا المعطـى لا يحـدّد الزمـان، بمعنـى أنّه مـن الممكـن أن يكون الإمـام عالماً بـأنّ نهايته الشـهادة بموجـب الإخبار النبـوي ـ بصرف النظـر عن علم الإمـام بالغيـب ـ لكنّـه ليـس عالمـاً بـأنّ الشـهادة الموعـود بها سـتقع في هـذا العام..

أرجـو أن نتوقّـف قليـلاً عنـد هـذه القضيّة المهمّـة في تحليل المسـألة، فـإذا قلـتُ لـك بـأنّ نهايتك في هـذه الحيـاة هي المـوت والقتل مـن قبل الأتـراك، وكنـتَ أنـت مـن أهـل العـراق، وسـافرتَ هـذا العـام إلى تركيـا، فهـل يعنـي الإخبـار السـابق أنّـك سـتعلم بمقتلـك هـذا العام أم سـيكون مجـرّد احتـمال ولـو فيه بعـض القـوّة؟! ألا يمكـن أن يكون

الإمام الحسين عليه السلام عالماً بأنّ نهايته في العراق هي الشهادة لكن قد يحصل ذلك بعد عشرين سنة من ذهابه إليها وانتصاره وتحقيق الأهداف الكبرى بإقامة شرع الله فيها؟ فهل من ترابط بين إخبار النبي بمبدأ قتل فلان من قبل الجماعة الفلانية وبين أن يصبح هذا الشخص عندما خرج إلى تلك الجماعة عالماً بموته في هذه السنة؟! هذا يحتاج إلى معطى إضافي. ألم يقل الرسول لعمّار بن ياسر: يا عمار تقتلك الفئة الباغية، ومع ذلك لم يقل أحد لعمّار عندما خرج للقتال في صفين بأنّك ستقتل في هذه المعركة؟

بل لاحظوا النصوص والروايات التي تحكي عن مناقشات بعض الصحابة للإمام الحسين عليه السلام وبعض هذه الروايات استُدلّ به لصالح التفسير الغيبي لقضيّة الثورة، فإنّنا نجد أنّ الصحابة لا يقولون للإمام بأنّك ستقتل هناك كما أخبرنا النبيّ، بل يذكرون له أنّك ستخذل؛ وذلك من خلال المعطيات التي حصلت مع والدك مع أهل الكوفة، فهم يبرّرون قولتهم بمعطيات تاريخية وميدانيّة، ولا يقولون له بأنّ النبي أخبر بشهادتك في هذا الخروج، كيف ولو كان النبي أخبر بشهادته في هذا الخروج بالذات فلماذا لم يقل لهم الحسين عليه السلام ذلك؟! ولماذا لم يذكّرهم بقول النبي في هذه المسألة ليسكتهم في اعتراضهم ويقنعهم بخروجه امتثالاً للقدر وما أخبر به الرسول الصادق من أنّه سيخرج إلى العراق وسيقتل هناك؟!

ولعلّه لكلّ هذا الذي قلناه ذكر الشيخ المفيد في كتابه (المسائل العكبريّة: ٦٩ ـ ٧٠)، أنّ الإمام لا يملك العلم المطلق هنا، بل هو يعلم ما يكون من مقتله، دون أن يعلم التفاصيل. فلو كان هناك في الروايات ما يفيد تحديد الزمان والتفاصيل وكان ذلك معتدّاً به

ـ لا مثل رواية واحدة متأخّرة المصدر يتيمة مثلاً ـ فهو ينفع، وإلا فالحسين عليه السلام ولو علم أنّ نهايته الموت في العراق لكن ما دام لم يحدّد الزمن من قبل النبي الأعظم، فهذا يعني أنّه مُلزم بأداء تكليفه؛ إذ قد تكون شهادته بعد ثلاثين سنة من مشروعه التغييري هذا، ومجرّد أنّه عالم بشهادته من حيث المبدأ لا يسقط ذلك قيمة مشروعه التغييري هذا، تماماً كما كان علي عليه السلام عالماً بما ستؤول إليه أخبار الخارجين عليه، وأنّه سيقتل في لحظة ما، ومع ذلك قام بواجبه وأسّس لتجربة ممتازة، حتى لو سقطت بعد ذلك بفعل المتخاذلين والمتآمرين، فلو نجح الحسين عليه السلام في إقامة دين الله لثلاثين سنة، كنّا اليوم نملك رصيداً كبيراً في الفكر والممارسة والتجربة، كما امتلكنا ذلك مع العصر النبوي والعصر العلوي حتى لو كانت المآلات مؤلمة ومفجعة.

ولهذا لاحظوا الروايات التاريخية كيف أنّ الإمام الحسين عندما علم أنّه وصل إلى كربلاء، وازدادت الشدّة، كأنّه أعلم أصحابه بأنّ هذا هو موطن شهادتنا، فطبّق العنوان على المصداق الزمكاني عندما تعاضدت القرائن.

المهم في دراسة الأحداث التاريخية أن لا نقرأها بعيون الذين أتوا بعدها فقط، بل نحاول أن نكون وكأنّنا نعيش في تلك اللحظة الزمنيّة، فنحن نعلم اليوم بما حصل وتفاصيله، لكن فلنحاول أن نكون قبل شهادة الإمام عليه السلام، ونفكّر بعقليّة تلك اللحظة الزمنيّة، حيث الأفراد لا علم لهم بتفاصيل الشهادة، كلّ ما يعرفونه أنّ الإمام الحسين ستقتله الفئة المنحرفة عن الإسلام، أمّا كيف ومتى وما التفاصيل؟ فهذا نحن نعلمه، لكن من غير المعلوم أنّ أبناء تلك اللحظة يعلمونه من إخبار النبيّ (صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم)،

إذ هـم يعلمـون المبـدأ دون التفاصيـل الزمنيّـة، فـإذا قرأنا الأمـور بهذه الطريقـة فقـد نكتشـف الخيـارات بطريقـةٍ أفضل.

إذن الموضـوع لـه أكثر من جانـب، ويحتاج للتفكير من عـدّة جهات، ولا أريـد أن أبـتّ الآن في المسـألة، فقد تحتـاج لمزيد مراجعـة قبل ذلك، وإذا تمكّنتـم مـن اكتشـاف شيء إضافي فسـأكون سـعيداً بالاسـتفادة ممّا توصّلتـم إليه.

هل استشهد وهب الأنصاري
مع الحسين نصرانيًّا أم مسلمًا؟[1]

◈ **السؤال: ما صحّة الروايات التي تقول بأنّ وهب الأنصاري لم يُسلم، وإنّما استشهد مع الإمام الحسين عليه السلام وهو نصرانيّ؟ ما صحّة هذه الروايات التاريخيّة؟**

◈ الجواب: الموجود ـ وفق تتبعي السريع ـ في مصادر الحديث والتاريخ أنّ وهب بن وهب الأنصاري (وهناك كلام في اسمه، وفي أصل وجوده، حتى رجّح بعضهم أنّه عبد الله بن عمير الكلبي الذي كان من أصحاب علي والحسين عليهما السلام، فليراجع التستري في قاموس الرجال حيث تعرّض لهذا الموضوع) كان نصرانيّاً فأسلم على يد الحسين، وفي بعض الكلمات أنّ سبب إسلامه أمرٌ إعجازي يتصل برؤيا رآها.

وفي حدود تتبعي لم أجد شيئاً واضحاً يشير إلى بقائه على النصرانيّة عند شهادته، بل ما جاء في أمالي الصدوق وفي مقتل الخوارزمي وغيرهما أنّه كان نصرانيّاً فأسلم على يد الإمام الحسين، وقد تحتاج المسألة لمزيد تتبّع، والعلم عند الله.

(١) إضاءات ٤: ٥١٩

رواية الغرائب التاريخيّة
ثم تكلّف تأويلها![1]

◈ **السؤال: من خلال قراءة السيرة العطرة للرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، نرى بوضوح مكانتهم السامية العليّة التي لا يشكّ فيها إلا من فَقَدَ عقلَه، ولكن نجد في أحيان كثيرة أنّ بعض العلماء يروون وينقلون ويحدّثون بأشياء هي خارجة عن حكم العقل ومعارضة بأحاديث كثيرة، فتنشأ جرّاء ذلك شبهات في داخل المذهب وخارجه، وبعد ذلك يقوم العلماء بتأويل تلك الحالات والأحاديث بتأويلات غريبة عجيبة؛ من أجل إثباتها، وهي في الواقع لا تزيد من شأن النبي والإمام. وهنا أضرب مثلاً واحداً، وهو أنّ سيفَ الإمام علي عليه السلام مسكته الأرض عندما قتل مرحباً، أو حضور الإمام علي ليلة الحادي عشر من المحرّم وغيرها، والتي أعتقد بأنّها لا تُسمن ولا تُغني من جوع.**

◈ الجواب: بصرف النظر عن الأمثلة التي ذكرتموها، فإنّ الواقع الذي أشرتم إليه موجود بالفعل، فبعضنا لا يُخضع نصوص التاريخ والحديث لنقدٍ علميّ من البداية، بل يسترسل في نقل المرويّات والتواريخ من على المنبر وشاشات التلفزة وفي الكتب والنشريات، وتكون النتيجة أنّه عندما يتمّ الإحراج بقصّة هنا أو هناك تبدأ التأويلات التي تريد أن ترفع المشكلة المزعومة، وهذا الواقع كلّه منهجٌ غير علمي، فالتاريخ والحديث لابدّ من التثبّت منهما قبل نقلهما بعنوان أنّهما أمور ثابتة يراد لها أن تنتج معرفةً أو وعياً دينيّاً عامّاً، وهذا التثبّت لابد أن يخضع لمنهج علمي مدروس، وليس لمنهج أيديولوجي يجعل من الرواية التاريخيّة المتهالكة مقطوعاً بها؛

(١) إضاءات ٤: ٥٢٠

لأنها تناسب مزاجي ومعتقداتي، فيما رواية صحيحة قويّة متماسكة نُخضعها للتأويلات المدهشة عندما لا تنسجم مع المزاج الذي نحمله، وهو مزاجٌ المؤسف فيه عند بعضنا أنّه ينشأ بطريقة غير ممنهجة من البداية، ويراد بعد ذلك اختراع منهج لتبريره، بحيث نشعر بسلامة المنهج كلّما نجح في تثبيت الفكرة التي نؤمن بها مسبقاً، أرجو الانتباه جيداً.

إنّ أخطر شيء في هذا المجال هو أن يتمّ اختراع المناهج العلميّة لتبرير معتقدات أو عواطف ولدت بطريقة غير منهجيّة في البداية، وهذا الأمر ينطبق عادةً على ما نحن فيه، حيث يقودنا الحماس أو العاطفة أو المزاج العام لتبنّي حدث تاريخي أو رواية منسوبة، فنتفاعل معها عاطفيّاً؛ لأنها تنسجم مع مزاجنا الفكري العام، ولا نشعر بالحاجة إلى إثبات صدقيّتها تاريخيّاً عندما يكون من نُلقي عليهم هذه الرواية أو القصّة التاريخيّة منسجمين أيضاً مع سياقها من الأصل، وعندما يطالبُنا الآخرون المختلفون معنا في المزاج الفكري العام بالدليل نقوم باختراع منهج متناسب معها كي نتمكّن من تبرير اختيارنا لها من قَبْل.

فالمناهج هنا تغدو وليدة النتائج، والنتائج بنفسها وليدة المزاج العام والطمأنينة القلبية المتولّدة بدورها من العناصر التربويّة والعرفيّة والاجتماعيّة والمحلّية، مع أنّ المفترض أن تكون النتائج هي وليدة المناهج. وعندما تختلّ المعايير العامّة نصاب بكلّ هذا الإرباك الذي نعيشه اليوم في غير موقع. وهذا ما يؤدّي بمرور الوقت إلى تكريس منهج لم يولد إلا لتبرير وضع معيّن، لا لكونه مبرهناً في حدّ نفسه، ومن ثم يقوم هذا المنهج في الفترة اللاحقة بإيلاد نتائج

جديـدة، وبمـرور الوقـت يظهـر وعـي دينـي وتاريخـي آخر غـير الذي كان.

كان مـن المفـترض مـن البدايـة تخفيـف الحمـولات عـن كواهلنـا، والحفـر الجـادّ في كلّ نصـوص التاريخ والحديـث للتأكّد مـن قيمتها هنا أو هنـاك، قبل أن تتكـوّن لدينا القناعات التي تأتي مـن نصوص التاريخ والحديث، وشـيئاً فشـيئاً سـنصل إلى معطيـات مؤكّدة مـن وجهة نظرنا ونَـذَر غيرهـا، وأهـم شيء في هـذا المشـوار هو تـرك الخوف، فكثـيراً ما يقـال: لا يمكن أن أقبل بهـذا المنهج في التثبّت التاريخـي والحديثي؛ لأنه منهـج لو صـحّ لأطـاح بعـشرات الأشـياء التي أؤمـن بها، وهـذا قلبٌ للعقـل؛ فالمفـترض أن يُثبـت المنهـجُ الصحيح مـا تؤمن بـه، لا أن يُثبت مـا تؤمـن بـه منهجـاً صحيحـاً! وهكذا يقـول لـك بعضهم: لـو أخذنا بهـذا المنهـج لخسرنـا عـدداً كبـيراً مـن الروايـات الحديثيـة والتاريخيّـة! وأقـول: ومـن قال لـك بأنّك لـو أخذت بهـا ربحت؟ ومـن أين عرفت أنّهـا ثابتـة إذا كنـت الآن مـا تـزال تبحـث في منهـج إثباتهـا وإبطالهـا؟! حقّـاً إنّهـا ظواهر غريبـة ليس عندي تفسـيرٌ لها غالباً سـوى أنّنـا في كثير مـن الأحيان نُـدار بالعقـل الأيديولوجي (الريموت كنـترولي) ونتحرّك بطريقـة قد لا نشـعر بها أساسـاً.

والغريـب أيضـاً أنّنـا بأنفسـنا نمتـدح إبـداع باحـث في التاريـخ أو الحديـث قـام بكشـف زيف فكـرة مسـلّمة منذ مئـات السـنين أو أطاح بمصـدر تاريخـي مهـم جـدّاً تكـرّس عنـد الجميـع منـذ مئات السـنين، وإنّـما نمتدحـه لأنّ الفكـرة أو المصـدر المشـار إليهـما ينفعـان خصومنـا الدينيّـين أو المذهبيّـين أو الفئويّـين، فيصبـح تكسـير المسـلّم التاريخـي إبداعـاً عندمـا يصـبّ في صالح الجـدل المذهبـي أو الدينـي أو الفئوي،

فيما هو جناية أو مؤامرة أو ضعفاً علميّاً عندما يكون الأمر على حساب معتقدي أو مذهبي أو جماعتي!

قبل سنوات كنت ألقي سلسلة محاضرات حول الوضع في الحديث لمجموعة من طلاب العلوم الدينية، فنقلت لهم حديثاً حول قصّة سفينة نوح من بعض كتب أهل السنّة، وبيّنت عناصر الوضع التي قيلت في هذا النقل التاريخي، وعندما كنت ألقي الحديث على مسامع الإخوة الطلاب كنت أتأمّل في تعابير وجوههم، فرأيت أنّه بمجرّد أن نقلت القصّة المرويّة عن طواف سفينة نوح حول الكعبة وصلاتها صلاة الطواف وبعض التفاصيل الأخرى، ظهرت معالم السخرية والاستهزاء والضحك على الوجوه، لقد شعروا جميعاً بأنّ هذه القصّة مختَلَقَة، ولم ألاحظ أنّ أحداً تردّد في كونها كذلك، وقد تعمّدت أن أفعل ذلك أولاً، لأقول لهم بعد ذلك بأنّ هذه القصّة وردت بطرق الشيعة أيضاً، بل في طرق الشيعة وردت زيادة غريبة وهي أنّ سفينة نوح صعدت إلى منى، ثم رجعت فطافت طواف النساء أيضاً!

في هذه اللحظة بالذات حصل بعض الصمت، فقد فوجئ الجميع بذلك، وقال لي أحد الطلاب الذين كانوا يضحكون قبل ثوانٍ: ألا يحتمل تفسير الحديث بكذا وكذا بما يرفع التهمة عنه؟! لقد تبدّل الوضع تماماً، فقبل لحظات كان العقل متحرّراً ويفكّر بدون ضغط، بل لعلّه كان مندفعاً بسبب كون الحديث من مصادر أهل السنّة، فأطلق العقل العنان لنفسه بجرعة زائدة هذه المرّة، لكن وبمجرّد أن أدرك أنّ الرواية ـ وبشكل أكثر غرابة ـ موجودة عند الشيعة أيضاً وفي كتاب الكافي للشيخ الكليني رحمه الله، قام العقل بإعادة تموضع

سريع، ليعيد إنتاج المعرفة بطريقة أخرى. لماذا؟ لأنّنا نقرأ نصوص التاريخ والحديث بطريقة أيديولوجيّة، لا بطريقة علميّة موحّدة ومنهجيّة تتعامل بأكاديميّة وحِرفيّة ونزاهة عالية مع النقل التاريخي أينما كان.

وبالمناسبة فالرواية عند الشيعة ضعيفة السند من أكثر من جهة، ولا أريد أن أتبنّى نقدها المتني الآن أو أنفيه، كما لا أقصد رفضها هنا أو تأييدها، وإنّما هو مجرّد مثال يقع مثله كثيراً عند مختلف التيارات والمذاهب والفئات.

هذه هي المشكلة التي تستدعي التأويل والتكلّف والتبرير، والحلّ هو تحرير العقل من هذه الثنائيّات، وتحريره من العاطفة والأمزجة العامّة والخاصّة، وتحريره من التقليد والاتّباع، لينهج نحو الاجتهاد والإبداع إن شاء الله.

رواية تاريخيّة حول حزن
الإمام الكاظم في شهر محرّم[1]

◈ **السؤال: جاء في الرواية التاريخيّة عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «إنّ المحرّم شهرٌ كان أهل الجاهلية يحرّمون فيه القتال، فاستحلّت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت النيران في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا. إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا، بأرض كرب وبلاء، أورثتنا الكرب والبلاء، إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإنّ البكاء يحطّ الذنوب العظام. ثم قال عليه السلام: كان أبي صلوات الله عليه إذا دخل شهر المحرّم لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين صلوات الله عليه». هل هذا الحديث صحيح عندكم وعند السيد الخوئي من ناحية السند؟ وهل يعني أنّ الحزن والكآبة يستمرّان إلى نهاية شهر محرّم؟**

◈ الجواب: هذه الرواية بهذا النصّ تفرّد بنقلها الشيخ الصدوق في كتاب (الأمالي: ١٩٠ ـ ١٩١)، وهو مصدرها الأصلي، وهي من حيث السند ضعيفة بجعفر بن محمّد بن مسرور الذي لم تثبت وثاقته، والسيد الخوئي لا يرى وثاقته، نعم بعض العلماء يرون وثاقة هذا الرجل من حيث ترضّي الصدوق عنه وترحّمه عليه في بعض الموارد، ولكنّ السيد الخوئي ـ ومعه جماعة من علماء الرجال ـ لا يرى ذلك دليلاً على التوثيق، وهو الصحيح من حيث المبدأ.

كما احتمل الشيخ الوحيد البهبهاني في (التعليقة على منهج المقال:

(١) إضاءات ٤: ٥٢٤

١١٠)، وجزم السيد موسى الزنجاني في (كتاب النكاح ١٧: ٥٥٨١ ـ ٥٥٨٢)، بأنّ ابن مسرور هذا هو عينه جعفر بن محمد بن قولويه الثقة الجليل صاحب كتاب كامل الزيارات، ولكنّ المحدّث النوري (خاتمة مستدرك الوسائل ٥: ٤٧٠)، والسيد الخوئي (معجم رجال الحديث ٥: ٩١) اعتبرا ذلك في غاية البُعد.

وحجّة الوحيد والزنجاني أنّ جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه هو أحد إخوة عليّ بن محمد بن جعفر بن موسى بن مسرور، وفقاً لكلام النجاشي في موضعين من كتابه، فيكون قولويه مطابقاً لمسرور وهو عينه، فجعفر بن محمد بن قولويه صاحب كامل الزيارات هو عينه جعفر بن محمّد بن مسرور شيخ الشيخ الصدوق هنا، فيكون ثقةً.

ولكنّ هذا الكلام غير صحيح وفاقاً للنوري والخوئي وغيرهما، وذلك أنّه لم يرد في أيّ كتاب من كتب الصدوق الرواية عن جعفر بن محمد بن قولويه صاحب كامل الزيارات، إلا في موضعٍ واحد، وهو رواية رواها في كتاب (فضائل الأشهر الثلاثة: ٣٣)، فلو كان ابن مسرور هو ابن قولويه لكان المفترض أنّ للصدوق روايات كثيرة عنه لديه، وابن قولويه يُعرف بهذا الاسم، فلماذا لم يرد هذا الاسم المشهور والمعروف له في كتب الصدوق أبداً سوى في موضعٍ واحد، بينما وجدنا اسم ابن مسرور متكرّراً في مواضع عديدة من كتبه وفي طرقه؟! يضاف إلى ذلك أنّ ابن مسرور الذي روى عنه الصدوق يروي غالباً عن الحسين بن محمّد بن عامر، ولا نجد روايةً لابن مسرور عن سائر شيوخ ابن قولويه المعروفين، فلو كان هو نفسه لكان مقتضى العادة أن تكون رواياته عن شيوخه المعروفين،

فكيف لم يرو عنه الصدوق أيّ رواية عن شيوخه الآخرين المعروفين الواقعين في مثل كتاب كامل الزيارات وغيره والذين أخذ الحديث منهم، في حين كانت رواياته عن الحسين بن محمّد بن عامر قليلة جداً؟!

هذا كلّه يجعل فكرة الاتحاد مجرّد احتمال ولو كان راجحاً قليلاً لا أكثر، مع الإقرار بإمكان أن يروي الصدوق (٣٨١هـ) عن ابن قولويه (٣٦٨هـ)، والإقرار أيضاً بأنّ مسروراً هو قولويه نفسه، بحسب معطيات كتاب الرجال للشيخ النجاشي، فالأرجح ما ذهب إليه الشيخ النوري والسيد الخوئي من عدم ثبوت الاتحاد بدليل مقنع، ومن ثم فالرجل لا دليل على وثاقته.

وأغلب مضمون هذه الرواية يمكن تأييده بروايات أخرى عديدة وردت في كتب الحديث والتاريخ، لكن لو تُركنا نحن وهذه الرواية فقط فهي من حيث السند غير ثابتة، وليست لها مصادر كثيرة متعدّدة ولا هي بذات طرقٍ وأسانيد متعاضدة، وعليه فيؤخذ بالقاسم المشترك بينها وبين غيرها ممّا يحصل وثوق به، ولا يُحتجّ بغيره، بل يُذكر من باب التأييد فقط.

وأمّا معناها، فغاية ما تدلّ عليه هو الحزن في العشرة الأوَل من شهر محرّم الحرام، وهي ساكتةٌ عمّا سوى ذلك، فهل كان الإمام يستمرّ بحزنه إلى نهاية محرّم أم إلى وسطه أم إلى نهاية صفر أم إلى التاسع من ربيع الأوّل أم إلى ما بعد ذلك؟ فهذا أمر لا تشير إليه هذه الرواية، بل أقصى ما تفيد هو هيمنة الحزن عليه طيلة العشرة أيام الأولى من المحرّم، وبلوغ حزنه الذروةَ يوم العاشر، أمّا غير ذلك فهي لا تثبت الحزن ولا تنفيه، فيحتاج الإثبات والنفي إلى دليل من

خـارج هـذه الروايـة، وإن كان مقتـضى العـادة أنّ الحـزن لو أريـد له أن ينتهـي نهايـة العاشر فقد نتوقّع اسـتمراره ليـومٍ أو يومـين أو أكثر بقليل بشـكل تنـازلي، والله العالم.

كيفيّة إثبات انتساب
مرقدٍ ما لنبيّ أو إمام أو وليّ[1]

◈ **السؤال: كيف نُثبت مصداقيّة كثير من المراقد المنسوبة لأهل البيت عليهم السلام؟**

◈ الجواب: عمليّة الإثبات يفترض أن تنطلق من معطيات علميّة وموضوعيّة، تفيد اليقين العادي، وليس بالضرورة اليقين الفلسفي أو الرياضي، تماماً كما هي الطرق العلميّة في إثبات الآثار والمعالم التاريخيّة، مثل:

أ. وجود لوحة (شاهد، أو نحو ذلك) قديمة جداً على القبر ترجع لزمن الشخص المتوفّى، أو قريب منه، تؤكّد هويّة صاحب القبر، دون أن يكون هناك معطيات تسمح بافتراض حصول تزوير أو تلاعب.

ومن هذا النوع مراجعة تاريخ الأبنية والعمارات وأحجارها وما كتب على جدرانها وتاريخ هذه الكتابة، وغير ذلك. ومن هذا النوع أيضاً تقديم علوم الطب والتشريح والبيولوجيا والفحوص الجينيّة وغيرها معلومات مؤكّدة تتصل بصاحب القبر أو نحو ذلك.

ب. وجود دوافع عظيمة للاهتمام بالقبر وصاحبه منذ لحظة وفاته، مع عدم توفّر ما يسمح بافتراض حصول تزوير أو اختلاق، وعدم وجود أيّ شاهد أو مبرّر معارض في هذا السياق، مثل قبر النبيّ صلى الله عليه وآله، حيث تتوفّر الدواعي الدينية والاجتماعيّة الكبيرة

(١) إضاءات ٥: ٥٢٣

للاهتمام بالقبر وزيارته منذ عصره ﷺ.

ج. وجود اشتهار تاريخي واسع يرجع إلى زمن قريب جداً من عصر صاحب القبر، مع عدم وجود معطيات تشكّك في منشأ هذا الاشتهار، فإنّ تاريخ الشعوب والعادات والمناطق يُعرف أيضاً بالاشتهار العظيم الممتدّ زمنياً، دون وجود ما يعاكسه أو يسمح بفرضيّة بحثية أخرى فيه، ولا تكفي الشهرة بين المتأخّرين جداً عن عصر صاحب القبر ما لم يتم تأمين الدعم لها من خلال معطيات أخرى.

د. جمع الوثائق والمعطيات والمعلومات المبعثرة في التراث، والشهادات، ونصوص المؤرّخين والعلماء والجغرافيين والرحّالة المسلمين وغيرهم، والتي باجتماعها تزداد فرص التأكّد من هويّة صاحب القبر، ومن ذلك وجود روايات عن النبيّ وأهل بيته في التحديد الدقيق للقبر ومكانه وهويّة صاحبه وتكون هذه الروايات معتبرة وذات قيمة علميّة، لاسيما لو كانت تخصّ من هو من الأسرة النبويّة، فإنّ أقارب الشخص القريبين زمناً منه تفيد شهاداتهم ـ ولو كانوا غير معصومين، فضلاً عمّا إذا كانوا من أهل العصمة ـ في مثل هذه الموضوعات شرط ثبوت هذه الشهادات تاريخيّاً.

ه. ثبوت تلقّي الأجيال فعلاً منذ قديم الأيّام جيلاً بعد جيل هويّة صاحب القبر، دون أن نعثر على مبرّرات موضوعيّة لنشوء هذا التلقّي الشعبي الممتدّ زمنيّاً بشكل طويل غير صحّة النسبة، وأمّا التداول الشعبي المتأخّر عن زمن صاحب القبر فهو لوحده غير كافٍ. فمن يريد أن يتعامل مع هذه الموضوعات بطريقة علميّة

عليه أن لا يبني ـ فقط ـ على التراكم الشعبي العاطفي في هذا المجال.

فمثل هذه المعطيات إذا اجتمعت كلّها أو بعضها يمكن أن تفيد العلم بالنسبة.

وأمّا سكوت العلماء عن مرقد معيّن أو موضع منسوب لنبي أو وليّ أو.. مرّ به أو عليه، فإنّه ليس بحجّة دائماً؛ لأنّ العلماء غالباً ما لا يتوقّفون عند هذه الاشياء بحيث لو سكتوا لكشف سكوتهم عن ثبوت النسبة واقعاً عندهم، وكثيراً ما يسكتون لأنّهم يرون أنّه لا داعي هنا للتشكيك، أو قد يكون التشكيك مضرّاً من وجهة نظرهم، أو لا حاجة لصرف الناس عن التعبّد في تلك المواضع واستذكار الله وأوليائه فيها، ولهذا لو سألتهم عنها علميّاً فقد لا يكون أغلب ما ينسب اليوم ثابتاً عند كثيرين منهم، بل النادر جداً من العلماء الذين يبحثون في هذه القضايا أساساً.

وأمّا الكرامات عند المراقد والأماكن التي من هذا النوع، فليست دليلاً كافياً عادةً؛ لأنّ الكرامة قد تحصل مع الاشتباه في تحديد موضع القبر؛ فإنّ شفاء مريض عند القبر ليس مربوطاً بوجود جثّة صاحب القبر فيه، بل القضية تتصل بالروح والإيمان أكثر مما تتصل بالعنصر المادي، أو لا أقلّ من احتمال ذلك، فمن البعيد أن يتوقّف ترتيب الكرامة على كون القبر هو بالفعل قبر هذا النبي أو الوليّ، فالمهم في الكرامة هو النيّة والجانب الروحي، وليس العنصر المادي بالضرورة.

وكذلك الحال في المنامات، فإذا رأى شخص مناماً يثبت فيه أنّ صاحب القبر الفلاني هو النبي الفلاني فهذا لا يصحّ الاحتجاج به،

ولا دليل على حجيّته لا علميّاً ولا دينياً وتعبّدياً، ما لم يرفق بشواهد قاطعة، ومن ذلك نجد ـ كما قلنا في مناسبة أخرى ـ أنّ العلماء لا يحتجّون برؤية الأنبياء والأئمّة في المنامات إذا أصدروا لهم فتاوى وأحكاماً شرعيّة، ويعتبرون المنامات لا ترقى إلى مستوى أن تكون وسيلةً علميّة أو شرعيّة إثباتية، ولهذا لا يعتمدونها أيضاً في العلوم العقائديّة ولا في القضاء وفضّ النزاعات والشهادات وغير ذلك.

وكذلك الحال في الكشف والشهود الذي يذكره بعض العرفاء والمتصوّفة، فإنّه لو كان صادقاً في نفسه، ولم يكن وهماً من صاحبه هنا وهناك، فإنّه يكون حجّةً لصاحب الكشف فقط، وليس بحجّة لغيره، كما هو واضح.

كما أنّ مجرّد وجود ضريح وقفص وقبّة في هذا المكان لا يعني بالضرورة صحّة النسبة من باب حسن الظنّ بالمسلمين وتصحيح عملهم؛ فهذا لا علاقة له بموضوعنا؛ لأنّنا نبحث في إثبات تاريخي واقعي، وليس في إساءة الظنّ بهذا المسلم أو ذاك، فقد يكون التبس عليه الأمر، وقد يكون معتقداً حجيّة المنامات في هذا الموضوع، فيبني المقام على أساسه، ثم يسير عامّة الناس عليه برجاء المطلوبية أو بطريقة عفويّة كما هم في الغالب، فما لم نحصل على معلومات مؤكّدة في هذا السياق لا يمكن من الناحية العلميّة إثبات النسبة.

وهذه الموارد التي قلنا بأنها ليست معتبرة في هذا الإثبات، ليست افتراضات، بل هناك نصوص ووقائع وشواهد تاريخيّة تؤكّد أنّها بالفعل قد اعتُمدت هنا وهناك لإثبات هذا المقام أو ذاك.

ودائماً أجدني أقيّد الطرق الخمسة المتقدّمة بعدم وجود معطيات معاكسة لها، فإنّ هذا الأمر ضروريٌّ للغاية، ومن نوع المعطيات

المعاكسة اشتهار انتساب قبر لنبي أو وليّ في بلدة أو قرية أو مدينة مع وجدان نفس القبر منسوباً إلى نفس النبي في مدن أو مناطق أخرى، بحيث يجزم أهل البلدان المختلفة بانتساب القبر إلى ذلك الولي الذي عندهم، فنجد قبر النبي يونس عليه السلام مثلاً في عدّة بلدان، ما لم يفسّر ذلك بأنّه إشارات لتواجده هناك أو مروره فقط، وهكذا.

كما يجب على الباحث أن يأخذ بعين الاعتبار احتمال قِدَم القبر جداً، لكنّ نسبته إلى شخص بعينه تحتاج إلى دليل، فقد يكون القبر راجعاً إلى ألفي عام أو أكثر لكنّ هذا لا يعني أنّه قبر هذا النبي أو ذاك. ومن ذلك أيضاً أن تقدّم الوثائق التاريخية شاهداً على وفاة شخص في بلد، فيما نجد أنّ قبره في بلد آخر، فما لم يقدّم تفسير لهذا الأمر مرفق بمعطيات معينة فإنّ الشواهد التاريخية سوف تعارض المعطيات المثبتة لهويّة صاحب هذا القبر.

ومن هنا، يرى الكثير من الناقدين والمحقّقين في هذا المجال مثل السيد محسن الأمين العاملي وغيره، أنّ آلافاً ـ وربما عشرات الآلاف ـ من القبور أو الأماكن المنسوبة بوجهٍ من الوجوه لأنبياء أو أئمّة أو صحابة أو أولياء أو شخصيّات معينة.. لا يوجد أيّ دليل علمي يفيد الظنّ الغالب على صحّة الانتساب فيها، وأنّ ما هو ثابت لا يتعدّى ـ ممّا هو مدّعى على امتداد العالم عموماً والعالم الإسلامي خصوصاً ـ نسبة الواحد في المائة، وإنّما هي تقاليد وموروثات شعبيّة لا تقوم على معطيات علميّة.

ويجب أيضاً أن لا يغيب عن ناظرنا أنّ موضوع نسبة قبور أو أماكن إلى رموز دينية أو تاريخيّة قد تقف خلفها أيضاً مصالح مالية أو تجاريّة أو سياحيّة أو حتى اجتماعيّة وقبليّة ومناطقيّة، بل وسياسيّة

أيضـاً، فكثـيراً مـا وُجـد قبر لشـخص صالح فنسـب لنبـيّ مـن الأنبياء ليكـون في ذلك شـأنٌ لأهل تلـك القريـة أو المحلّة، وهذا أمـر ينبغي أن لا نغفـل عنـه في سـياق الدراسـة العلميّة لهـذه الأمور.

وأشـير أخـيراً إلى أنّه قـد بلغني أنّ موسـوعةً تعدّ للمراقـد والمقامات والأماكـن الدينيّـة في العـراق، وقد تناقشـتُ مع بعض الإخـوة المعنيّين بهـا في ضرورة أن يكـون ذلـك مرفقـاً بتقويـم كلّ موضـع منسـوب لشـخص أو نبـي أو إمـام أو وليّ أو عالم أو حدث من الأحـداث، إلا أنّ بعـض المشرفـين عـلى هذا العمـل الكريـم اعتبر ـ كـما نُقـل لي ـ أنّ ذلك غـير ممكـن الآن، وأنّ المرحلـة هـي مرحلة الكشـف عن ذلـك، وإعداد تقريـر علمـيّ موسّـع فيـما هـو موجـود بالفعـل.. وقـد سـمعنا عـن مـشروع شـبيه بذلك في لبنـان أيضـاً والله العالم.. نأمل للجميـع التوفيق في العـراق وخـارج العراق، مـع أمل آخـر في أن يقـوم المختصّون بمثل هـذه الدراسـات بالإعـداد لدراسـات أو موسـوعة لاحقـة موسّـعة ودقيقة تكشـف حقيقـة عشرات الآلاف مـن مثل هذه الأماكـن الدينية في بـلاد المسـلمين قاطبـة، ليكون في ذلـك المزيد من الوعـي والمعرفة إن شـاء الله، إن لم يكـن لنـا فللأجيـال القادمـة. وهنـاك بعـض الأعمال في هـذا الصـدد نـشرت أيضاً.

كيف نواجه الفتنة بين التيارات والعلماء في القضايا المذهبيّة والشعائريّة؟[1]

◈ السؤال:

١ـ لقد كتر الكلام في الأوساط الشيعية حول الكثير من المواضيع ومنها التطبير والمرجعيّة والتيارات الفكريّة إلى آخره.. وإنّني رأيت فيديو لم أعرف كيف أتصرّف به وكيف أتعامل معه.. حيث الإمام الخامنئي دام ظله الشريف يقول: إنّه لا فائدة من البكاء بصوت عالٍ، بينما يردّ عليه المرجع الشيخ الوحيد الخراساني دام ظله بردّ عنيف.. فكيف يجب على الشباب أن يتعاملوا مع مثل هذه المواقف التي لربما تكون مصدراً للفتنة بين الموالين أعلى الله كلمتهم.

٢ـ ما هو الحلّ الجذري لقضيّة تعدّي الرادود (...) على مراجعنا الكرام؟

◈ الجواب:

رغم أنّ فيما سأقوله الكثير من التكرار ممّا قلته وبيّنته قبل ذلك مراراً وتكراراً، لكن لا بأس بالإشارة لبعض الأمور سريعاً:

١. من الناحية العمليّة، بإمكان كلّ مكلّف أن يعمل وفق اجتهاده أو تقليده، ومن ثم فلا مشكلة ميدانية فردية شخصيّة تواجه المكلّفين، وعلى فرض أنّ مرجعه لا رأي صريح له في هذا الموضوع أو ذاك، فيمكنه الرجوع إلى الأعلم بعده وفقاً لنظريّة تقليد الأعلم. وأمّا إذا أراد سلوك سبيل الاحتياط ورغب في ذلك فإنّ مقتضى الاحتياط بين أقوال العلماء هو ترك هذه الأفعال؛ لأنّ الأغلبيّة الساحقة من العلماء ـ إن لم يكن جميعهم

(١) إضاءات ٣: ٥٥٤

ـ بين قائل بجوازه، واستحبابه على أبعد تقدير، وقائل بحرمته بالعنوان الأوّلي أو الثانوي، ومقتضى الاحتياط هو الترك في هذه الحال؛ لكنّ هذا الاحتياط غير واجب. ولو وجد من يقول بوجوب التطبير من الفقهاء وجوباً عينيّاً فلا يصبح لهذا الاحتياط بين الفتاوى معنى؛ لدوران الأمر حينئذٍ بين الوجوب والحرمة، وفي مثله لا معنى للاحتياط، إذ لو ترك سيكون خلاف الاحتياط بالنسبة للقول بالوجوب، ولو فعل سيكون خلاف الاحتياط بالنسبة للقول بالحرمة، وفي مثل هذه الحال يكون المورد هو التخيير، وحيث إنّ المكلّف مقلّد وليس مجتهداً عادةً فيكون الحجّة عليه هو المرجع الذي يقلّده.

٢. يجب التريّث في نسبة الأقوال أو الكلمات أو المفاهيم لأصحابها، ويجب التريّث في تفسير نصوص الناس المكتوبة أو المقروءة أو المنشورة أو المقولة أو المذاعة صوتياً وتصويريّاً، بل يجب التأكّد من صحّة هذه النسبة، فليس كلّ ما يتداول على شبكة الأنترنت أو وسائل التواصل الاجتماعي على أنواعها بالذي يصحّ، بل لابدّ ـ لاسيما في المواقف التي تصدر عن الشخصيات الكبيرة، أو في الظروف الحسّاسة ـ من الرجوع إليها شخصيّاً أو إلى نصوصها المباشرة في كتبها أو استفتاءاتها الثابتة النسبة لها أو إلى مكتبها الرسمي المعبّر عنها في هذا المجال أو ذاك، لا إلى كلّ وكيل أو متولّ لشأن مالي، فقد لا تكون لديه المعلومات الكافية. وبعبارة موجزة: اتّباع الشرع والأخلاق في تصحيح النسبة من جهة، وفي تفسير النصّ الثابت النسبة من جهة أخرى، وأن نقلع عن الدخول في نوايا الناس وقصودها، وكأنّنا نلعب دور ربّ الأرباب وعالم الخفايا والأسرار.

٣. لكلّ واحدٍ من العلماء وجهة نظره، ومفتاح الحلّ هو الاعتراف بالآخر، والإيمان بالتعدّدية التي يراها الكثيرون ضلالاً، ففي ظلّ عيش التعدّدية عيشاً حقيقيّاً نحظى باحترام أكبر لبعضنا بعضاً، ونتفهّم بعضنا بعضاً، ويعذر بعضنا بعضاً، وفي الوقت عينه ننتقد بعضنا بعضاً، ونصوّب لبعضنا بعضاً، ويكون كلّ واحد منّا مرآة أخيه المؤمن. أمّا إذا استمرّينا في التخوين والتضليل والتفسيق والتكفير والتجهيل والتسخيف والإخراج من الدين أو المذهب، والاتهام بالتخلّف والرجعيّة، وسوء الظنّ ونحو ذلك، فلن نصل إلى نتيجة مرجوّة في حدود ما أراه بنظري القاصر.

وطبعاً من الصعب أن نلتزم جميعاً بهذا، لكن من الضروري أن يكون غالب خطابنا هو خطاب هادئ وبارد، فلو صدرت منّا هنا وهناك بعض التعابير فهي عابرة، وهذا غير أن يقوم خطابنا مع الآخر على ثقافة التهمة وسوء الظنّ وعنف اللغة وفعل الإقصاء والنبذ والحجر. وإنّما أقول ذلك كي لا نكون مثاليين أيضاً، ففي أكثر المناخات هدوءاً هناك لغة عنيفة في بعض الأحيان، لكنّ هذا غير أن يكون المناخ كلّه أو أغلبه أو طابعه العام عنيفاً وإقصائيّاً تجاه الآخر المختلف معه.

٤. كما نطالب آحاد المسلمين بالهدوء ولو النسبي، كذلك من حقّنا أن نرجو من الشخصيّات الكبيرة ـ الدينية وغير الدينية ـ ممارسة فعل الهدوء أيضاً في خطابها وعدم مهاجمة خصومها بطريقة عنيفة وتسقيطية وتسخيفيّة، وفسح المجال للحريّات بشكل أكبر في التعبير لكلّ شخص عن وجهة نظره. فإنّ اختلاف

العلماء وطلاب العلوم الدينية ترك ويترك تأثيراً كبيراً ـ في حدّته وهدوئه ـ على اختلاف الجمهور من الناس وعلاقاتهم ببعضهم، فلنعمل جميعاً على تخفيف حدّة التوتر وتفويت الفرصة على المتربّصين، ومواجهة الفتنة المطلّة بقرونها، لكن دون صمت أو خوف أو هروب من تحمّل المسؤوليّة، فلكلّ واحدٍ أن يقول رأيه، لكن ليس من المناسب أن نهجو ونتهجّم ونهين ونسفّه.

٥. كائناً من كان الذي بدأ مسلسل العنف في أوساطنا ـ ولكلّ شخص منّا وجهة نظره في ذلك ـ لكن على الجميع أن يعلم أنّ من يستخدم العنف في حقّ الآخرين والقمع والإقصاء والقسوة والسباب والشتيمة، فعليه أن ينتظر اليوم الذي ستأتي فيه ردّة الفعل، فالآخرون لن يسكتوا عن العنف الموجّه إليهم، وقد قلنا مراراً: إنّ السكوت عن العنف الذي مورس على بعض العلماء خلال العقود الأخيرة ـ وهم من تيارات مختلفة ـ جرّ إلى ممارسة العنف المضادّ، وطالت شرارات العنف الأطراف كافّة، ولا حلّ إلا بميثاق شرف (مرفق بفتاوى وتوجيهات حاسمة) يبادر إليه المراجع الكبار والعلماء النافذون والوجهاء الفاعلون في الأمّة لوقف تدهور الأوضاع وتنامي العنف والعنف المضادّ، والذهاب خلف وضع آليات أفضل للاختلاف، تضمن الحقّ في التعبير، والحرّية في البيان والرأي، وفي الوقت عينه تمنع الإهانات الشخصيّة والتجريح بحقّ الرموز أو غيرهم، وقد ميّزنا مراراً بين التجريح والنقد.

وكما ندعو لتخفيف عنف النقد كذلك ندعو الآخرين لتخفيف الحساسية تجاه النقد، فلا حلّ إلا بهذه المزدوجات

اللازمة. ولهذا فإنّني لا أحبّذ أن ننظر للأمور بشكل تجزيئي فنأخذ حدثاً ثم نثور وننفعل لأجله، بل الأفضل أن ننظر للأمور بشكل شمولي، ونتعاطى مع مجموعة الأحداث الممتدّة في الزمان والمكان المعاصرين، لنستطيع رؤية الأمور بشكل أفضل، ووضع حلول أو مقترحات أنجع بخصوصها. ومشكلة الكثيرين منّا أنّهم ينظرون إلى النتائج وينسون الأسباب، أو يقلبون الأسباب والنتائج، أو ينظرون إلى ردّة الفعل ويتركون الفعل، أو يلعنون المعلول ويمتدحون العلّة، وكلّها مطالعات غير مكتملة للمشهد.

٦. من الضروري اتخاذ مواقف قويّة وواضحة بحقّ كلّ من يثير العنف ويدعو للكراهية المفرطة في الداخل الإسلامي أو المذهبي، وهذه المواقف عندما تكون تحت رعاية أو تحت غطاء أو ضمن سكوتٍ فَطِنٍ من المرجعيّات الكبيرة (الدينية وغير الدينية)، فبالإمكان أن تترك أثراً إيجابيّاً، في الحدّ من الأزمة التي نواجهها. كما أنّ وسائل الإعلام المرئيّ والمسموع لها وضعها الخاص في تثوير الناس ونشر الكراهية أو المحبّة، ويجب الانتباه لها جيداً، وهي تختلف عن أيّ وسيلة أخرى بالتأكيد.

٧. إنّ بعض الخلافات الدينية والفكرية القائمة بيننا اليوم باتت توجد شكلاً آخر من الصراع السياسي القائم في أوساطنا، فهناك تيارات مختلفة سياسيّاً، ويمكن أن يكون الصراع الديني في هذا الملفّ أو ذاك تعبيراً عن تصفية حسابات سياسية هنا أو ممارسة إقصاء سياسي هناك، ويجب أن لا نظّل سذّجاً نظنّ أنّ كل زوايا الأمور دينية أو فكريّة، فهناك وجهٌ سياسي للخلافات

الكثيرة القائمة بيننا اليوم، وهذا يعني أنّ أحد المفاتيح الأساسيّة للحلّ هو عبر السياسيين، سواء كانوا علماء دين في الوقت عينه أم لم يكونوا، والملفّ السياسي ملف معقّد وشائك، ويحتاج لأهل الاختصاص ولمبادرات توصل إلى حلول ولو مؤقّتة أو موضعيّة. وأعتقد بأنّ الظروف اليوم باتت تسمح بمصالحات سياسية في الداخل المذهبي بين بعض الاتجاهات على الأقلّ.

٨. من الواضح أنّ الحلول المشار إليها في كلامي أعلاه مثاليّة، ونحتاج فترة طويلة للوصول إلى نتائج بشأنها، لكنّني أقترح شيئاً عمليّاً وهو أن يقوم بعض الوجهاء والمشايخ والشخصيات في المناطق الشيعية المختلفة، لاسيما في بلدان العراق والخليج، بتشكيل وفد كبير يحمل عريضة يوقّع عليها أكبر قدر ممكن من العلماء والباحثين والمفكّرين والمثقّفين والإعلاميين والمشايخ والناشطين ورجال الأعمال والسياسيين الشيعة من أطراف فكرية وسياسية مختلفة، لنقلها ـ وبشكل واضح وصريح وجريء وبلا مجاملات أو مداراة ـ إلى المرجعيّات الدينية والسياسية الشيعيّة العليا ومن يدنوها في الطائفة؛ لمطالبتها باتخاذ مواقف وإجراءات وفتاوى وتوجيهات لمعالجة الوضع القائم، ووضع مقترحات لتجفيف منابع التوتر وتحليل أسبابها ونتائجها، ومحاصرة كلّ مظاهر نشر الكراهية بين المؤمنين، مع الحفاظ على حقّ الجميع في إبداء رأيهم.

ويُعمل مع ذلك أيضاً نشاط إعلامي فاعل للترويج لثقافة التسامح والتهدئة، إلى جانب ندوات ومؤتمرات وملتقيات بحثية تعالج الأزمة التي نحن فيها من وجوهها غير الدينية كالوجه

الاجتماعي والنفسي والتربوي والسياسي والاقتصادي والتاريخي وغير ذلك، معالجة صريحة ومباشرة، لتكون رؤيتنا للموضوع أكثر نضجاً، ومن ثم لتكون مقترحاتنا أفضل وأفعل. هذه خطوة بسيطة لست متأكّداً من جدواها إن لم أكن متأكّداً من عدم جدواها، لكنّ الاحتمال الضعيف يفرض علينا العمل وتبرئة ذممنا وضمائرنا من المسؤوليّات الملقاة على عاتقنا أمام الله والإنسان والتاريخ.

الاختلاف في نقل قرّاء العزاء
للمرويّات الضعيفة أو للسان الحال[1]

◈ **السؤال: هناك من يرى أنّ على خطباء المنبر الشريف عدم المبالغة عند استعمالهم لمبدأ لسان الحال، والذي ينسب للإمام الحسين وأهل بيته في مصيبة عاشوراء من أجل إبكاء الجمهور، بعدم التقوّل أو نقل ما قد يكون خاطئاً عنهم عليهم السلام. ويرى بعضٌ أيضاً أنّ خطباء المنبر يجب أن يكونوا حريصين وأن لا ينقلوا كلّ الروايات المتعلّقة بالمصيبة، وخاصّةً تلك التي تصوّر الإمام عليه السلام بحالة جزع وحزن كبيرين (وكمثال على ذلك خبر تلقّي الإمام الحسين لمقتل علي الأكبر) لعدم موافقته قول الإمام عليه السلام: «هيهات منّا الذلّة». وفي المقابل هناك من يرى أنّ حالة الحزن المبالغ بها طبيعيّة للمعصوم ويجب عدم ربطها بحالة المنطق والعقل؛ لأنّنا في كثير من الأمور لا نعلم عللها، وكمثال على ذلك بكاء النبيّ يعقوب عليه السلام سنين طويلة، مع منافاته لمبدأ الرضا بقضاء الله سبحانه! أرجو من سماحتكم بيان وجهة نظركم في هذا الموضوع.**

◈ الجواب: قد يحقّ لنا جميعاً المناقشة في الأمثلة والاختلاف فيها، وهل هذا المصداق للسان الحال ينافي مقام الإمام عليه السلام أو نصوصه أم لا ينافيها؟ وتختلف وجهات النظر في الأمثلة، تبعاً للزوايا التي يطلّ من خلالها الناظر على الموضوع، لكنّ هذا كلّه لا يعني أنّ لسان الحال هو أسلوب أدبي وبياني لا يخضع لضوابط.

ولست هنا أريد الدخول في التفاصيل بقدر ما أريد أن أشير وباختصار بالغ إلى أنّنا بتنا نؤسّس لمجموعة مبادئ في التعامل مع التاريخ الحسيني وكلّها مبادئ لا برهان صحيح عليها، إذا سلّمنا

(١) إضاءات ٣: ٥٥٩

أنّ أحداً عمل على تقديم برهان فيها أساساً، بعيداً عن الكلام العاطفي، وذلك مثل:

١. مبدأ أنّ كل شيء يتعلّق بالتاريخ الحسيني فلا ينبغي إخضاعه للمنطق والبحث العلمي، حتى رأينا بعضنا يتأذّى جدّاً من معالجة علميّة هنا أو هناك لرواية تاريخية في هذا المجال أو ذاك! هذا ما أسميته مرّةً باللامعقول الحسيني، هناك من يريد أن يعتبر حدث كربلاء ما فوق طبيعي، وأنّه حدث لا يخضع للقوانين التي وضعها الله في الطبيعة والوجود، وأنّه حدث فوق كلّ هذا العالم وخارج كلّ التاريخ والإنسان والحياة، ولهذا فهو حدثٌ متعالٍ عن الفهم العقلي والمنطقي، ولا يصحّ استخدام مناهج البحث التاريخي والعقلي والكلامي والفلسفي وغير ذلك في التعامل مع التاريخ الحسيني، فمن الممكن أن يكون الإمام الحسين قد قتل مليون شخص في صبيحة عاشوراء مثلاً، دون أن أفهم أنا كيف حدث ذلك، وحتى لو عجزت كلّ وسائلنا المعرفيّة عن فهم هذا الحدث أو نفته نفياً قاطعاً، فينبغي أن نأخذ به وأن لا نكذّبه وأن لا نواجهه حتى لو كان النقل التاريخي له نقلاً ضعيفاً هزيلاً من الناحية العلمية والتاريخية والحديثية.

بالفعل هناك من يريد أن يحرّر التاريخ الحسيني من التناول العقلاني، وهذه نزعة وجدنا بشائرها في العصر الصفوي، وها هي اليوم تتنامى بقوّة في أوساطنا.

ما هو الدليل على تحرّر التاريخ الحسيني من معايير الفهم الإنساني والعقلاني والتاريخي؟ دعونا نتحاكم لمنطق يؤكّد هذا المبدأ المزعوم نفسه، بعيداً عن لغة التخوين والتهويم والتعالي

والأدبيات واستجلاب لغة العرفاء لزجّها في هذه القضية بما يحول دون إمكانية فهمها العقلاني.

طبعاً عندما ندّعي إمكان الفهم وأنّها حدث لابدّ من تعقيله، فهذا لا يعني أنّ الإنسان يستطيع فهم كلّ جوانب هذه النهضة، لكنّ هذا لا يلغي التعقيل وخضوع مرويّات هذه النهضة التاريخية للبحث العلمي المعتمد، فهذا مثل قول علماء القرآنيات وأصول الفقه من أنّ القرآن يمكن فهمه، إذ قولهم هذا لا يعني أنّ القرآن ميسورٌ فهم كلّ زواياه لكلّ إنسان، أمّا عندما أعالج التاريخ بمنهج ثم أكسر هذا المنهج عندما أصل إلى قضيّة الثورة الحسينية فهذا يحتاج إلى دليل، ما دامت هذه النهضة هي حدثٌ في الزمان والمكان، فالسيرة النبوية نحن نخضعها للبحث العلمي، ونناقش فيما كتبه المؤرّخون حولها، ونفنّد روايةً مزعومة هنا أو مدّعاة هناك، وفقاً لأسس البحث العلمي والتاريخي، فهل الحسين أعظم من النبيّ؟!

نعم، من حقّ الطرف الآخر أن يناقشني في منهج فهمي واجتهادي التاريخي عموماً، حسناً هذا شيء ممتاز، لكن أمّا أن نجده يدرس التاريخ وفق منهج، ثم يرمي بهذا المنهج عرض الجدار عندما يصل للتاريخ الحسيني، فهذه مفارقة من حقّنا أن نطالبه بدليل علمي عليها، وليس بكلام عاطفي أو برواية أو روايتين ضعيفتين متهالكتين تالفتي المصدر والإسناد.

٢. مبدأ تعالي الخطباء وقرّاء العزاء عن النقد، فهناك من يريد اليوم أيضاً تجنيب الخطباء الكرام وقراء العزاء النقدَ، وأنّ النقد لهم هو تضعيفٌ للمنبر الحسيني، هذه وجهة نظر، لكنّني أعتقد

أنّ نقد قراء العزاء ونقد الخطباء عندما يكون ناشئاً من تصفية حسابات ومن تسقيط ومن تجنٍّ واتهام ومن سخرية واستهزاء فهو غير مقبول أبداً، وهو بالفعل سعيٌ نحو تضعيف المنبر الحسيني، وهو مرفوض جملةً وتفصيلاً، لكن عندما يكون هذا النقد ناشئاً من الحرص والمحبّة والإخلاص والإيمان، ويعتمد الهدوء والمعرفة، فلماذا يكون موجباً لتضعيف المنبر؟ لماذا لا نقول بأنّ بعض قرّاء العزاء يساهمون هم بأنفسهم ـ من حيث لا يشعرون وعن حُسن نيّة ـ في تضعيف المنبر بخطابهم القائم اليوم؟ قد يقول شخص ذلك. وإذا قمت بنقد هذا الخطاب أو بعض قرّاء العزاء فسوف أساهم في تقوية المنبر ودفعه نحو الأمام.

لا أعتقد أنّه من الصلاح وضع جماعة ـ مهما كانت مخلصة ـ فوق النقد، سيكون ذلك بمثابة إعطاء ضمانات لأي خطأ يُرتكب ولأيّ انحراف يقع، دون أن أسمح بتصحيحه.

ما هو المبرّر لكبح حريات الآخرين الذين يرون في بعض الأخطاء هنا وهناك تضعيفاً للمذهب؟ هل يعني ذلك أنّ كلّ من يقوم بمهمّة نبيلة فيجب تحييده عن النقد؟ وهل يعني ذلك أنّ من يقوم بمهمّة نبيلة فمن حقّه استخدام أيّ وسيلة دون محاسبة أو رقابة؟ وهل حقّاً أنّ هذه المهمّة النبيلة أو تلك حسنةٌ لا تضرّ معها سيئة؟

ما يبدو لي هو العكس تماماً، حيث يجب أن يظلّ قرّاء العزاء الكرام ـ كغيرهم من فئات المجتمع الأخرى ـ تحت المجهر النقدي، بوصفهم شأناً عامّاً لا شأناً خاصّاً، ليكونوا أكثر جديّةً

وأكثر دقّةً وأكثر فاعليّةً وأكثر رقابةً على أنفسهم وما يقولون، وهذا من الحرص عليهم ومن الحبّ لهم ومن الإرادة الصادقة تجاههم.

إنّ ما نشهده اليوم من حركة تطرّف ومبالغة لا حدود لها وسعي نحو التحرّر من كلّ القيود، ليس شيئاً صحيّاً، بل هو نذير شؤم للمستقبل. كيف يمكن أن نسكت عن شخص يقول بأنّ القرآن الكريم كتاب ضلال لولا العترة؟! هل يقبل هو نفسه أن نقول له: إنّ كلّ أحاديث العترة وما أتانا من أهل البيت هو ضلال لو أخذ لوحده دون القرآن، وحديث الثقلين يساوي النسبة بين القرآن والعترة من حيث التلازم؟! هل مطلوبٌ منّي حقّاً أن أسكت عن هذا كما يسكت كثيرون؟! هل مطلوبٌ أيضاً أن نسكت عن آخر قال بأنّ الله فوّض الحسين عليه السلام إدارة الكون بحيث لا يرجع له الحسين في كلّ صغيرة وكبيرة؟! أيّهما أغلى عليّ: الخطباء أم القرآن الكريم الذي وصف نفسه بأنّه يهدي للتي هي أقوم؟ أيّهما أغلى عليّ: الخطباء أم التوحيد؟ وما أدراك ما التوحيد!

لسنا نريد قمع هؤلاء، بل كلّ ما نطالب به هو نقدهم بكلّ أسلوب علمي وأخلاقي ـ كما نطالب الآخرين بنقدنا بكلّ أسلوب علمي وأخلاقي أيضاً ـ لا الصمت تجاههم، حتى اعتبروا بعض كبار مراجع الطائفة ممّن نطق بالكفر في آخر حياته، فهل محمّد باقر الصدر نطق بالكفر ومات على كلمة الكفر؟! ﴿تكاد السماوات يتفطّرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّاً﴾ (مريم: ٩٠).

إنّني أعرف أنّ هناك اعتبارات للشخصيات الكبرى في الدخول في مثل هذا الموضوع أو ذاك، لكن من المفروض علينا جميعاً توجيه الرأي العام ـ ولو بنحو غير مباشر ـ نحو تخفيف الاحتقانات وتنفيس الأصول الفكريّة لهذا النمط من التفكير، لا السكوت عنه بحجّة أنّ ذلك صدر عن إخلاص، فلسنا اليوم في يوم الحساب نحاسب النوايا، وإنّما نحن في هذه الدنيا نتناقش بالتي هي أحسن، ولا ننفي ولا نُقصي ولا نسبّ ولا نشتم ولا نقتل ولا نسلب أحداً حريّته، كلّ ما في الأمر هو أنّنا نطالب بوجهة النظر الأخرى أن تفصح عن نفسها، وأن نكفّ عن السكوت والصمت واللامبالاة، وأن يعرف كلّ واحدٍ منّا أن هناك فريقاً ورقيباً يناقشه ويختلف معه، لا أنّه يقول كلّ ما يريد دون حسيب أو رقيب. هذه هي الفكرة التي أريد أن أوصلها.

نحن نعرف أنّ هناك عشرات الآلاف من قرّاء العزاء في العالم من الرجال والنساء، وبعض هؤلاء ممّن تنحني لهم الرقاب احتراماً وإجلالاً لعلمهم وجهادهم، لكن أليس بعض قراء العزاء ممّن لا يملك المستوى المطلوب من المعرفة؟ كيف يمكن أن أتصوّر كلّ هذا الحشد الهائل من قراء العزاء ولا أجد في مقابل ذلك أيّة معاهد كبرى لتخريجهم؟ أين هي معاهد قرّاء العزاء؟ غاية ما تعطيك ـ وما أقلّها ـ التدرّب على الألحان و(الأطوار) وبعض المعلومات الطفيفة، لكن ألا يحتاج قراء العزاء اليوم ـ وتحت منبرهم الآلاف ـ إلى تخصّص أيضاً، وهم يمثلون موقعاً متقدّماً في صناعة الوعي الشعبي الديني؟ لا يوجد أيّ عمل تأهيلي يُذكر لقراء العزاء، لا على مستوى المضمون، ولا على مستوى الشكل عبر التثقيف على وسائل الدعاية والإعلام

والتأثير.

مـن هنا، أجـد أنّ من الواجـب الشرعـي علينا جميعاً عـدم تحييد أحـد مـن النقـد عندمـا نملـك مقوّمـات النقـد، ونملـك أخلاقيّة النقـد، بـل لقـد طالبـتُ مـراراً برقابـة دائمة على قـراءة العـزاء من قبـل المتخصّصـين في التاريـخ والسـيرة والفقـه وغيرهـم، تجعـل قـارئ العـزاء بحكـم المسـؤول عـمّا يقـول، لا أن يلقـي مـا يريد في المجلـس وتحـت منـبره فقهاء وأسـاتذة، ولا يجـرؤ أحد عـلى التفوّه بكلمـة أمامـه، لا لـشيء سـوى الخـوف مـن أنّ التعـرّض لـه قـد يفتـح باب جهنّـم بوجهك، هـذا شيء مرفوض تماماً، ولسـت أوّل مـن رفضـه، فهـذا الشـيخ المطهّري قـد أسـهب في هذا، ومـن يريد صناعـة الوعـي الشـعبي الديني يجب أن يكـون عالماً قبـل أن يكون خطيبـاً أو قاصّاً.

إنّ نقـد الخطباء وقـرّاء التعزية جـزءٌ من فريضة الأمـر بالمعروف والتوجيـه والدعـوة إلى الخـير، وهـذه الفريضـة لا يقوم بهـا العلماء والخطبـاء فقـط تجـاه الناس، بل هـي ـ وكما يقـول الفقهاء أنفسـهم في كتبهـم الفقهيـة ورسـائلهم العمليّـة ـ وظيفـة النـاس أيضـاً تجاه بعضهـم وتجـاه العلـماء والخطبـاء، وليـس الأمـر بالمعـروف تدخّلاً في غـير التخصّـص بالـضرورة، بـل هـو دعـوةٌ للصـدق في القـول والتثبّـت والانضبـاط الشرعـي والأخلاقي، وهذا المقـدار لا يحتاج إلى تخصّـص، فهـو معلومٌ مـن الديـن بالضرورة.

إنّ مـن واجبنا جميعـاً ـ كتاباً وأدباء وشـعراء ونقـاداً وأهل إعلام وصحافـة وعلـماء ومفكّريـن ومثقّفـين وفقهـاء ومؤرّخـين ـ أن نسـاهم في عمليّـة نقد المنبر الحسـيني، وهي ليسـت نقداً للحسـين،

بـل نقـدٌ لصالح الحسـين عليه السلام.

نعـم، مـن الخطأ أن نجعل قـرّاء العـزاء كلّ همّنا وكأنّـه لا وظيفة شرعيّـة أخـرى غيرهـم، فننسـى كلّ عنـاصر الخـير والعطـاء في الخطبـاء، وننسـى كلّ التقصـير الحاصـل في مجتمعاتنـا مـن فئـاتٍ مختلفـة، لنتفـرّغ فقـط لنقـد المنـبر! هـذا خطـأ جسـيم، وهـو ظلـمٌ أيضـاً بحـقّ المنـبر الحسـيني وأهله، لكـنّ هـذا لا يعنـي التخلّي عن مهمّـة الدعـوة إلى الخير المطالبون بهـا جميعاً، شرط الالتـزام العلمي والأخلاقـي وحفـظ حرمـات الناس.

٣. مبـدأ تصحيـح كلّ المرويّـات التاريخيـة ذات الطابـع المذهبي، وهي دعـوى وجدناهـا عنـد بعض العلـماء أيضاً حفظهـم الله، فكل نصّ تاريخـي ولـو رجـع إلى خمسـين سـنة فقط مـن اليـوم يجـب الحفاظ عليـه وتظهـيره وتفعليـه وعـدم نقـده والتوقّـف عـن اسـتنكار اسـتحضاره في مجالـس العزاء، لمـاذا؟ لأنّ بني أميّة طمسـوا التاريخ وعلينـا أن لا نشـارك في هـذه الجريمـة، وكل نصّ ولـو كان ضعيفاً مـن الناحيـة التاريخيـة فيجـب أن لا نحذفـه؛ لأنّ في حذفـه تضييعاً للـتراث. هذه وجهـة نظـر نحترمها.

لكنّنـي أعتقـد بأنّـه حصـل خطأ أسـاسي في وجهـة النظـر هذه، فهنـاك فـرق بين حـذف الوثائق التاريخيـة ولو الضعيفـة، وإحراقها وإتلافهـا حتـى تذهب بحيث لا يمكـن بعد ذلك الحصـول عليها، وبـين عـدم ترويجها بين النـاس، هناك مـن يقـول ـ ومنهم صاحب وجهـة النظـر هذه في بعـض كتاباته حفظـه الله ـ: لا ينبغي أن نؤلّف في صحيح الأحاديث؛ لأنّ هذا سـوف يـؤدّي إلى تلاشي الأحاديث الضعيفـة وزوالهـا عـبر التاريـخ، وفقداننـا قرائـن وشـواهد وتراثاً

قيّماً. لكنّ هذا الكلام يقرأ الأمور بشكل تحليلي نظري، في حين أنّ الواقع بعكس ذلك تماماً، فلنأخذ تجربة أهل السنّة الذين اعتمدوا الصحيحين المؤلّفين في القرن الثالث الهجري، أي قبل ما يزيد عن ألف ومائة عام من اليوم، فهل ضاع تراثهم الحديثي الموجود في غير صحيحي البخاري ومسلم؟! كلا، فها هو هذا التراث يهتمّون به وينقّحونه ويخرّجونه ويدرسونه ويطبعونه أيّما طباعة، وما زال حاضراً في الفكر والبحث والاجتهاد عندهم إلى يومنا هذا، مثل معاجم الطبراني ومسند ابن حنبل وصحاح ابن خزيمة وابن حبان البستي ومجمع الزوائد للهيثمي وعشرات من الكتب الأخرى، فلماذا إذا طالبنا بالتدوين في صحيح الأخبار نكون قد طمسنا الحديث؟! ولماذا إذا طالبنا بالتدوين في صحيح السيرة الحسينية ـ كما فعل ذلك مؤخراً العلامة الشيخ محمدي الري شهري رعاه الله ـ نكون قد طمسنا سيرة الحسين عليه السلام؟!

إنّ التدوين في الصحيح للناس يعني أن لا تقدّم بين يدي الناس إلا الأخبار الحديثية والتاريخية المعتبرة أو على الأقل غير المتهالكة، لكنّ هذا لا يعني أنّ سائر الأخبار قد أتلفناها، بل هي في متناول الباحثين والعلماء والنقّاد والمحدّثين والمؤرّخين، فمن هو هذا الذي طالب بحذف التراث؟! وأين قال هذا؟ إنّ كل ما نقوله هو المطالبة بأنّ نميّز بين ما يُعرض على الناس بوصفه مكوّناً للثقافة الدينية الشعبية العامّة، وبين ما هو في متناول واهتمام الباحثين والمتخصّصين، فما يُعرض على الناس هو الشيء الذي فرغ الباحثون من إثباته، وما نميل إلى عدم عرضه هو ما لم يثبت، فإذا عاد وثبت الضعيف بقرائن وشواهد فلا مانع من تعويمه على المستوى الشعبي، وإذا ظلّ ضعيفاً فيبقى

في متناول يد الباحثين ليستعينوا به هنا وهناك في أبحاثهم حيث يشكّل فائدةً وقرينة، وإذا ثبت عند بعض العلماء دون بعض فمن حقّ من ثبت لديه أن يسعى لترويجه بين الناس، ومن حقّ من ضعّفه أن يبيّن رأيه في ضعفه ويناقش في اعتماده، وأيّ ضير في ذلك؟ وما علاقة هذا الموضوع ببني أميّة؟ وما علاقته بحفظ التراث وعدم ضياع تاريخنا المذهبي؟

كلّ ما نقوله أنّ ما يراد أن يُلقى لعامّة الناس فليكن الأمور الثابتة عند المدارس التاريخية والحديثية اليوم، وأمّا ما هو ضعيف جدّاً أو تحوم حوله مئات الإشكالات والمناقشات بحيث لا يصمد أمام البحث العلمي عند الأغلب فلا تتداولوه، بل اتركوه لأوساطكم، فهل في هذا الطرح جريمة أم هو شيء منطقي تلقائي تستدعيه الضرورات؟ ومن ثمّ فنقد النصّ الضعيف أو الذي أراه منافياً للمنطق أو لحقائق التاريخ أو للقرآن الكريم أو لقطعيّ السنّة الشريفة أو لمقام الأنبياء والأولياء، ليس عيباً ولا طمساً للتراث، بل بالعكس هو حفر وتجلية وتنقية تفضي في نهاية المطاف إلى أن يكون ما يُطرح على الناس أكثر استحكاماً وأكثر قوّةً في إثباته التاريخي وفي مضمونه الرسالي أيضاً.

ما نريده هو أن نبني ثقافة الناس على ما ثبت أنّه حقيقة لا على ما يُحتمل أنّه حقيقة ولو بنسبة الواحد في المائة. أكتفي بهذا القدر، وللحديث صلة وتتمّة، عسى تأتي الفرص لإكماله إن شاء الله.

التعامل المالي لقرّاء العزاء
في موسم عاشوراء وغيره[1]

◈ **السؤال: نحن في أيّام عاشوراء نشهد تعاملاً ماديّاً مع المجلس الحسيني من قبل الخطباء والرواديد وقراء العزاء؟ ما هو رأي الشرع في هذا الأمر؟ وما هو الموقف من ذلك؟**

◈ الجواب: يرى الفقهاء ـ عدا ما مال إليه أمثال السيد الشهيد محمد الصدر رضوان الله تعالى عليه ـ بأنّ قراءة العزاء ليست من الأفعال المشروطة بقصد القربة إلى الله تعالى، ومن ثم فلا تندرج في الأمور العباديّة ولا تبطل بالرياء، وهذا يعني أنّه لا مانع من أخذ المال عليها، لاسيما مع عدم كونها من الواجبات في المعروف.

نعم يذكر بعضهم أنّه لا ينبغي لقارئ العزاء المبالغة في الزيادة، لكنّ هذا لا يعني التشنيع عليه لو فعل ذلك (انظر ـ على سبيل المثال ـ: السيد محمد حسين فضل الله، فقه الشريعة ٢: ١٥١). هذا لو نظرنا للموضوع من زاوية فقهيّة قانونية حقوقيّة محضة.

أمّا لو أردنا مطالعة هذا الموضوع بمستوى آخر اجتماعي واقتصادي وأخلاقي ونحو ذلك، فإنّ الأمر يستدعي منّا وقفة في الحال المادية لطلاب العلوم الدينية والمشايخ الكرام، وهذه الوقفة تارةً ننظر من خلالها إلى الحال المادية لطالب العلوم الدينية على المستوى الشخصي، وأخرى على المستوى النوعي وعلى مستوى المؤسّسة الدينية عامّة.

المستوى الأوّل: وهو المستوى الشخصي، إنّ حياة طالب العلم

(١) إضاءات ٣:٥٦٨

وعـالم الدين ليسـت على نسـق واحد، فالنـاس تنظر عـادةً إلى من تحتكّ بهـم مـن علـماء الدين والمشـايخ الكـرام وطلبـة العلـوم الدينيـة، إمّا في المدينـة أو القريـة أو عـلى بعـض المسـتويات الأوسـع، وغالباً مـا تصدر النـاس أحكامهـا نتيجـة معلومـات محـدودة تشـكّل انطباعـات، ولا تشـكّل معلومـات إحصائيّـة أو خـبرة في حـال طـلاب العلـوم الدينية عـلى نطـاق واسـع، فقد يـرى النـاس في بلـدٍ مثـل لبنـان مثـلاً أنّ حال غـير واحـد من العلـماء ممتاز حيـث يركب سـيارةً ليسـت بقليلـة الثمن ويعيـش في منـزل ليـس بالفقـير، واسـتهلاكه المـادي عـلى نفسـه وأهل بيتـه ليـس متواضعـاً أبـداً، مـن هنـا تتراكـم هـذه المشـاهدات لتشـكّل قناعـة عامّـة بـأنّ علـماء الديـن مرفّهـون، وفي حـال ممتـازة إلا من شـذّ ونـدر بـما لا يسـاوي الواحـد في المائة.

إنّ النـاس هنـا لا تنظـر إلى المشـايخ على مسـتوى الامتـداد الجغرافي، ففـي حياتهـم لم يشـاهدوا رجـل ديـن باكسـتاني ولا يعرفـون شـيئاً عن أحـوال أغلـب رجـال الديـن في أفغانسـتان والعـراق وإيـران والهنـد وأفريقيـا مثـلاً، لكـن عندمـا ندخـل في مطالعة أوسـع ناتجة عـن تراكم اختـلاط ممتـدّ زمكانيـاً مـع رجـال الديـن، كـما لـو كنـتَ تعيـش في المـدن العلميـة الكـبرى أو كنـت عـلى تمـاس مع مسـاحات واسـعة من طـلاب العلـوم الدينية، فـإنّ رؤيتـك سـتكون مختلفة، فليـس صحيحاً أنّ كلّ علـماء الديـن يعيشـون حيـاةً مرفّهـة، بـل إنّ الكثـير الكثير منهم يعانـون مـن فقـر ومـن مشـاكل اقتصادية حـادّة، هـذا الادّعـاء منّي لا أسـتطيع الآن أن أقـدّم عليـه دليـلاً؛ لأنّـه ناتـج عـن مشـاهدة وتمـاس يمتـدّ لفـترة زمنيـة طويلة، وكذلـك عن احتـكاك بجنسـيات مختلفة من طـلاب العلـوم الدينية، وأيضـاً عن معلومـات لجهات لهـا إشراف على الأوضـاع الماديـة لعلـماء الدين.

الأمـور ليسـت بالضبـط كـما يتصـوّر النـاس، وليسـت بالضبـط في مسـتوى جيّـد في الوقـت عينه، فلـو أتيـت الآن إلى حـوزة علميّة كبرى مثـل مدينـة قـم، يسـتقرّ فيهـا عـشرات الآلاف مـن المشـايخ الكـرام فسـوف تجـد أنّ الرواتـب الشـهرية التي تقـدّم لهم لا يمكـن أن تكفيهم للعيـش، وأنّ الكثيريـن منهـم يعانـون مـن مشـاكل، ولكـنّ النـاس لا تـدري بهـذا، وإنّـما تبنـي انطباعاتهـا بطريقـة مختلفـة تماماً.

عندمـا نتحـدّث عـن أوضـاع المشـايخ الكـرام فنحـن نتحـدّث عن مجتمـع مكتمـل تقريبـاً، أي مجتمـع فيـه طبقـة ثريّـة وأخـرى متوسّـطة وثالثـة فقـيرة، وليس عن مجتمع يتشـكّل مـن واحدة من هـذه الطبقات الثـلاث. وعندمـا يعيـش طلاب العلـوم الدينية ـ سـواء كانـوا في المدن الكـبرى أمّ مـن الذيـن خرجـوا منهـا ـ عندمـا يعيشـون هـذا الوضـع فإنّهـم بـشرٌ كسـائر النـاس. كيف أطلـب من واحـدٍ منهـم أن لا يبحث عـن لقمـة العيـش؟! ألا يحقّ لـه أن يعيش كـما تعيش الناس في مسـتوى مقبـول؟! هـل لأنّـه يريـد نـشر الديـن إذاً فعليـه وأهلـه أن يموتـوا جوعـاً؟! النـاس تتعاطـى مـع هـذه الموضوعـات بطريقـة مجتـزأة وغير علميّـة عـادةً، ولا تـدرس الأسـباب التـي تدفـع لمـا يرونه من مشـاكل سـلوكية واسـتهلاكية في حيـاة بعـض رجـال الدين.

إنّ هـذا الأمـر لـه أسـبابه القهرية عـلى حياة عـالم الديـن، لا يمكنك أن تطالبـه بـأن يعيـش حياتـه في فقـر مدقـع، إنّ عقله وغريزتـه وروحه وضمـيره ومسـؤوليته ذلـك كلّـه يطالبـه بتأمـين لقمـة العيـش، حسـناً فـماذا يفعـل حينئـذٍ؟ لـو كنـتَ مكانـه ما الـذي كنت سـتفعله؟

مـا نجـده أنّ المشـايخ الكرام ـ ولكـي يؤمّنوا لقمة عيشـهم ـ يذهبون نحـو خيـارات، إمّـا كلّ واحـد على حـدة، أو قـد يتمّ الجمـع بين بعض

هـذه الخيارات:

الخيـار الأوّل: مـدّ شـبكة علاقـات مـع بعـض الأغنيـاء والـتردّد عليهـم والتواصـل معهـم، بغيـة أن يؤمّـن الشـيخ بعضـاً ممّـا يكفيـه أو أزيـد ممـا يحتاج إليـه، وهذه ظاهـرة ليسـت بالقليلـة أبـداً، فالأغنياء قد يقدّمـون المـال لبعـض المشـايخ إمّـا حبّـاً لهـم وهديـة أو مـن بـاب دفع الأخمـاس والحقـوق الشرعيّـة، أو مـن بـاب كسـب موقـع اجتماعي من خـلال النفـوذ في العلاقـات مـع رجـال الديـن في القريـة أو المدينـة أو المنطقـة، أو لأسـباب أخـرى.

عندمـا تجد شـيخاً أو طالـب علم يتـودّد بطريقة لا تعجبـك للأغنياء وليـس لديـه تعفّـف أمامهـم فاسـأل نفسـك هـذا السـؤال: لمـاذا يفعل هـذا الشـيخ هـذا الفعـل؟ سـتجد أنّ بعضهـم يفعـل ذلـك عـن تـدنٍّ أخلاقـي وتربـوي وروحـي، لكـنّ الكثيريـن منهـم عندمـا أقدموا على ذلـك لم يكونوا سـيئين، بـل أقدموا لأنّـه لا توجد أمامهـم فرص أخرى تناسـبهم مثـلاً، وشـيئاً فشـيئاً اعتـادوا عـلى هـذه الطريقة، حتـى ذهب التعفّـف، وضاعـت أحيانـاً هيبـة عـالم الديـن أمـام الآخريـن، حيـث نجـد بعـض الأغنيـاء في بعـض المجتمعـات يسـتخفّ بعالم الديـن هذا في محـضره، وهـذا أمـر طبيعـي، إذ من يدفع المـال فله سـلطة ونفوذ على مـن يأخذه.

الخيـار الثـاني: الانخـراط في الانتـماء السـياسي أو الانتـماء المرجعي، بـأن يلتحق هذا العالم أو الشـيخ في سـلك الدولة الدينيـة أو هذا التنظيم السـياسي الدينـي أو ذاك، كـي تتأمّـن بذلـك لـه لقمـة العيـش، وإذا لم يكن منسـجماً مـع التيارات السياسـية فهو يذهـب للالتحـاق بمرجعيّة معيّنـة فيفتـح علاقات وطيـدة مع المرجع نفسـه أو مكتبه ليكـون وكيلاً

لـه أو على صلـة وثيقة بحيث يسـتطيع تأمين بعـض المبالغ المالية لنفسـه نتيجة هـذه العلاقـات القويّة.

وقـد نجـد أحياناً علـماء يذهبون هنا وهنـاك لتأمين مبلغ مـالي يوزّعه هـذا المرجـع أو ذاك أو هـذه الهيئـة العلمائيـة أو تلك، أو هـذا التنظيم أو ذاك، وهكـذا.. لكـي يسـتطيع من خلال تجميـع هذه المبالغ الاسـتمرار في العيش.

الخيـار الثالـث: أن تأتيـه أمـوال الخمـس والحقـوق الشرعيـة نتيجـةً لمسـتواه ومكانتـه وعلاقاتـه، وفي هـذه الحـال يـصرف على نفسـه منها. ولكـنّ أموال الخمـس وأمثاله لم تعد متوفّرةً بشـكل مبـاشر كالماضي، إذ زادت نسـبة التمركـز في هذه الأمـوال بحيث صارت النـاس في غير بلد ومنطقـة تعطي كبـار الشـخصيات أو الـوكلاء في البلد، بـدل أن تعطي صغـار العلماء والمشـايخ وطلبـة العلـوم الدينية.

الخيـار الرابـع: الأوقـاف، وهـذه قضيّـة تحصـل في بعـض الأماكن، حيـث يمنـح الطـلاب مخصّصـات ماليـة نتيجـة وجـود أوقـاف ترجع لطـلاب العلـوم الدينيـة، وغالبـاً ما لا يسـدّ هـذا الخيار حاجـات عدد كبـير مـن المشـايخ، فهـو محـدود نسـبيّاً لـو أخذنـاه عـلى نطاق واسـع. إضافـة إلى كـون الكثـير مـن هـذه الأوقـاف تقـع تحـت سـلطة وكلاء المراجـع أو التيـارات السياسـية والاجتماعيّـة.

الخيـار الخامـس: العمـل المؤسّسـاتي ونحـوه، وهـذا ما ظهـر مؤخّراً حيـث نشـأت الكثـير جـدّاً مـن المؤسّسـات البحثيـة والعلميّـة التـي انخـرط فيهـا الآلاف من المشـايخ الكـرام لتأمين لقمة العيـش من جهة وخدمـة الديـن والفكـر مـن جهـة ثانية.

الخيار السادس: قراءة العزاء، حيث تؤمّن هذه الطريقة جزءاً لا بأس به من احتياجات الشيخ خلال أشهر عدّة، تبعاً لمستوى نجاحه في هذا الأمر.

هذه هي أهم الخيارات، وإلا يبقى الشيخ يعيش وضعاً مأساويّاً كبيراً، وقد رأينا أمثالهم في حياتنا ممّن لا تعرف الناس الكثير منهم، لأنّهم ليسوا تابعين لجهات سياسية ولا مرجعية ولا بالذين يتقرّبون إلى الأغنياء والوجهاء، ولا بالذين يملكون صوتاً يؤهّلهم لقراءة العزاء ونحوه، مع اشتمالهم على أخلاقية التعفّف وغير ذلك.

أنا لا ألوم الكثير من المشايخ الكرام إذا اتخذوا أيّ سبيل من هذه السبل، فإنّ أفضل هذه السبل عندي هو العمل وأخذ المال مقابل العمل، لا أخذ المال مقابل الزيّ الديني حتى لو كنتَ لا تعمل، لكن إذا لم يتوفّر هذا العمل أحياناً أو كانت ظروف هذا الشيخ لا تسمح له ـ تبعاً للمنطقة التي هو فيها ـ بالعمل، فماذا يفعل؟ ستجده مضطرّاً للمطالبة بالمال مقابل قراءة العزاء، ومضطرّاً لكي يتحمّل هذا التيار السياسي أو ذاك الغنيّ أو هذه الجماعة، كي لا تذهب به المواقف نحو الفقر.

هذه ظواهر موجودة، ولا أقول: إنّها الأغلب، بل أقول إنّها ليست بالقليلة، ولهذا لا أحمّل الكثير من المشايخ مسؤولية هذه الأوضاع فهم مغلوب على أمرهم، وهم بشرٌ مطالبون بتأمين لقمة العيش لأهلهم وعيالهم، فيما يظنّ الناس أنّ جميعهم تأتيهم الأموال على طبق من فضّة، وربما من ذهب أو ألماس، دون أن يعرفوا أنّ هذه الأموال إنّما أتتهم بهذه الطريقة أو تلك.

نعم، أنا أحمّل الشيخ أو طالب العلم المسؤولية من أربع نواحٍ:

أولاً: إنّ بعضهم لا يرى من شأنه أن يعمل في مؤسّسة أو مجلّة أو ترجمة أو تحقيق أو أيّ شيء آخر، وهذه ظاهرة موجودة عند بعض المشايخ، وهذا خطأ كبير، فقد صارت فرص العمل خلال العقدين الأخيرين كثيرة جدّاً أمام المشايخ وطلاب العلوم، ولم يعد الأمر كالماضي، لكنّ الكثيرين منهم لا يبحثون عن عمل، ويريدون أن يعيشوا في وضع جيّد دون أن ينخرطوا في وظائف، بل بعضهم يرى ذلك عيباً لا يليق بشأنه. هذه مفاهيم خاطئة موجودة عند البعض.

ولكنّني ـ بحكم احتكاكي بالحوزويّين ـ أجد أنّ هذه الظاهرة بدأت تتقلّص تدريجيّاً منذ حوالي العقدين من الزمن، وهذا مؤشّر طيّب، فصحابة النبي وأصحاب الأئمّة كانوا يعملون، فمنهم البزاز، ومنهم الصيرفي، ومنهم بياع السابري، ومنهم من يملك مالاً يؤجّره أو ضياعاً، ومنهم الزرّاع، ومنهم العاملون في سوق النخاسة، وغير ذلك. ولم نشهد بشكل قويّ ظاهرة التعالي عن العمل أو اعتباره عيباً، لكن على أيّة حال نحن نأمل أن يستمرّ هذا الزوال التدريجي لهذه المفاهيم، لنصل إلى حلول أفضل للقضيّة المالية في الداخل الحوزوي.

فما المانع أن يعمل الشيخ في التدريس في المدارس اللغةَ العربية أو الدين أو القرآن أو التاريخ أو الفلسفة أو غير ذلك؟ وما المانع من التخصّص الجامعي من أوّل الوقت لكي يتوفّر له مثل هذا العمل في لاحق الأزمان؟ إذا كانت بعض الأعمال لا تليق بمكانة الشيخ الاجتماعية، لكنّ الكثير من الأعمال تليق بالتأكيد، أمّا إصرار بعضنا على أن يبقى في بيته ويصلّي في المسجد وعلى الأموال أن تأتيه فهذا غير منطقي، فإذا كنت تقدر على العمل وأخذ المال فلماذا تريد

الإصرار على الصلاة جماعة في المسجد مقابل المال؟ أليس خيار العمل أطهر للقلب؟!

إنّ تصحيح هذه المفاهيم ضروريٌّ للغاية، وحيث يمكن يلزم علينا أن نتحمّل العمل بما ينسجم مع الوظيفة (المشيخيّة) الأصل، في التصديّ للقضايا الدينية للناس، أمّا أن يكون أغلب وقتي يذهب سدى وفي الوقت عينه لا أبحث عن عمل يليق بشأني فهذا غير صحيح وغير منطقي، ويجب السعي لتحطيم المفاهيم الوهمية الطبقيّة التي نصطنعها، والتي وردت النصوص الدينية بعكسها تماماً.

ثانياً: المبالغة في استخدام الطرق الأخرى المشار إليها، فإذا كنتَ بحاجة للعلاقة مع غنيّ كي توفّر بعض المال منه لتعيش، فلا يعني ذلك أن تذهب بهيبتك ومكانتك الاجتماعية، حتى ليقال بأنّ فلاناً الشيخ ملازم لهذا الغنيّ أو ذاك، أو أن يقال بأنّنا لا نراه مع الفقراء بل غالباً ما نراه مع الأغنياء. وإذا كنت مضطراً لأخذ المال على قراءة العزاء ـ وأنا أقرّ لك باضطرارك ـ فلا داعي للمبالغة في المطالبة بطريقة تذهب بماء وجهك بما لك من سمةٍ اجتماعيّة.

بل إنّ بعض الأساليب التي يستخدمها الناس في بعض المناطق أعتقد أنّ من واجب الشيخ الإفصاح والتشدّد فيها، مثل أن يحمل بعضهم وعاءً في ليلة العاشر من المحرّم أو في كلّ ليلةٍ منه لجمع الأموال لقارئ العزاء!! هذه طريقة مذلّة لا ينبغي للناس أن تفعلها مع قارئ العزاء؛ فإنّها تنافي احترامه وتقديره، ولا ينبغي له أن يقبل بهذا أبداً. إذا كنت بحاجةٍ للمال واضطررت لمثل هذه الطرق والخيارات أعلاه، فلا داعي للمبالغة أو الإفراط أو إذهاب ماء الوجه للحصول على المال.

وفي هذا السياق يأتي موضوع المطالبة بمبالغ مالية مذهلة، فيأتيك شخصٌ ليطالب بملغ مالي عالٍ جدّاً مقابل قراءة مجلس عزاء لعشرة أيّام. هذا شيء وإن لم يكن حراماً لكنّه غير مناسب، ويترك صورةً سلبية أمام الناس عن جماعة علماء الدين، بل ويذهب بماء وجه هذا الشخص نفسه، ويجرّ عليه التهمة والغيبة والبهتان والقيل والقال.

طبعاً، ليس قراء العزاء لوحدهم في هذا، بل هناك شرائح اجتماعية نجد أنّ طبيعة عملها هي البُعد الإنساني، لكنّ طريقة أخذها للمال تبتعد عن الروح الإنسانية، فالطبّ مثلاً مهمّة إنسانيّة مليئة بالرساليّة والإنقاذ والإعانة، لكنّنا نجد بعض الأطباء ـ بل ربما كثير منهم ـ يبالغ في الأموال التي يأخذها مقابل خمس دقائق للنظر في حال المريض، أو يبالغ في المال الذي يأخذه مقابل عمليّة جراحية عادية قد تأخذ منه ساعةً أو ساعتين! هذه الظواهر المتناقضة لا نجدها عند المشايخ أو قراء العزاء فقط، بل كثير من شرائح المجتمع الأخرى أيضاً من هذا النوع، وكما يكون الطبيب بحاجة إلى المال لكي يعيش، كذلك قارئ العزاء، وكما هذه مهمّة إنسانية نبيلة ورقيقة، كذلك هذه مهمة دينية وروحية سامية، فالكلّ مصاب بهذا الداء تقريباً، ولا أجد داعياً للمبالغة في قضية قرّاء العزاء أو المشايخ مع عدم أخذ الظاهرة العامّة في مجتمعاتنا بعين الاعتبار. وعليه فينبغي لرجل الدين أن يتنبّه لهذا.

وفي هذا السياق، تأتي ظاهرة التنافس الدنيوي التي يقع فيها البعض ولو القليل، فتجدهم متنافسين على نوعيّة السيارات التي يريدون ركوبها، أو متنافسين على نوعيّة الرخام الذي ينبغي لهم وضعه في المنزل، أو متنافسين على بعض أنواع الملابس لزوجاتهم

وأبنائهم وهكذا. إنّ انتشار ظاهرة التنافس السلبي هذه، والتي تشارك فيها بعض زوجات رجال الدين أمرٌ غير صحيّ، بل يجب معالجته ومواجهته تربويّاً وأخلاقيّاً، حتى لا ينجرف الإنسان نحوه وهو لا يشعر، وكثير من رجال الدين يقعون في هذه المشاكل عن طيب نفس وحُسن نيّة ودون انتباه في البداية.

ثالثاً: القناعة وترشيد الاستهلاك، فطالب العلم عندما دخل في هذا السلك فقد وطّن نفسه على التضحية والعناء والتحمّل، فهذا طريق الأنبياء والصلحاء والعاملين، فعندما يفكّر في استهلاكه الشخصي، فعليه أن يقبل بالتقشّف النسبي وبالتواضع في العيش عندما لا تكون لديه الإمكانات المادية الممكنة.

إنّني ضدّ القول لرجل الدين: لا يصحّ أن يكون لك هذا، بل أنا مع القول له: من أين لك هذا؟ فإذا كان رجل الدين يحصل على المال بطريقة وظيفيّة شريفة ومتعارفة فلا يحقّ للناس أن تطالبه بأن يكون فقيراً، فبعض رجال الدين هم بالأصل أغنياء ومن أسرٍ غنيّة، فلا ضرورة لأن نطالبهم بالعيش عيشة الفقراء دوماً، ما دام المال مشروعاً وناتجاً عن تعبه وكدّ يده، إنّما السؤال هو: من أين لك هذا؟ فإذا أخذته من طريق غير لائق يأتي الإشكال هنا، أمّا إذا أخذته من طريق لائق فلا ضير عليك، فلم ينصّ القرآن والسنّة على لزوم أن يعيش كلّ شيخ حياةً فقيرة، نعم عليه أن لا يعيش حياة بذخ وإسراف وتبذير تخرجه عن جادّة الشرع، لكن لو توفّر المال في يده بطريقة شرعيّة ناتجة عن عمله، فأيّ مانع من أن تكون له الدار الواسعة والمركب الهنيّ اللذين حثت النصوص على أن يمتلكهما الإنسان؟!

إنّ ترشيد الاستهلاك من أعظم المهمّات التي يطالب المصلحون اليوم في مجتمعاتنا بالحديث عنه، فقد بلغ الإسراف والبذخ مبلغاً عظيماً بين الناس عامّة، وفي جانبهم فقراء جائعون أو مرضى لا قدرة لهم على الذهاب للمستشفى.

ترشيد الاستهلاك موضوع طويل يحتاج أن نتكلّم فيه بشكل مستقلّ؛ لأنّ الكثير من مظاهر حياتنا بات غير منطقي، لكن ما يهمّني هنا هو رجال الدين الذين يطالَبون ـ عندما يكونون في وضع حرج مادّيّاً ـ أن يرشّدوا استهلاكهم، لا أن يصرفوا بطريقة عشوائيّة على أساس أنّ الأخماس سوف تأتي، أو أنّنا يمكن أن نؤمّن المبلغ المالي من هذا الوكيل أو ذاك، أو من هذا الغنيّ أو ذاك، أو بهذه الواسطة أو تلك، أو باسم هذا المشروع الديني أو ذاك، أو من هذا الوقف أو ذاك أو..

رابعاً: الاستقلال الفكري والديني، فمن المعلوم أنّ التبعية الاقتصادية تتبعها تبعيّة فكريّة وبيانية ودينية، وأنّ الاستقلال الاقتصادي يتبعه استقلالٌ فكري وثقافي، لهذا ينبغي لرجل الدين أن يسعى دوماً لكسب استقلاله الفكري واستقلاله في مواقفه، وحريّته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ففي بعض الأحيان نجد أنّ بعضهم عندما يصبح مورد عيشه هو هذا الغني أو ذاك، أو هذا التيار السياسي أو ذاك، أو هذه المرجعيّة أو تلك.. يفقد تماماً استقلاله الفكري ويسدّ باب أمر هذا الغني بالمعروف ونهيه عن المنكر سدّاً تامّاً، فلا تجده يتفوّه بأي نقدٍ له خوفاً من وقف تدفّق النقد والمال عليه منه، وهكذا الحال في مورد كون قوت نفسه وعياله من هذا التنظيم السياسي أو ذاك، ومن هذا

التيار الديني أو ذاك، وهذا أمرٌ غير سليم، فلابدّ أن يحمل رجل الدين همّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دوماً حتى لأولئك الذين يغدقون عليه بمال عيشه وقوت سنته، مستخدماً ما يمكن من الطرق الهادئة، ولهذا نقول دوماً بأنّ عليه تأمين رزقه من مواضع متعدّدة حتى لا يكون أسيراً لموضعٍ واحد؛ لأنّ تحوّل رجل الدين إلى مجرّد موظّف في مؤسّسة هذا المرجع أو ذاك، أو في هذا التيار السياسي أو ذاك، أو عند هذا الغني أو ذاك يفقده شخصيّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والأنكى من هذا يصبح من يتحكّم بأمره وتوجيهه في القضايا الدينية مجرّد أشخاص لا فقه لهم في الدين ولا علم لهم بالفكر، فيفرضون عليه الحديث في هذا الموضوع دون ذاك، ويلزمونه بترك الأمر بالمعروف في هذا الملفّ دون ذاك إلزاماً غير مباشر، فرجل الدين يتحمّل هنا بعض المسؤوليّة في أن يحاول أن يفتكّ من هذا الوضع ولو كان رزقه عبر هذا السبيل، وأن لا يستسلم نهائيّاً لهذا الأمر حيث يمكنه ذلك، إذ لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها.

هذه هي القضايا الأربع التي يمكن أن يؤاخذ عليها رجل الدين اليوم، وليس أصل أنّه يطلب المال أو غير ذلك. هذا على المستوى الفردي لآحاد رجال الدين.

المستوى الثاني: وهو المستوى النوعي والمؤسّسي، إنني أعتقد بأنّ أبرز من يتحمّل مسؤولية الأوضاع المالية التي يعيشها رجال الدين هو:

١. النظام الذي يحكم المؤسّسة الدينية ككلّ.

٢. بعض النافذين الذين يسعون ـ من حيث شعروا أو لم يشعروا ـ لتكريس هذا الوضع؛ لأنّ فيه مصلحتهم.

لست أريد الآن أن أتحدّث عن القضية المالية عموماً في المؤسّسة الدينية، فهو موضوع تحدّث فيه الكثيرون، لاسيما السيد محمد باقر الصدر والشيخ مرتضى مطهري وغيرهما، وقدّمت معهما وبعدهما طروحات عدّة لتحسين الأوضاع، وحصل تقدّم ملحوظ ينبغي الإقرار به وشكر الله عليه، لكن لم تحصل القفزة النوعية المنشودة رغم مرور نصف قرن على تلك الطروحات التي قدّمت. هذا موضوع طويل في كيفية تنظيم المال عند المرجعيّات الدينية والحديث عن المرجعيّة الرشيدة والمرجعية المؤسّسة وغير ذلك ممّا قيل ويقال إلى يومنا هذا، وهناك في هذا المضمار سلسلة من المفاهيم المعطّلة التي يفترض التخلّص منها، ولا مجال للحديث عنها الآن.

لكن ما أريد قوله هو أنّ هذا الوضع الذي فرض على آحاد رجال الدين حتى جرّهم إلى ما جرّهم إليه، وبرغم تحسّن الأوضاع في غير موقع ومكان، لكن يبقى الوضع دون المستوى المطلوب، ولابدّ لنظام المؤسّسة الدينية من إحداث تغيير كبير في المسألة المالية، وأكتفي هنا بالإشارة إلى ضرورة تأمينها فرص عمل لطلاب العلوم الدينية، فإنّ خلق هذا المناخ لهم هو الكفيل بإدخالهم في نسق الإنتاج المالي الطبيعي في عالم الوظيفة والحصول على المال، إلى جانب تفتيت المفاهيم المثبّطة عن ذلك كما أشرنا سابقاً، وهذا ما شهدنا تطوّراً كبيراً فيه خلال العقدين الأخيرين، لكنّه يحتاج إلى بسط وتوسعة على امتداد العالم الإسلامي وغيره حيث ينتشر رجال الدين عموماً.

وقد ذكرت الأحاديث الشريفة وفتاوى الفقهاء بأنّ القرض أفضل

مـن الصدقـة، ويجب التفكير باسـتخدام هـذا المنهج مع طـلاب العلوم بعـد الانتهـاء مـن المرحلة الدراسـيّة، فـلا نعوّدنّـه على الأعطيـات، بل عـلى تأمـين فرص عمـل أو قـروض ليعيـش المسـؤولية الإنتاجيـة التي يعيشها سـائر الناس.

وعليـه، فالـكلّ مسـؤول عـن معالجـة هـذه الظاهـرة، وليـس آحـاد المشـايخ وقـرّاء العـزاء فقط:

١. النـاس عمومـاً، بترحيبهـا بعمـل رجـل الديـن وعدم اعتبـار ذلك منقصـة، بـل هـو مفخـرة وتواضـع وقيمـة مضافـة لـه، والسـعي مـن قبـل النـاس للمزيـد مـن الاحـترام الاجتماعـي لرجـل الدين ليـس بالمجاملات، وإنّما بمسـاعدته عـلى التواضع والعمـل والعفّة والتمنّـع والكبريـاء الإيجـابي ونحو ذلـك، وتقديم المال لـه ـ عندما يـراد تقديمـه ـ بطريقـة تليق به وتحفظ مـاء وجهه، وشـعورهم بأنّ عـالم الدين هـو مسـؤولية اجتماعيّـة أيضاً.

٢. المؤسّسـة الدينيـة، بتفتيـت المفاهيـم المثبّطـة عـن الإنتـاج الطبيعـي لرجـل الديـن حيـث يمكن، والسـعي لتأمـين فرص عمل لـه تليق بشـأنه ولا تدفعـه للأخـذ مـن النـاس أو لإراقة مـاء وجهـه وأهله هنـا وهناك.

٣. رجـل الديـن نفسـه، فعليـه السـعي للتقليـل مهـما أمكنه مـن أخذ أعطيـات الخمـس والـزكاة، والبحـث عـن فـرص عمـل حيـث يمكنـه، ونحـن لا نقـول بـأنّ الجميـع يمكنـه تأمـين فـرص عمل، بـل نقـول: (حيث يمكـن). إضافة إلى ترشـيد الاسـتهلاك وتوازن الـصرف المالي.

نسـأل الله التوفيـق لـكلّ العلـماء والعاملـين وطلبـة العلـوم الدينيـة الذيـن شرّفهـم الله بهـذه الخدمـة النبيلـة، لبلـورة نظـام مـالي أفضـل في الإنتـاج والاسـتهلاك، إنّـه قريـب مجيـب.

حكم الإزعاج بالأصوات العالية، وماذا عن المساجد والحسينيّات؟[1]

◈ **السؤال: يمارس كثير من الناس الفوضى والإزعاج الصوتي للآخرين، لاسيما للجيران، حتى أنّ بعض المساجد والحسينيات تبالغ في ذلك، ما هو الموقف الإسلامي من هذه الظاهرة؟**

◈ الجواب: هذه من الظواهر السلبية جدّاً التي تعاني منها الكثير من بلداننا العربية والإسلاميّة، ولعلّها تعبير عن قلقنا وخوفنا، فلا نحبّ الصمت ولا نريده، لأنّه مقلق ومخيف، حتى أنّنا عندما نكون لوحدنا صامتين فإنّنا نحاول أن نستمع إلى صوت المذياع أو إلى أغنية كي لا يبقى الصمت، كأنّما هناك خوفٌ منه أو إدمان للأصوات العالية، كما كان يقول العلامة الراحل السيد محمد حسين فضل الله رحمه الله.

بل تجد بعضاً من الخطباء السياسيّين والدينيين يدمنون الصراخ على المنابر بطريقة مثيرة جدّاً بحيث تخلق في وعي الجمهور أنموذج الإنسان المتوتر والقلق والغاضب، الأمر الذي يترك أحياناً أثراً سلبيّاً في نمط عيش حياة الكثير من الناس.

والأسوأ من هذا كلّه تلك الثقافة التي باتت تروج في بعض المناطق (لبنان مثلاً) من إطلاق الرصاص عقب ظهور زعيمٍ سياسي أو مذهبي أو انتهاء خطابه، الأمر الذي أدّى في بعض الأحيان إلى تضرّر ممتلكات الآخرين، بل والأرواح. وقد لعب نمط الحياة العصرية دوراً كبيراً في التلوّث الصوتي في فضائنا، وترك آثاراً

(١) إضاءات ٣: ٥٨١

سلبية على نفوسنا وأرواحنا وعقولنا وأجسادنا.

ولا فرق في سلبيّة هذه الظاهرة بين أن تصدر من الناس بأبواق سياراتهم أو الراديو أو أجهزة ضبط الصوت، أو عند كلّ مناسبة أو نجاحٍ في المدرسة أو الجامعة، أو عروس تزفّ إلى منزل زوجها، أو حاجّ أو زائر يرجعان إلى أهلهما، أو انتصار سياسي أو عسكري أو غير ذلك، وبين أن يصدر هذا الأمر من المساجد أو الحسينيات أو المسيرات الدينية، إذ ينبغي حتى الإمكان تجنّب الإزعاج للآخرين بما يؤذيهم.

وليس لأنّك تذيع صوت القرآن الكريم فهذا مبرّرٌ لك لإطلاق الصوت من مئذنة المسجد عالياً لمدّة طويلة قبل أذان الفجر مثلاً، فإنّ الناس قد لا تتحمّل مثل ذلك، وعلينا أنّ نحبّب الناس بالدين ولا نبغضهم به، وليس اعتراض الناس ناشئاً عن كرهٍ للدين بالضرورة، بل عن حالة طبيعية حيث تتنوّع أعمالهم ومشاغلهم فيرجعون متعبين للراحة، فلا يصحّ ـ بحجّة إذاعة الحقّ ـ التنكيل بالناس بهذه الطريقة.

وقد تحدّث غير واحد من العلماء عن سلبيّة هذه الظاهرة وقدّموا توجيهات دينية بشأنها، وأنا أنقل لكم بعض النصوص، لنشرها بين الناس، علّنا نساعد في بناء حياة أفضل وفي نظام حياة اجتماعيّة أكثر حضارةً وتقدّماً ورفعة إن شاء الله:

١. (السيد علي السيستاني): «هل يجوز إزعاج الجار اليهودي، أو الجار المسيحي، أو الجار الذي لا يؤمن بدين أصلاً؟ الجواب: لا يجوز إزعاجه من دون مبرّر». (السيد السيستاني، فقه الحضارة: ١٧٥).

فلنتأمّل هذا النصّ الرائع الذي لا يجيز إزعاج حتى الذي لا يؤمن بدين أساساً، ما لم نملك مبرّراً مقبولاً.

وجاء في نصّ آخر له حفظه الله: «حقّ الجوار قريب من حقّ الرحم، يستوي في ذلك الحقّ الجار المسلم والجار غير المسلم، فقد أثبت رسول الله (صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم) للجار غير المسلم هذا الحقّ، حيث قال: «الجيران ثلاثة: فمنهم من له ثلاث حقوق: حق الإسلام، وحقّ الجوار، وحقّ القرابة، ومنهم له حقّان: حقّ الإسلام، وحقّ الجوار، ومنهم من له واحد: الكافر له حقّ الجوار» وقال ﷺ: «أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً»، وقد أوصى الإمام علي الإمامين الحسن والحسين بالجيران بعدما ضربه اللعين ابن ملجم، فقال عليه السلام: «الله الله في جيرانكم، فإنّهم وصية نبيّكم ما زال يوصي بهم حتى ظننّا أنّه سيورّثهم»، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ملعون ملعون من آذى جاره»، وقال عليه السلام: «ليس منّا من لم يحسن مجاورة من جاوره»..». (السيد السيستاني، الفقه للمغتربين: ٢٠٤).

٢. (الشيخ جواد التبريزي): «هل يحرم تزيين سيارة الزفاف واستعمال المنبّه الصوتي (بوق أو هرن) في الشوارع، سواء يشرط أن يكون موجباً للريبة أو يزعج الناس؟ الجواب: في الفرض المذكور هذا ينافي العفاف والستر المطلوبان من المرأة، والله العالم» (الشيخ جواد التبريزي، صراط النجاة ٥: ٣٨٥).

٣. (السيد محمّد الشيرازي): «..ورد في الشريعة استحباب خفض الصوت، وقد وردت روايات كثيرة في هذا الجانب، قال رسول اللهَّ (صلى اللهَّ عليه وآله وسلم) : «يا أبا ذر، اخفض صوتك عند

الجنائز وعند القتال وعند القرآن». وعن الإمام علي عليه السلام: إنه كان إذا زحف إلى القتال يأمر الناس بخفض الأصوات والدعاء. وفي رواية أخرى عن ابن عباس يصف أمير المؤمنين عليه السلام قال: «ويقول لهم معاشر الناس استشعروا الخشية وأميتوا الأصوات وتجلببوا بالسكينة». وفي حديث آخر إنه عليه السلام قال لأصحابه عند البراز: «وعضّوا على الأضراس فإنه أنبأ للسيوف من الهام وأربط للجأش وأزكى للقلوب، وأميتوا الأصوات فإنه أطرد للفشل وأولى للوقار». وفي رواية أخرى: «وعضّوا على الأضراس فإنّه أنبأ للسيوف عن الهام وغضّوا الأبصار ومدّوا جباه الخيول ووجوه الرجال وأقلّوا الكلام فإنّه أطرد للفشل وأذهب بالوهل»...». (السيد محمد الشيرازي، فقه البيئة: ١٠٦ ـ ١١٦، حيث استعرض بحثاً مفصّلاً هناك).

٤. (السيد روح الله الخميني): «لا يخفى أنّ أمر الجار شديد، وحثّ الشرع الأقدس على رعايته أكيد، والأخبار في وجوب كفّ الأذى عن الجار وفي الحث على حسن الجوار كثيرة لا تحصى، فعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»، وفي حديث آخر أنه صلى الله عليه وآله أمر عليّاً عليه السلام وسلمان وأبا ذر ـ قال الراوي: ونسيت آخر وأظنّه المقداد ـ أن ينادوا في المسجد بأعلى صوتهم بأنه لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه، فنادوا بها ثلاثاً»، وفي الكافي عن الصادق عن أبيه عليهما السلام قال: «قرأت في كتاب علي عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كتب بين المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من أهل يثرب أنّ الجار كالنفس غير مضارّ ولا آثم، وحرمة الجار كحرمة أمة»، وروى الصدوق بإسناده عن الصادق عن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من آذى جاره

حـرم الله عليـه ريح الجنـة ومأواه جهنـم وبئس المصـير، ومن ضيّع جـاره فليـس منّـي»، وعن الرضـا عليه السلام: «ليـس منّا مـن لم يأمن جاره بوائقـه»، وعن الصـادق عليه السلام أنّه قـال والبيت غاصّ بأهلـه: «اعلموا أنّـه ليـس منّا من لم يحسـن مجـاورة من جـاوره»، وعنه عليه السلام قـال: قال رسـول الله صلى الله عليه وآله: «حسـن الجـوار يعمر الديـار وينسـئ في الأعمار»، فالـلازم على كلّ مـن يؤمن بالله ورسـوله واليوم الآخـر الاجتناب عـن كلّ مـا يـؤذي الجـار وإن لم يكن ممـا يوجب فسـاداً أو ضرراً في ملكـه، إلا أن يكـون في تركـه ضرر فاحش على نفسـه، ولا ريب أنّ مثـل ثقـب الجـدار الموجب لـلإشراف عـلى دار الجـار إيـذاء عليه، وأيّ إيـذاء، وكـذا إحـداث مـا يتأذّى من ريحـه أو دخانـه أو صوته أو مـا يمنـع عـن وصول الهـواء إليـه أو عـن إشراق الشـمس عليه وغـير ذلـك». (السـيد الخميني، تحريـر الوسـيلة ٢: ٢٠٣ ـ ٢٠٤).

٥. (السـيد محمـد حسـين فضـل الله): بعد حديـث مطوّل عن مسـألة الصـوت وارتفاعـه يقول رحمـه الله: «..وينبغـي أن يعلم من خلال مـا قدّمناه أن شـجب الإسـلام للأصـوات العاليـة دون ضرورة لا يقتـصر عـلى مضمـون دون مضمـون؛ لأنّ القضيـة قضيّـة طبيعـة الصـوت لا قضيـة المحتـوى، فـلا يفـرق بـين القـرآن وغـيره كـما يظـنّ بعـض السـذّج أنّ لهم الحـقّ أن يرفعـوا الجهاز الصـوتي الذي يملكونـه إلى أبعـد حـدّ إذا كان الصـوت يتضمّـن قرآنـاً أو موعظة أو غـير ذلـك؛ لأنّ الديـن يفرض عـلى الآخريـن أن يخضعوا لذلك ويستسـلموا. إنّ هـذا الظـنّ خطأ؛ لأنّ الإسـلام يريد للإنسـان أن يسـتمع للقـرآن وللمواعـظ بـروح هادئة خاشـعة، ومـن الطبيعي أنّ ذلـك لـن يتحقّـق إذا كان الصـوت ينطلـق بصـورة مزعجة تثير الأعصـاب وتبعـث عـلى التوتـر..». (مفاهيم إسـلامية عامّـة: ٣٥ـ٣٦).

٦. (السيد علي الخامنئي): «ما هو رأيكم بالنسبة لاستمرار مسيرة مواكب العزاء في ليالي شهر محرّم إلى منتصف الليل ويستخدم فيها الطبل والمزمار؟ الجواب: انطلاق مواكب العزاء على سيّد الشهداء وأصحابه عليه السلام والمشاركة في أمثال هذه المراسم الدينية أمرٌ حسن جدّاً ومطلوب، بل من أعظم القربات إلى الله تعالى، ولكن يجب الحذر من أيّ عمل يسبّب إيذاء الآخرين أو يكون محرّماً في نفسه شرعاً». (أجوبة الاستفتاءات ٢: ١٢٦، س٣٧٢).

وبناءً عليه، فإنّ من المطلوب منّا جميعاً ـ أفراداً وجمعيّات ومؤسّسات دينية وغير دينية ـ أن نسعى لخلق فضاء صوتي صحّي يمكن أن نعيش فيه حياةً أفضل، ونبني فيه شخصيات أكثر اتزاناً ووقاراً، ومن المطلوب من علماء الدين والخطباء تناول مثل هذه الموضوعات التي تواجهها الناس يومياً لتوجيه الشارع المتديّن نحو ممارسة حياة أخلاقيّة أفضل من الناحية الاجتماعيّة، لنتمكّن من صنع مجتمع متدين متميّز من هذه النواحي عن غيره تميّزاً إيجابيّاً إن شاء الله.

هذا، وإذا كان بعض الناس بحاجة للصراخ والضجيج أحياناً لتنفيس الغضب والضغط الحياتي، فإنّه يمكن تخصيص أماكن بعينها لذلك تستطيع تأمين مناخ مناسب لهم، وهذا ما يرتبط بالجهات المعنيّة بالشأن النفسي والتربوي العام.

البُعد الاجتماعي في رفع الأدعية
و.. عبر مكبّرات الصوت[1]

◈ **السؤال: تنتشر في مجتمعنا ظاهرة قراءة الدعاء عبر مكبّرات الصوت، حيث الصوت يكون مسموعاً عبر المكبّرات الصوتية الخارجيّة للقريب والبعيد، فهل هذه الظاهرة إيجابيّة، وخاصّة أنّ البعض يقبل بل ويحثّ عليها متذرّعاً بأنّها تخلق أجواءً روحانيّة في المجتمع؟ وما وظيفة الذي يصله صوت هذا الدعاء بحيث لا يكون مستهتراً أو متهاوناً في هذا الأمر، وخصوصاً إذا كانت له القدرة على التغيير؟**

◈ الجواب:

هناك أكثر من نقطة:

أ. إنّ هذه الظاهرة هي ظاهرة صحّية وجيّدة، وأنا أوافق على أنّها تخلق جوّاً طيباً في المجتمع، مثل الأذان وقراءة القرآن والزيارات وغير ذلك، فإنّ ارتفاع المآذن بصوت الأذان ظاهرة اجتماعيّة حسنة، ولها تأثير نفسي وروحي، لا سيما على الأجيال الصاعدة التي تتربّى في ظلّ مناخ اجتماعي يعيش القضيّة الدينية، وهذا ما يلمسه الكثير من الإخوة الذين يعيشون في بلدان غير إسلاميّة بحيث لا يسمعون هذه الأصوات أبداً فيعيشون حنيناً لها، حيث تجد بعضهم يعيش ذكرى هذا الجوّ الإيماني الطيّب الذي تربّى عليه في البلدان الإسلاميّة. ولا ينبغي لنا أن نعيش عقدةً فيما نفعل، حيث نرى بعض المؤمنين يشعرون وكأنّهم جسم منبوذ في المجتمع، وأنّ عليهم في كلّ شيء أن يتراجعوا

(١) إضاءات ٤: ٥٤٨

حتى يرضى القلّة من الناس عن أفعالهم!

ب. هذا الذي قلناه أعلاه مشروط بعدم إزعاج الناس أو إلحاق الأذى والضرر بهم، وهذا يختلف من منطقة إلى أخرى، ويختلف باختلاف أدائنا في المساجد والأماكن الدينية بحيث نحبّب الناس بهذا الجوّ الإيماني، ولا نثقل عليهم، وهذا يحتاج إلى سياسة حكيمة في هذا المضمار، أمّا لو كان رفع الأصوات موجباً لأذيّة الناس والضرر بها فهذا أمر مرفوض، وهو ما ترتكبه بعض الجهات المشرفة على المساجد أو الأماكن المقدّسة أو الحسينيات، بحيث ينفّرون الناس من الدين بدل أن يكونوا عنصر جذب لهم، فالدين يحتاج للرفق والليونة لا للشدّة والخشونة والقهر والفرض. وقد سبق لي أن أجبت بالتفصيل عن ظاهرة إزعاج الناس بمكبّرات الصوت في المسيرات والحسينيات والمساجد والأماكن الدينية، وبيّنا هناك سلبيّة هذا الأمر والمواقف الشرعيّة منه فليراجع (إضاءات في الفكر والدين والاجتماع ٣: ٥٨١ ـ ٥٨٧، رقم السؤال: ٥١٨).

ج. علينا أن نعمل على إقناع الناس بأن يتقبّلوا هذا الجوّ الصوتي المتوازن والمعقول وغير المفرط وغير المؤذي، فبعض الناس ليست مشكلتهم مع الصوت بقدر ما هي مشكلتهم مع كونه صوتاً دينيّاً، ولهذا تراهم لا يتأذّون من الأغاني ومراكز الحفلات الصاخبة رغم أنّ الأذى فيها قد يكون أكبر في بعض الأحيان، وهنا علينا أن نعمل بلينٍ ورفق لترطيب نفوس الناس وتهيئتها لتقبّل أن نخلق هذا الفضاء الصوتي الإيماني بشكل متوازن وغير مؤذٍ، فإن قبلوا فبها ونعمت، وإن لحقهم الأذى كففنا

عـن أذيّـة الناس.

د. لـو ارتفـع الصـوت إلى الخـارج لم يجب عـلى الآخرين ممّـن يصلهم الصـوت أن يشـاركوا معـه، ولا يعدّ عدم مشـاركتهم اسـتهتاراً إلا في حـالات قليلـة ونادرة تحتاج لتأمّـل وتدقيق، ولكن لـو لم يتمكّن الإنسـان مـن المشـاركة في المسـجد ـ وهي المشـاركة الأفضـل ـ فإنّ بإمكانـه أن يشـارك مـع الصوت الآتي مـن المسـاجد، ويكون ذلك منـه فعـلاً طيبـاً، وإلا فليـس عليه بـأس ولا يكـون قد فعـل حراماً أو قبيحاً.

القسم الرابع
كلمات واقتباسات

أولاً: كلمات

العقل البراغماتي والعقل المبدئي[1]

١٥ـ ١١ـ ٢٠١٢م

يوماً ما لم أفهم بعقلي البراغماتي (فقه المصلحة القائم على نظرية التزاحم) تصرّفات بعض الشخصيات الكبرى كالإمامين علي والحسين عليهما السلام، لكن عندما عايشت تجارب الانحراف الأخلاقي المجتمعي الذي يقع داخل الوسط الديني بحجّة المصلحة والضرورات، أدركت أنّ بعض الخطوات المنتفضة على الواقع والمتصادمة معه لا تحتاج لأن تكسب نتائجها المصلحيّة، بقدر ما يكفيها أن تهزّ الوجدان، وتخلق شعوراً بعدم الرضا عن الأنا الفردية والاجتماعية.

يجب أن لا يبقى الانحراف متنعّماً بسكينة باطنية ومتحرّراً من عذاب الضمير، هذه خطوة مهمّة للتغيير المستقبلي، حتى لو لم يقع التغيير أساساً في لحظتك.

(١) إضاءات ٢: ٥٧٧

دعوة للإماميّة للانفتاح على زيد الشهيد[1]

١٦ ـ ١١ ـ ٢٠١٢م

بلغت الثورة الحسينية أكبر مدى لها في العصر الاسلامي الأوّل مع الإمام زيد بن علي بن الحسين الشهيد (١٢٠ أو ١٢٢هـ)، الذي قتله الأمويون وصلبوه ونبشوا قبره عقب ثورته عليهم في الكوفة.

إنّني أقدّم اقتراحاً للطائفة الإماميّة أن يقرؤوا هذا الرجل ومذهبه جيداً، فهو مهم للغاية، وإلى مذهبه ومذهب الإسماعيلية ترجع أكبر دول الشيعة في القرون الهجرية الأولى كالبويهيين والفاطميين، الذين شكّلوا نقاطاً مضيئة في التاريخ الإسلامي.

وقد كانت علاقات الإمامية والزيدية المنتسبين إليه ممتازة حتى القرن الرابع الهجري، لكنّه وتدريجياً أخذت بالتلاشي، كان ذلك برأيي خطأ تاريخياً لا أدري من يتحمّله.

أدعو الإمامية للعودة للانفتاح على المنجز الزيدي وقراءته بتمعّن، متعالين عن الخلاف المذهبي، وكذلك أدعوهم للاهتمام بالتراث الديني المدفون في اليمن فهو من أعظم التراث. إنّها دعوة صادقة أتمنّى أن تبدأ بأن نعطي هذا الرجل بضع دقائق على الأقل في موسم عاشوراء كلّ عام للحديث عنه ونعيه.

طبعاً أعرف أنّ هناك بعض الخلاف في شرعية ثورته لكنّ أغلب علماء الإماميّة المتأخّرين أخذوا بالتوجّه نحو مدح ثورته وتوثيقه واحترامه وتنزيهه عن المقاصد السيئة.

---

(١) إضاءات ٢: ٥٧٧

مجالس العزاء وحالة بعض العقلانيين[1]

١٩ ـ ١٢ ـ ٢٠١٢م

هناك أشخاص عقلانيّون ومتعلّمون ومثقفون أخذوا يأنفون من حضور مجالس العزاء؛ لأنّهم يرون في غالبيّتها الساحقة الخرافة أو التكرار أو فقدان المضمون الجديد، وقد صار هؤلاء شريحة كبيرة متناثرة في المجتمع، أحببت أن أنقل لكم حالتهم، فماذا تقترحون عليهم؟ وهل هم مصيبون أم مخطئون؟ كيف لهم أن يعيشوا هذه الذكرى بالوجدان وقد اختلط وجدان هذه المجالس عندهم بعدم الواقعيّة، فلا يستطيعون البكاء إلا إذا تنازلوا عن نقدهم العقلي للمضمون الملقى عليهم في هذه المجالس، ولهذا تبلورت لديهم حالة نفسية سالبة؟ ماذا تقولون؟

(١) إضاءات ٢:٥٧٨

الحاجة لتوثيق ما قيل في الحسين عند غير المسلمين[1]

٢٢ـ ١١ـ ٢٠١٢م

مقترح متواضع

كنت أحبّ أن أقوم بهذا المقترح لكنّ وقتي لا يسعفني، وربما فعله أحد من قبل ولا علم لي. لهذا أقترح أن يقوم بعضٌ من طلاب العلوم الدينية أو الباحثين والمهتمّين والمتابعين، باستقراء كلّ المواقف التي قيلت في الإمام الحسين عليه السلام من قبل غير المسلمين، كالمسيحيين واليهود وأهل الديانات الوضعية كالبوذية وغيرها. وكذلك ما قاله منهم الزعماء والسياسيون والإعلاميّون والمفكّرون والفلاسفة الكبار، ويخرج ذلك على شكل كتاب أو مقالة، لكن موثقة، بحيث تبيّن لنا مصدر المعلومات الموثوق، وهل حقّاً ما ينقل عن غاندي وشكسبير وتشرشل و.. من مقولات ومواقف رائعة حول الإمام الحسين أم لا؟ ومن أين عرفنا؟ وما هي مصدر معلوماتنا في هذا السياق؟ ومن أوّل من نقل لنا المعلومات الأصليّة الخام في هذا الصدد؟

إنّ تدوين كتاب أو دراسة جامعة مستقرئة في هذا المجال يمكن أن يكون مفيداً للمنبر والخطابة الحسينية وللفكر والثقافة الدينية عموماً، وحامياً للمجالس الحسينية من التشكيك والنقد إن شاء الله.

(١) إضاءات ٢: ٥٧٩

رسالة لأخي المطبّر[1]

٢٥ـ ١١ـ ٢٠١٢م

أخي المطبّر

سأظلّ أدافع عن حريّتك في التطبير (ضرب الرأس بالسيف)، لن أقبل بأن يمنعك أحد من فعلك هذا ما دمت تملك وجهة نظر، لن أرضى بأن يزجّك أحد في السجن، أو يرى فعلك جريمة لا تغتفر. لن أسمح لنفسي بأن أخرجك من الدين أو المذهب، وسأدافع عنك ضدّ كلّ من يريد سوءاً بك. سأحبّك شئتَ أم أبيت، وسأعتبرك دوماً أخاً لي في الله وفي الدين وفي الإنسانية معاً. سأقبّل موضع السيف من رأسك ولن أتوانى..

لكن اسمح لي أن أختلف معك، فأنا أرفض أسلوبك في التعبير رفضاً تامّاً، وأملك وجهة نظر في ذلك، وأنتمي للدين الذي تنتمي أنت إليه، وأنا حريص عليه كما أنت كذلك، إنّني لا أرى في فعلك خدمةً للدين كما أنت ترى، فهل تقدر على أن تعاملني كما أعاملك؟! هل تقدر أن تحبّني وتختلف معي تماماً كما أحبّك وأختلف معك؟! هل تستطيع أن تحاورني دون تشنّج وسلبية وأعصاب متوترة؟! وهل يمكنك أن تعبّر عن رأيك في وجهة نظري دون تخوين أو اتهام أو تعالٍ أو تطهّر؟!

تعالوا (وكلامي للأطراف كلّها) لنختلف في مناخ حريّة، ونتمايز عن بعضنا في مناخ اعتراف متبادل؛ لنبني مجتمعاً أفضل بإذن الله، والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق.

---

(١) إضاءات ٢: ٥٨١

الوحدة المذهبية عنوان عاشوراء هذا العام[1]

٢٨ ـ ١٠ ـ ٢٠١٣م

(سيوحّدنا الحسين عليه السلام)

أقترح كمتابع عادي ـ ومن باب التبرّك بالإمام الحسين العظيم ـ أن يكون شعارنا هذا العام في عاشوراء هو الوحدة المذهبيّة.. صحيح أنّني أؤمن بالوحدة الإسلامية لكنّني سأطرح اليوم الوحدة المذهبيّة أيضاً..

كلّنا.. من علماء دين ومثقفين وكتاب وإعلاميين وشعراء وأدباء وسياسيين وطلاب حوزات وجامعات وعامّة الناس.. نحاول أن نطرح هذا العام قضايا الوحدة المذهبية بين الشيعة..

أخي الخطيب الحسيني.. وأخي الرادود.. وأخي العالم.. وأخي المحاضر.. وأخي الكاتب.. وأخي الأستاذ.. وأخي الناقد.. فلنخصّص جزءاً من وقتنا للحديث في عاشوراء هذا العام عن الوحدة بيننا.. فالتشرذم لم يعد قليلاً.. والكل يتحمّل مسؤوليّته فيما يبدو إلا من عصمه الله.. الكلّ أعني بعض المثقفين وبعض الحوزويّين وبعض الكتاب وبعض الإعلاميّين و.. كلّنا يتحمّل.. بعضنا أراد الإصلاح فكان عنيفاً.. وبعضنا أراد الدفاع فكان عنيفاً كذلك..

نحاول في مجالسنا وخطبنا وكلماتنا أن ندرس أسباب الفُرقة وأسباب الكراهية المتعاظمة.. ونحلّلها.. ونضع ما يمكننا من حلول.. على هدي الكتاب والسنّة والعقل..

---

(١) إضاءات ٤: ٥٧١

لا أؤمن بالحلول الشمولية.. فلنقدّم ما يمكن وما تبقى فهو على الله.. المهم (اعقلها وتوكّل)، وإذا تمكّنا من المبادرات وكان لنا قوّة بها.. فلماذا في قريتي أو مدينتي أو جامعتي أو حوزتي لا أقوم عاشوراء هذا العام بوساطة صلح في قضية هنا أو هناك.. لترطيب الأجواء.. ونقدّم ذلك بين يدي الله تعالى بعنوان (الحسين يجمعنا..)، فهل إلى ذلك من سبيل إن شاء الله؟

للقضيّة الحسينية رحلتان بين الماضي والحاضر [1]

١١ ـ ١١ ـ ٢٠١٣م

للقضية الحسينية رحلتان:

١. رحلة من الحاضر للتاريخ (الذهاب)، يذهب فيها الإنسان نحو الماضي، فيفهمه سرديّاً وقصصيّاً أو يفهمه تحليليّاً وعلى مستوى الأهداف والنتائج..

٢. ورحلة من التاريخ للحاضر (العودة)، وفيها لا يعود الحسين عليه السلام جسداً، بل يتحوّل لقيم ومبادئ وروح ومفاهيم ومعايير ونبض حياة..

كثيرون يذهبون في الرحلة الأولى.. فيبقون هناك.. في التاريخ.. فيصبح حاضرهم تاريخاً.. بدل أن يتحوّل إلى مستقبل..

وقليلون يرجعون عبر الرحلة الثانية.. فيصبح حاضرهم حسينيّاً.. وتاريخهم حياةً حاضرة.. يصبح حاضرهم قيم رفض ونقد وتصحيح وبطولة وعمل وإرادة وجهاد وأمل وإصرار وتضحية وعطاء وعزّة وإباء..

وإذا قالوا: (يا ليتنا كنّا معكم) سمعوا النداء يقول: (ما زالت المعركة بأبعادها المتنوّعة بين الحقّ والباطل قائمة، فيمكنكم أن تكونوا معنا، ولا حاجة للتمنّي).. عندها يختبرون أنفسهم في حاضرهم، بدل التبرّع بالكلام لماضيهم..

في الحاضر يعرف الحسينيُّ اليوم.. نعم.. لا في الماضي.

---

(١) إضاءات ٤: ٥٧٣

بين الحافظة والتفكير، وبين العلامة والخطيب[1]

٢ ـ ١ ـ ٢٠١٤م

يقولـون بأنّـه التقـى في يـوم مـن الأيـام خطيـبٌ حافـظ مـع علامـة مرجـع..

فقـال الخطيـب الحافـظ: هـل لـك أن تذكـر لي ألـف حديـث نبـويّ بأسـانيدها؟

فأجاب العلامة: كلا، ولا حتى حديث واحد..

قـال الخطيـب الحافـظ: ولا حتى حديـث واحد تحفظه وأنـت علامةٌ مرجـع، وأنـا أحفظ كذا وكـذا ألف مـن الحديث؟!

قال العلامة: هات واحداً ممّا تحفظ..

فذكـر له الخطيـب حديثـاً.. فأخذ العلامـة المرجع يحلّل فيـه ويفصّل ويجتهـد في دلالاته ومناسـباته ومقارناتـه واحتمالاته، ويناقش في سـنده ومصـدره التاريخي و..

فذهل الخطيب منه أشدّ الذهول..

فقـال لـه العلامـة: أنـت لديـك ذاكـرة وحافظة مذهلـة.. وأنـا لديّ عقـل يفكّـر ويحلّـل.. لـو التقينـا في شـخص واحـد لرأيـت مـن الآثار عجباً..

هنيئـاً لـكلّ خطيـب لديـه عقـل علامـة، ولـكلّ علامـة لديـه ذاكرة خطيب .

(١) إضاءات ٤: ٥٨٠

وقفة احترام للشيخ الوائلي رحمه الله[1]

٦ ـ ٢ ـ ٢٠١٤م

في هذه الأيّام الحزينة المليئة بالعِبرة والعَبرة.. نستذكر جميعاً العلامة الراحل عميد المنبر الحسيني، الخطيب الذي جمع بين الحافظة والعقل والتأمّل والتحليل والأصالة والمعاصرة و.. وحبّ الحسين عليه السلام.. الشيخ الدكتور أحمد الوائلي رضوان الله تعالى عليه، صاحب المدرسة الكبيرة في المنبر الحسيني.. فله منّا وقفة احترام ودقيقة صمت.. رحمك الله من عالم أسّس لمدرسةٍ ما أحوجنا إليها اليوم.

(١) إضاءات ٤:٥٩٢

كلمتان حول المشكلة الأخيرة في (الشعائر)[1]

١٤ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

بعد الأزمة التي انفجرت هذا العام حول قضيّة (الشعائر الحسينيّة)، خرجت من بين الفضاء (التقليدي المنبثّ داخل التيّارين: الثوري والشعائريّ معاً) أصواتٌ تدعو من جهةٍ للوحدة، ومن جهةٍ ثانية لمراعاة أخلاق الاختلاف، ومن جهةٍ ثالثة لاحترام تقليد كلّ واحد منّا وقناعة الآخر والرأي الآخر، وعدم الاجتراء على العلماء والفقهاء ورموز كلّ فريق..

أصوات طيّبة تعبّر عن مستوى إيماني جيّد ووعي اجتماعي مطلوب، ونسأل الله التوفيق لأصحابها، وعندي كلامٌ كثير هنا، أكتفي منه بكلمتين فقط ـ وأعتذر مسبقاً عن الإطالة ـ:

الكلمة الأولى: نحن مع هذه الأصوات، وننتصر معها لمراعاة أخلاقيّات الاختلاف وأدب الحوار، واحترام الآخر، ولطالما تكلّمنا في هذا الموضوع الذي نعتبره من أهم مشاكل مجتمعاتنا وما يزال.

وفي هذا السياق نحن ـ ورغم بُعدنا الشاسع عن التفكير الذي ينتصر له بعض الشعائريّين اليوم ـ نرفض الاتهامات العشوائيّة ضدّهم، كما نرفضها ضدّ غيرهم، خاصّةً تهمة التخوين والعمالة عندما لا تكون مرفقةً بدليل، فإنّ إطلاق مثل هذه التهم على الملأ العام من دون دليلٍ ظاهرٍ يخلق ثقافةً غير صحّية في إدارة الاختلاف، وإذا لم يكن يمكنك الآن أن تكشف أدلّة التخوين والاتهام بالعمالة، فالأفضل أن لا تتّهم علناً، حتى لو كنتَ في الواقع تملك تلك الأدلّة؛

(١) موقع الشيخ حيدر حب الله www.hobbbollah.com

لأنّك بذلك تروّج لثقافة سلبيّة جداً في الاختلاف، وتسمح لاحقاً لكلّ من (هبّ ودبّ) أن يتّهم بالعمالة والخيانة كلَّ من اختلف معه في الفكر والرأي. فلنبتعد عن هذا النمط ونرجع لحوارٍ أكثر هدوءاً في هذا المجال، ونترك للسلطات القضائيّة (المستقلّة) أن تعمل بعدالة، ووفقاً للأدلّة والقرائن. علماً أنّ هناك فرقاً دقيقاً بين توظيف العدوّ لفعلٍ ما صدر منّي، وبين كوني عميلاً له وموظّفاً عنده.

أنا لا أنفي التهمة عن أحد، ولا أستبعد أبداً أن يكون هناك فريق مخترَق مخابراتيّاً، لكنّني حريص أيضاً على أن لا نُطلق التهم المباشرة وعلناً دون دليل مرفق، حتى لو كان لنا تاريخُنا النضالي والجهادي الطويل والمشرِّف، خاصّةً وأنّ بعض من يُطلق مثل هذه التهم يعمل على رأس الهرم في التقريب بين المذاهب الإسلاميّة.

الكلمة الثانية: كنت أتمنّى من بعض أولئك الذين يدعون اليوم للهدوء واحترام قناعات بعضنا بعضاً أن يقولوها قبل عقدين من الزمن أو أكثر، عندما فتح بعضُهم في الساحة أبوابَ جهنّم على علماءٍ يراهم جمهورٌ كبير من المؤمنين رموزاً أو مراجعَ تقليد. أين كان دعاة الحوار واحترام القناعات المختلفة وترك كلّ إنسان وتقليده، عندما أُعلنت الحرب الرهيبة على العلامة الفقيد السيد محمّد حسين فضل الله رحمه الله؟! وكثيرٌ منهم (ومن الشعائريّين) كانوا مساهمين في تلك الحرب التي مزّقت الكثير من المجتمعات الشيعيّة. وبقدر ما كنتم تنافحون عن المذهب، يرى خصومكم اليوم أنّهم بمهاجمة ما يعتبرونه (شعائر مخترعة) ينافحون أيضاً عن المذهب وعن هويّته وجوهره.

كنتُ متشوّقاً أن أسمع صوتهم حينها، وموقفهم من التحريض

ومسلسل الاتهامات والتجديف ـ قبل ذلك وبعده ـ ضدّ العلامة السيد مرتضى العسكري رحمه الله (تحدّث مناقشاً حول اللعن في زيارة عاشوراء)، والمفسّر الشيخ الصادقي الطهراني رحمه الله (منهجه القرآني المعروف)، والفقيه الأخلاقي الشيخ الاشتهاردي رحمه الله (كلامه حول التشكيك في ما يُعرف برزيّة يوم الخميس)، والفقيه الأخلاقي البارز الشيخ عزيز الله خوشوقت رحمه الله (التشكيك في أصل وجود السيدة رقيّة بنت الإمام الحسين، وأنّها ابنة شخص آخر كان في كربلاء)، والعلامة الشيخ حسين الراضي ـ فرّج الله عنه ـ (مناقشاته في زيارة عاشوراء والغلوّ واللعن وغير ذلك)، وغيرهم إلى يومنا هذا، في قائمةٍ طويلة يبدو أنّها لن تنتهي. وبعض هذه الفتن كان بوجهٍ سياسي فيما بعضها الآخر بوجهٍ ديني.

إذا كان احترام الرأي الآخر مبدأ حقيقيّاً في نفوسنا، فعلينا أن نطلب المسامحة من الله على ما اقترفه بعضُنا تجاه مثل هؤلاء الأشخاص، من تعاملٍ غير أخلاقي معهم، وإلا فعلينا أن نترك هذه اللعبة الآنيّة، لنبحث عن حلول أكثر جذريّة نكون فيها متصالحين مع أنفسنا أكثر، ولا نفعل ما يفعله بعض الإسلاميّين ـ كما يقول العلامة السيد محمّد حسن الأمين ـ في صعودهم على سلّم الديمقراطيّة، فإذا بلغوا القمّة رموا بالسلّم بعيداً، حتى لا يرتقي غيرهم للسلطة بعد ذلك.

إذا كان بعض الشعائريّين اليوم وغيرهم، باتوا ينادون بحريّة الرأي؛ ليحموا أنفسهم من الغضب وأشكال الاحتجاج، فأتمنّى عليهم أن ينادوا بحريّة الرأي لمن غضبوا وما يزالون يغضبون هم عليه بقسوةٍ وشدّة، فإذا كان يحقّ لك أن تجتهد في التعبير عن

ولائـك وتفتـح النار عـلى غيرك لتُخرجه مـن الدين والمذهـب والولاء، وتصـف كلّ مـن يختلـف معـك في الـرأي بأنّـه جاهـلٌ وأُمّـي ولا يفقه شـيئاً، متصـوّراً أنّـك تملك حصانـةً من أهـل البيت النبـويّ في تعاملك هـذا مع غـيرك، فعليك أن تتوقّـع ـ أحببنا ذلك أو لم نحـبّ ـ أن يتعامل خصومُـك معـك بهـذه الطريقـة في لحظـة غضبهـم، ومن يطـرق الباب لابـدّ أن يَسـمع الجواب.

دعـوتي لنفـسي ولغـيري: فلنكـرّس ثقافة الاجتهـاد المفتـوح المتنوّع، ولنحـترم ما توصّـل إليه الآخـرون، ولنناقش كلّ من لا نؤمـن بقناعاته مناقشـةً أخلاقيّـة مفتوحـة، ولنعمـل سـويّةً عـلى رفـع مسـتوى الوعي العـام، ولنتّهـم كلّ من يُـدان أخلاقيّـاً أو وطنيّاً بالأدلّـة الدامغة، ولنعبّر عـن رفضنـا بطـرق الاحتجـاج الديمقراطـي المختلفـة دون عدوانيّـة عـلى أحـد، ولندافع عـن قناعاتنا بـشرف، ولنـترك اللعب بالشـعارات التضليليّة.

وبمحبّـةٍ أقول لإخواني فيما يسـمّى بخط الانفتـاح والتجديد والنقد: لا يهـمّ ـ إخـواني وأخـواتي ـ أن ننتـصر في الحـرب فقـط، المهـم أيضاً أن نمارسـها بشرف وضمـير وأخلاقيّـة. ضميرُنا في الصراع هو رسـول الله الـذي صفـح في لحظة قوّته عـن طلقاء مكّـة، وعلي بـن أبي طالب الذي سـقى عـدوَّه الـذي منعـه من المـاء، والحسـين بن عـلي الذي سـقى الماء لمـن جعجـع بـه في الطريـق وكان يسـير بـه تدريجيّـاً نحـو المـوت.. كلّنا ذاهبـون إلى حفـرةٍ صغـيرة، والفائـز فيهـا من حمـل قلبـاً سـليماً وروحاً متسـامية وأخلاقـاً عاليـة وعمـلاً صالحـاً، وليس مـن فَعَـلَ بخصومه ـ منتقـماً ـ مـا فعلـوه فيه في لحظـة ضعفه، ولا مـن تجاوز الأخـلاق عندما صـار قويّـاً، فالأخـلاق جهـد العاجـز عندمـا نُلقيهـا جانبـاً في مرحلـة

القـوّة، فـلا تكـرّر خصومَـك في نفسـك وقـد انتقَدتَهـم على أسـاليبهم ضـدّك، خاصّـةً أسـلوب التسـقيط والبهتـان وإلقـاء الشـائعات غـير المؤكّـدة.. فلنوقـف انفعالنـا النفـسي غـير المنضبـط، ولنطلـق مكانـه ثورتنـا العقليّـة النقديّـة القـادرة على صنـع التغيير، إن شـاء الله.

قـد لا يُعجـب كلامـي بعـضَ إخـواني الذيـن يعتـبرون مـا يحصـل فرصـة ذهبيّـة للانقضـاض، لكنّنـي أرجـو أن أكـون قـد قلتُـه لله، ولله وحـده.

عذرًا شيخنا الوائلي![1]

٢٤ـ ١٠ـ ٢٠١٦م

اطّلعتُ مؤخّراً على مقطع مصوَّر يلعنُ فيه بعضُ الناس علناً العلامةَ الدكتور الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله في مظاهرة دينيّة! ويبدو أنّ جُرمه ـ إذا كان هذا المقطع المصوّر صحيحاً ـ هو موقفه من بعض ما يسمّى بـ(الشعائر).

ليس عندي كلام كثير، لكنّني:

أ. أتحفّظ على أسلوب الشيخ الوائلي الذي استخدمه في معالجة هذا الموضوع، وأختلف معه فيه، فالتوصيفات التي استخدمها لا أجدها موفقةً في معالجة موضوع له حساسيته العاطفية وخصوصيّته، ومع أنّني أعذر الشيخ فيما بينه وبين ربّه، كما قد أعذر غيره من المختلفين معه، لكنّني كنت أفضّل له أن يتجنّب بعض التعابير التي تمّ استخدامها وفقاً للمقاطع الصوتيّة المنشورة له.

واختلافي مع الشيخ الوائلي في هذه القضيّة يشابهه اختلافي مع غيره من الرافضين لبعض الطقوس أو المفاهيم، ممّن يستخدمون هذه الطريقة أيضاً عبر بعض القنوات الفضائيّة أو من على المنابر أو وسائل التواصل الاجتماعي، بتوهين المختلفين معهم في الرأي بطريقة حادّة، والأخطر بطريقة شخصيّة، قد تصل إلى مقربة من التفسيق والتجهيل والتكفير.

ب. أعبّر عن الرفض والإدانة للتعامل بهذه الطريقة مع رموز كبار

(١) موقع الشيخ حيدر حب الله www.hobbollah.com

خدمـوا الديـن لعقـود طويلـة وتربّـت عـلى أيديهـم أجيـال مـن النـاس ومـن العلـماء والخطبـاء والمنبريّـين.. وأضـمّ صـوتي لـكلّ الأصـوات الطيّبـة التي طالبت بشـجب هـذا الأسـلوب المخجل، خاصّـةً صدور هـذا الرفض من طـرف المرجعيّـات الدينيّة وكبرى المؤسّسـات الحوزويّـة. نحـن ـ مـن آحـاد النـاس ـ نطالـب الجميع بشـجب هـذه الأسـاليب، واتخـاذ موقـفٍ منهـا، والعمـل عـلى منعهـا قـدر الإمـكان، والحيلولـة دون وقوعها أيضاً، مـن أيّ فريقٍ صـدرت. وقـد سـبق أن تحدّثـتُ عن ميثـاق شرف في هـذا المجال، لكـن يبـدو أنّه سـيظلّ أمنيـةً ربـما نراهـا في الأحلام!

ج. رغـم تكـرّر الكثير من مثـل هذه الحـوادث في العقـود الأخيرة، إلا أنّنـا لا نرى بعـض المتحمّسـين المدافعين عـن الحـوزات والمرجعيّة والفقاهـة والعمامـة يُبـدي موقفـاً ـ ولـو بنحو تأسـيس ثقافة رفض عامّـة دون انحيـاز ـ تجـاه هـذا النـوع مـن التعاطـي داخـل الدائرة الإسـلاميّة والمذهبيّـة، ففـي مثـل هـذه المواضـع لا نسـمع منهـم شـيئاً، ولا نـرى علامـات غضـب، وصدّقـوني لـن تسـمعوا منهم شـيئاً؛ لأنّهـم ليسـوا ضـدّ الأسـلوب، فبعـض هـؤلاء ينظّـرون لمنهـاج لعـن النـاس وسـبّها وشـتمها والتعامـل بهـذه اللغـة معها، ويؤسّسـون علناً لفكرة أنّ القرآن يشـيّد بناء السـبّ وثقافة الشـتم، لكن أن تشـتمهم أو تسـبّهم أو حتـى تنتقد بأسـلوبٍ منفعلٍ بعض الـشيء في حالـةٍ مـا هنـا أو هنـاك، فهـي الكارثـة، هـم ليسـوا ضدّ هـذا الأسـلوب، هـم فقط ضـدّ أن يـمارس هـذا الأسـلوب عليهم.

أقـول لهـم بـكلّ محبّـة: أيّهـا الإخـوة الطيّبـون، الذيـن تدينـون الله بإهانـة رمـوز الآخريـن أو تنظّـرون لذلـك فتخلقـون بيئـةً

ثقافية حاضنة لهذا النوع من الإهانات، كتلك التي تعرّض لها الشيخ الوائلي.. أيّها الإخوة، مع الأسف الشديد، أخشى أن تكون الأمور قد خرجت من أيديكم، ووصلت ألسنة النار التي أوقدها بعضكم إلى بيوتكم، وصدّقوا هذا الصغير الحقير، سيكون الآتي أعظم بكثير، ما سيأتي لا نحبّه ولا نرضاه وانتقدناه مراراً وتكراراً، لكنّ الواقع لا يسير برغباتنا، بل يسير بقوانينه. أخشى أن تكونوا قد جهّزتم بأساليبكم هذه طوائف من اللعّانين لكم ولرموزكم، وجيوشاً من السبّابين لكلّ مقدّساتكم، فانتظروا وبكلّ أسف، وإنّ غداً لناظره قريب.

صدّقوني، أخشى أنّكم لم تحسنوا لرموزكم عندما أسّستم للتعامل العنفي مع رموز غيركم، فربما أوّل من يجب أن يُدان على إهانة رموزكم هو أنتم، فقد نهانا الله عن سبّ رموز غيرنا حتى نحمي قُدس الله من الإهانة والعدوان، فإذا سببنا تلك الرموز، ثم اعتُدي على قُدس الله، فنحن المعتدون على الله بشكلٍ من الأشكال، ولا أحبّ لنفسي ولا لكم أن تكونوا هكذا. حاولوا أن تجلسوا وتُجروا مراجعة لأساليبكم وتكون لكم قراءة مستقبليّة للأوضاع، تُرشدكم إلى أنّ بعض أساليبكم قد ترجع عليكم بالخسارة في العصر الراهن، بل قد بدأ ذلك بالفعل، ولعلّ هذه المراجعة تساهم في إنتاج واقعيّ لقواعد جديدة من الاختلاف فيما بين المؤمنين إن شاء الله.

د. أدعو إلى لجنة حكماء تفضّ الاشتباكات في المناطق، وتنفّس الاحتقانات، وتتوصّل إلى صيغ تحفظ حقوق الجميع وتراعي في الوقت عينه مشاعر الجميع، دون مبالغة في الحساسية من

أيّ فريق، حتى لا يصبح النقد العلمي الهادئ موصوفاً بصفة الإهانة والعدوان على المشاعر، كما يريد بعض الناس؛ لأنّه لم يعتد على نقد الكبار! وأدعو أيضاً إلى لجنة حكماء على مستوى الأمّة، لوضع رؤية في هذا الإطار، تمنع استغلال الدين في تشييد وترويج ونشر هذا النوع من التعامل فيما بيننا، فالمرحلة حسّاسة جداً، وحال أمّتنا ليس بالشكل الذي يسمح لها أن تصرف جهداً من طاقاتها بهذه الأمور.

إذا أردتَ أن تدمّر أمّةً وحضارة، فهشّم في نفوس أبنائها كلّ القدوات ومزّق كلّ الرموز والكبار، أو حوّلهم إلى أصنام تصادر العقول وتُعبد من دون الله، فستصل إلى مبتغاك على الخطّين معاً.

توضيح (١):

فهم بعض الإخوة أنني أعتذر من الشيخ الوائلي لأنني أريد أن أنتقده والصحيح أنني أعتذر منه على ما يتعرض له من إهانة، وحقه في رقبتنا فنعتذر منه على صنيع بعضهم به، ونسأل الله أن يعيننا على أداء حق أمثاله على هذه الأمة وعلينا جميعًا رحمه الله وأعلى مقامه.

توضيح (٢):

يبدو أن بعض الأحبة فهم كلامي أعلاه بطريقة غير صحيحة، لهذا كان لابدّ لي من هذا التوضيح الثاني:

١. إنّني في المقطع الأوّل أبديت ملاحظتي المتواضعة على طريقة سماحة الشيخ الوائلي رحمه الله في تعاطيه مع الموضوع على مستوى بعض التعابير التي استخدمها، انطلاقاً من قناعتي الشخصيّة في إدارة القضيّة، مع احترامي الكامل لسماحته.

٢. إنّ الفقرة (ب) التي انتقدت فيها ما أسميته الأسلوب المخجل، كنت أعني بها الأسلوب الذي مارسه هؤلاء المتظاهرون ضد الشيخ الوائلي رحمه الله، وطالبت بشجب هذا الأسلوب غير المناسب في التعامل مع سماحته، وطالبت هناك أيضاً بضرورة أن تتصدى المرجعيات والحوزات لإدانة مثل هذا العمل الذي يتعرض بالإساءة لرمز كبير وهو الشيخ الوائلي الذي ربى الخطباء والمنبريين والأجيال.

٣. في الفقرة (ج) تعرّضت لأولئك الذين لطالما وجدناهم يهبون للدفاع عن المرجعيات والحوزات عندما تتعرّض لسوء، لكنّنا لم نجدهم هنا عندما تعرض الشيخ الوائلي لمثل هذا التصرف المشين، لم نجدهم يبدون رأيًا، ولهذا قلت بأن هؤلاء المدافعين عن المرجعيات والحوزات مطالبون بالدفاع هنا عن مثل عمامة الشيخ الوائلي التي هي رمز حوزوي كبير.

ومن هنا تعرضت بالنقد لهم حتى نهاية منشوري، وكيف أنهم هم الذين يروّجون للسب والشتم ضد غيرهم من أمثال الشيخ الوائلي والسيد فضل الله.. لكنّهم ينتفضون لو أنّ أحدًا أراد أن يثأر للشيخ الوائلي وغيره فيهاجم رموزهم وبعض مرجعيّاتهم بنفس أسلوبهم هم.

٤. يفهم بعض الإخوة من كلامي دوماً أنني عندما أتعرض لمثل هؤلاء المختلفين معنا في الرأي من الشعائريين والمذهبيين أنّني أقصد تياراً خاصّاً معروفاً في الساحة، والحقيقة أنني لا أقصد ذلك أبداً، بل أقصد كلّ هذا الفريق المتشدّد الذي قد ينتمي بعض أفراده لهذا التيار أو ذاك.. فاقتضى التوضيح وشكرًا لكم.

ثانيًا: اقتباسات[1]

علينا حينما نريد استخراج صورة عن التجربة الحسينيّة أن لا نقوم باجتزاء النصوص والاقتصار على بعضها وترك سائر النصوص الأساسيّة التي وردت في المصادر الرئيسة.[2]

أعتقد أنّنا بحاجة إلى دراسة أكثر موضوعيّة في قراءة التاريخ، وأن لا نجعل قراءته وقراءة المصادر الدينيّة وسيلة لدخول أيّ صراع سياسي بالمعنى العام لهذا الوصف؛ لإسقاط جماعة أو تصفية حساب مع جماعة أخرى؛ فإنّ هذه القيم الدينيّة والقيم التاريخيّة الدينيّة أيضاً من الأفضل أن نجعلها أعلى وأسمى من تلك الصراعات السياسيّة الجزئيّة في بعضها على الأقل، والتي ربما نسعى من حيث لا نشعر كي نميّع تلك القيم في داخل تلك الصراعات الجزئيّة.[3]

ليس من الضروري تفسير انطلاق كلّ من يقدم أو يكون حسينيّاً على أنه حماس شبابي أو تهوّر غير عقلاني، ولا واقعي، كما أنه ليس من السليم تفسير رؤية كلّ من يتّخذ موقفاً حسنياً على أنه عميل أو متخاذل أو جبان أو .. بل يفترض أن تدرس الأمور بنمط عقلاني وعلمي وهادئ، بعيداً عن الاتهامات المتبادلة للوصول إلى أكبر قدرٍ

(١) هذه الاقتباسات من نصوص نشرت في هذا الكتاب بجزأيه، وبعضها من مصادر أخرى، وقد تم ذكر المصدر في الهامش لمن شاء الرجوع إلى سياق النص.

(٢) عاشورائيات ج ١، مقالة: حركة الإمام الحسين ثورة أم صلح؟

(٣) نفس المصدر.

ممكن مـن التفاهـم والتفهّم.[1]

تتنـوّع جهـات الإصـلاح اللازمـة في الشـعائر الحسـينية وأمثالهـا، ويقـف على رأسـها ضرورة تصفيـة نصوص السـيرة الحسـينية التاريخية مـن الأكاذيـب والأسـاطير التـي اختلقت عـبر الزمن، ولم يكـن لها من وجـود في مصـادر الحديـث ولا التاريـخ ولا الـتراث، وإنـما صنعتهـا العقليـة الشـعبية أو مـا بحكمهـا، إنّ هـذه الـضرورة ضرورةٌ علميـة ومعرفيـة، كـما أنّهـا ضرورة توعويـة وتربويـة في الوقـت عينـه.[2]

لا يعنـي ذلـك أبـداً تنحيـة كل نـصّ تاريخـي لا تستسـيغه عقولنـا العاديـة أو تجـده خـلاف المألـوف، وإنـما تنحيـة مـا تقـوم الشـواهد التاريخيـة أو العقليـة أو الشرعيـة أو .. عـلى نفيـه، وفـق منهـج ينبغـي تحديـده على أسـس علمية وضوابـط منطقية، تخضع لنظريات مدروسـة ومبرهـن عليهـا في قـراءة التاريـخ، لا لأيديولوجيـات مسـقطة تهـدف التزييـف أو..[3]

ليـس فقـط ينبغـي تنحيـة الأكاذيـب والمعلـوم عـدم صـدوره ولا وقوعـه ولـو بالعلـم العـادي الاطمئنـاني، بـل مـن الـضروري تشـييد السـيرة الحسـينية وفـق أسـس النقـد التاريخي والحديثـي أيضـاً، فالذي لم يثبـت ـ ولـو لم يكـن عدمُـه ثابتاً ـ ينبغـي تخفيف حضـوره على الأقل،

(١) نفس المصدر، مقالة: الشعائر الحسينية بين النمذجة والإصلاح.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.

كـما أنّ الـذي يقـع مرجوحاً مـن الناحيـة التاريخية ينبغـي تقديم الطرف الراجـح المقابـل لـه عليه.[1]

ينبغـي التعامـل مـع وقائـع الثـورة الحسـينية والنصـوص التاريخيـة الواصلـة إلينـا عنهـا، تبعـاً لدرجـة صحتهـا، فالمؤكـد صحتـه ينبغـي الترويـج لـه والإصرار عليـه وإشـاعته، وأمـا غـيره فينبغـي أن يكـون حضـوره عـلى تبـع قيمتـه العلميـة والتاريخيـة، ولا ينظر فقـط إلى رغبة الـرأي العـام الـذي نطالـب نحـن ــ مـن ننعـت أنفسـنا بالعلـماء ــ أن نوجّهـه ونصوّبـه لا أن يكـون هـو المسـيّر دائـماً لحركتنـا وأدائنـا.[2]

إن الشـعوب في حـال إنتـاج دائـم للمعتقـدات الشـعبية المزوجـة بالخرافـة، كـما تؤكّـد ذلـك أيضـاً تواريـخ الأديان كافّـة، وعلـماء الدين ومفكرو المسـلمين والمصلحـون الاجتماعيّـون يمثلـون بالدرجة الأولى مصفـاةً تنقّـي هـذه المنتجـات الملوّثـة بالخرافـة أو الوهم، فـإذا تعطّلت هـذه المصفـاة تلـوّث المنـاخ كلّـه، وصار مـن العسـير ديمومـة الحياة في ظلّه.[3]

مـن عناصر الإصـلاح الضرورية الأخـرى، إصلاح المظاهـر العامّة، وإعـادة النظـر فيهـا وفق الموازيـن الشرعيـة والعقليـة والإنسـانية، ثمة مظاهـر يجـب نقدهـا لتقديم صـورةٍ أكثر جماليـةً وتأثـيراً في القلوب عن الثـورة الحسـينية ... ولا نريـد بذلـك التنـازل عـن عقائدنـا وشـعائرنا لأجـل الآخـر أو خوفـاً مـن تشـويهه وتشـهيره، فهذا مـا لا يرضـاه الله

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.

لنـا، وإنما نقصد ملاحظة قانون التـزاحم بين المصالح والمفاسـد، سـيما وأنّ هـذه المظاهـر على أقـصى تقدير مسـتحبّة بعنوانهـا الأوّلي لا واجبة، فـلا ينبغـي التـورّط في الحرام لأجـل تحقيق مسـتحب.[1]

لسـنا نطالـب بقمـع هـذه المظاهـر بالقـوّة أو مواجهتهـا بالعنـف والقسـوة، فهـذا مـا لا نجـد عظيـم جـدوى مـن ورائـه، إنـما المطلوب نـشر الوعـي، ورفـع مسـتواه بـين العامـة مـن النـاس، بـل بـين بعـض رجـال الديـن أيضـاً، بطريـقٍ مبـاشرٍ أو غير مبـاشر، لا بإثـارة العامة أو تهييجهـم.[2]

مـن أبـرز مظاهـر الإصـلاح تطوير آليّـات عـرض الثورة الحسـينية، فليسـت المجالـس العزائيـة المتداولـة هـي السـبيل الوحيـد لنـشر ثقافـة الثـورة، بـل قـد اسـتجدّت طـرق يمكـن إضافتهـا إلى مـا كان، فإدخـال الثورة الحسـينية إلى دور السـينما، وإلى التلفزيـون والفضائيات والكمبيوتـر، وللأطفـال والشـبان، قصّـةً وروايـةً وحكايـة و.. كلّهـا وسـائل جديدة يمكـن توفيرهـا لخدمة الأهـداف الحسـينية الكبرى.[3]

إن تنظيـم المسـيرات والمجالـس العزائيـة، واتسـامها بالترتيـب والتنظيـم والأناقة والتناسـق والجـمال و.. وإخضاعها لتجويد وتحسـين مسـتمرّين، كلّهـا عنـاصر مسـاعدة على رفـع مسـتوى إحياء الشـعائر،

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.

لتكـون منـبراً إعلاميـاً للإسـلام يعـرض الفكـر والمفهـوم كـما يُبـدي العاطفـة والإحسـاس، بـدل أن تسـتغلّ للتشـويه والتـزييف.[1]

إنّ صـور الإحيـاء وأشـكاله أمـرٌ بـشريّ لا يخضـع لنـصٍّ إلهـي أو حكـم دينـي، وإنّـما يتبع الأوضـاع الاجتماعيـة والثقافيـة في المجتمعات المختلفـة، شريطة أن يبقـى محافظاً على القواعد والأخلاقيات والأسـس الدينيـة العامة، وهذا ما يسـمح لأشـكال إحياء الشـعائر بفـرص كبيرة مـن التطويـر والتجويـد، تبعـاً لحاجـات العـصر وضرورات المرحلـة، دون أن يكـون هـذا التطويـر ـ بالـضرورة ـ خوفـاً مـن طـرفٍ أو حيـاءً مـن آخر، وإنّـما رغبة عقلانيـة صادقة في إرفاد نظم مشـاركاتنا الشـعبية بالمزيـد مـن التناسـق المنسـجم مـع التطـوّرات التـي تلـفّ المجتمـع برمّته.[2]

إنّنـا نعتقـد ـ كـما صرّح بـه بعض علـماء الإماميـة أيضاً، مثـل المرجع الكبـير السـيد البروجردي رحمه الله ـ بـضرورة التخلّي عن هـذه المظاهر المثـيرة والموجبة لسـوء ظنّ الآخرين بالشـيعة والتشـيّع، لاسـيما وأنّه لا دليـل مـن النصوص الدينيـة الثابتة يفرضهـا، وإنّما هي عـادات وتقاليد تقريباً.[3]

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر، مقالة: الشعائر والطقوس والمناسبات الدينية.

قناعتنا هي أنّ كلّ مظهر اجتماعي أو سلوكي أو شعائري يفرض التباس الأمور في ذهن سائر المسلمين أو سوء ظنّهم واتهامهم للشيعة والتشيّع.. يجب التخلّي عنه ما لم يكن ثابتاً بنصّ صحيح معتبر وفقاً لقواعد الصناعة الاجتهادية الفقهيّة والحديثية المعتمدة في علوم الشريعة، فرحم الله امرأً ذبّ التهمة عن نفسه.[1]

◇◈◇

التشيّع تاريخ من العمل والعطاء والجهاد والمعرفة ومحبّة النبي وأهل بيته والدفاع عن الإسلام وأهله، والتشيّع هو الذي خرّج العباقرة والعلماء والنهضويّين والمفكّرين لاسيما في العصر الحديث، وواجه الإلحاد والتغريب، وناضل وقدّم الشهداء في مواجهة أعداء الأمّة لاسيما العدوّ الصهيوني الغاشم، وأصدر علماؤه في العراق الفتاوى لدعم الدولة العثمانية تجاه خصومها من غير المسلمين و... فلا يصحّ أن أنسى كلّ هذا الوجه، ثم أسلّط الضوء فقط على بعض الشعائر التي يقوم بها بعض الشيعة وليس كلّهم، وأختزل مذهباً كبيراً عريقاً برمّته فيها، لكي أحكم عليه بموقفٍ سلبيّ هنا أو هناك.[2]

◇◈◇

لا يحسن ببعضنا أيضاً أن يتعاطى مع ثبوت هذه الروايات وأمثالها بمنطق الأمور الواضحة المسلّمة القطعية التي يُتهم من يناقش فيها بدينه ومذهبه وعقيدته وأخلاقه، فليتق الطرفان الله تعالى فيما يصدر منهما، وليقبلا بتعدّد الآراء في المسألة، وليتريّثا قبل نسبة شيء للنبي

(١) نفس المصدر.

(٢)نفس المصدر.

وأهـل بيتـه وأصحابـه أو نفيـه عنهـم؛ لأنّنـا سنحاسـب أمـام الله تعالى جميعـاً ونسـأل عـمّا قلنـا وفعلنـا، وكـما سـوف نسـأل عـن نسـبة كلام للمعصـوم، كـذا سنسـأل عـن نفيه عنـه والعكـس كذلك.[1]

لنقـرّ بالتعـدّد، وليعمـل كلّ شـخص منّـا عـلى المنهج العلمـي الذي اختـاره، لا أن نعتمـد في مثـل هـذه المواضيـع منهجـاً ركيـكاً قائـماً على الرغبـة في التوثيـق أو التضعيـف، وفي سـائر الموضوعـات نعـود إلى منهجنـا المتـين الـذي نتبنّـاه في بحوثنـا الفقهيـة وغيرهـا!![2]

لا داعـي لـلإصرار عـلى إبطال بعـض الأمور الحسـنة في حدّ نفسـها وكأنّـه يـراد تهديم الشـعائر والأعراف، وأرى اسـتبدال ذلـك بتوضيح حيثياتهـا الشرعيّـة للنـاس، ليعرفـوا أنّ القصد يكـون للعنـوان العام لا للخـاص، إلى جانـب كـفّ الطرف الآخر عـن اتهام من يريـد أن يناقش في هـذه الأمور بطريقـة علميّة والتشـكيك في تديّنـه وعقيدته.[3]

حبـذا لـو نفكّـر جميعـاً في كيفيـة وضـع برامـج نهضويّـة واعيـة توعويـة وتبليغيـة، لتحويـل زيـارات الإمـام الحسـين عليه السلام ـ وغيرها ـ إلى مؤتمـر إسـلامي شـعبي واسـع لـكلّ المؤمنـين الحاجّـين إليه مـن أرجاء

(١) راجـع القسـم الأول مـن هـذا الكتـاب ، السـؤال: ماقيمـة سـند زيـارة عاشـوراء وفقـاً لنظريـات السـيد الخوئـي؟؟

(٢) نفس المصدر.

(٣) القسم الأول ، زيارة الإمام الحسين في الأربعين.

المعمورة، فتزدان الطرقات المكتظة بالزوار بمحافل الأدب والشعر والنثر الحسيني والثوري، وبالبرامج الدينية والاجتماعيّة، وبحلقات التوعية الثقافية، وبجلسات العبادة والروحانية، وبلقاء المرجعيات والشخصيات الكبيرة مع الناس والجماهير، تستمع همومها وقضاياها وتتواصل معها وتعظها وتوجّهها، كما كانت عادة أئمّة أهل البيت في كلّ عام في الحجّ والعمرة و..[1]

إنّنا بحاجة إلى المزيد من ترشيد مناسباتنا الدينية وتأمين أفضل توظيف نافع لها لقضايانا الاجتماعية والسياسية والأخلاقيّة اليوم، والحيلولة دون تحوّلها إلى مجرّد عادات لا تحوي مضمونها أو طقوس وبروتوكولات نمرّ عليها مرور الكرام، فيصير حالنا ـ والعياذ بالله ـ كحال الصائم الذي وصفه الحديث النبويّ الشريف بقوله: «ربّ صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش».[2]

ليس كلّما جاءنا شخص بشيء أخذنا به ومشينا في طريقنا، بل مقتضى التحذّر من البدع والخرافات، ومقتضى حماية الدين هو الوعي والسؤال والتثبّت والمناقشة الموضوعيّة للتأكّد من نسبة شيء إلى الدين، فمن هنا علينا في هذه الحالات أن نطالب بالتوثيق، وأن نسأل ونهتم كلّما كان في المضمون ما يريب أو يُثير، فهذا الحسّ الاستشعاري ضروريٌّ لحماية تديّننا من الخرافات والخزعبلات

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

والمؤامرات والمنامات المختَلَقَة والأقاصيص المبتكرة المكذوبة، حمانا الله جميعاً من الضلالة والزيغ.[1]

من حقّ المؤمن عليّ أن لا أهينه أو أجرح مشاعره أو أسخّفه أو أتعرّض لمقدّساته بطريقة غير أخلاقيّة، لكن ليس من حقّه عليّ أن لا أنتقده إذا لم يكن في النقد إهانة وإنّما فيه انزعاج منه بحيث هو يعاني من مشكلة عدم تقبّل النقد ولو الأخلاقي. وهذا يعني أنّ منعه إيّاي من النقد بحجّة أنّه بات ينزعج منه أو يستفزّه لن يؤدّي إلا إلى سلب حقّي في النقد والتعبير، وسلب حقّي في ما أراه أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وإرشاداً للآخرين إلى ما أعتقده بيني وبين ربّي صلاحاً، وليس من حقّه عليّ ذلك حتى أتنازل عن حقّي في النقد والإصلاح الواجبين عليّ في الأصل، وهذه مسألة مهمّة جدّاً.[2]

إنّ النقد حقٌّ شرط أن يكون أخلاقيّاً من حيث النوع، بحيث لو عرضناه على محايدٍ لما أبدى فيه ممانعةً أخلاقيّة، ولا ينبغي أن نسمح للآخرين بسلبنا هذا الحقّ، وإلا فقد يقول الطرف الآخر الناقد بأنّه أيضاً بات ينزعج من هذه المقولات التي يذكرونها على المنابر، فهل يحقّ لنا أن نمنعهم ونسلب حقّهم بحجّة أنّ الطرف الآخر الناقد أيضاً بات يستفزّ وينزعج ويتذمّر من طرح هذه الأمور من على

(١) القسم الثاني، رسائل مثيرة بأعمال دينية خاصّة عبر وسائل التواصل الاجتماعي.
(٢) القسم الثالث، عاشوراء والجدل المتكرّر كلّ عام، ما هو الموقف من هذا الجدل؟

المنابر أو شاشات التلفزة؟ كلا، ليس من حقّ الطرف الناقد هذا أيضاً.[1]

إنّ نقد المنبر وبعض المظاهر الشعائريّة ليس إهانةً لها، ولا هتكاً للحرمات، عندما يكون نابعاً من الحرص ومتحلّياً بدرجةٍ عالية من المهنية والأخلاقية، ولا يحقّ لرجال المنبر الحسيني الذين شرّفهم الله بهذا المنصب أن يعتبروا نقدهم نقداً للحسين عليه السلام، فلنكفّ عن إسقاط المقدّس على ذواتنا.[2]

إنّني أدعو الناقدين هنا لتقديم بدائل فمن يتمكّن ـ بحسب إمكاناته المادية والمعنوية ـ من تأسيس معاهد لإعداد الخطباء وتأهيلهم بالطريقة التي يراها صحيحةً، عليه أن لا يكتفي بالنقد ويعيش عقدته أو شهوته، بل يعمل على تأهيل الخطباء، وقبل ذلك لابدّ من إعداد المواد العلميّة والعملية عبر مركز دراسات حسيني حقيقي، يعالج كلّ القضايا الحسينية في التاريخ والشعائر والمسلكيات بطريقة بحثية جادّة، مستمعاً لكلّ الاتجاهات والمقولات على اختلافها وتناقضها.[3]

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.

لا يمنع من أن تتنوّع المواقف أحياناً، حسب طبيعة الظروف، فتغدو حسنيةً بعد أن كانت حسينية، أو تتحوّل إلى حسينية بعد أن كانت حسنية، والقصد من ذلك أن لا يتحوّل المذهب الإمامي إلى مذهب زيدي لا يرى شرعيةً إلاّ للخروج بالسيف، ولا يرى إماماً إلاّ فاطمياً نهض بسيفه لمواجهة الظلم. ربما لا يكون الأمر كذلك في العقيدة أو الفكر، لكنه قد يغدو كذلك في العقل الجمعي والذهن الجماعي، فتنعدم في ذاكرة الجماعة تنوّعات الأداء، ويغدو أداء واحد حصراً يمثل شريعة الله ورسوله، بل يتفاقم الأمر إلى حدّ اتهام الناس بتهم قاسية والتجريح بهم، وهم أصحاب رؤى مختلفة.[1]

◈

لا أجد تنافياً بين البعد المذهبي والإسلامي والإنساني في الموضوع الحسيني والشعائري، فالموضوع له أبعاد متعدّدة، ولا يصحّ نحر البُعد المذهبي المتجلّي في قضيّة الإمامة لصالح أبعاد أخَر، وهناك فرق بين الدعوة لاستحضار البعد الإسلامي والإنساني العام في قضيّة الثورة الحسينية وشعائرها، وبين استبدال البُعد المذهبي بهذين البُعدين. أعتقد أنّ الأوّل هو الصحيح، فنحن اليوم أمام صراع حضارات، ومن يريد أن يدّعي أنّه حضارة وأنّه بديل عن الغرب والشرق، عليه أن يقدّم خطاباً ورؤيةً قادرين على عبور القارات.[2]

(١) عاشورائيات ج١، مقالة: الشعائر الحسينية بين النمذجة والإصلاح.

(٢) القسم الثالث، عاشوراء والجدل المتكرّر كلّ عام، ما هو الموقف من هذا الجدل؟

كيف يجوز لي أن أصنع وعي الناس الثقافي والتاريخي بنصوصٍ متهالكة المصادر وتالفة الأسانيد وما لذلك من تأثير كبير على الفكر الديني، فيما لا يجوز لي أن أثبت كيفية الاستنجاء أو الدخول إلى الحمّام إلا بنصّ موثوق وإلا كنت متقوّلاً على الله؟! يبدو لي هذا شكلاً من أشكال التشظّي المنهجي.[1]

إنّ الثورة الحسينية هنا تعيد تظهير المشهد بصورة مختلفة، فقد كان من المتوقّع أن تنهار تلك المرأة (زينب) وكلّ من معها من نسوة وبنات، لكنّ الأمور وقعت بطريقة مختلفة تماماً، هذا يعني المرأة في عصرنا إذا أرادت أن تمثل الدور الزينبي فعليها في لحظات الشدّة التي تمرّ بها أمتنا اليوم أن تستنفر طاقاتها في رباطة جأش ليكون لها دورها في الفعل والتأثير، لا أن نطالبها بالسكوت والخضوع والجلوس في البيت لا دور لها في الوقوف بوجه الظلم والعدوان والاحتلال والاغتصاب للأرض والعرض والوطن والقيم والمفاهيم.[2]

إنّ ثورة الحسين عليه السلام تعلّمنا أنّ النتائج قد لا تكون في حياتك، بل قد تكون بعد رحيلك. إنّها تعلمنا أحياناً أنّ رحيلنا مقدّمة لتغيّر الأوضاع، وأنّ ثورةً وقعت في ٦١هـ آتت ثمارها بعد عقود وما تزال.[3]

(١) نفس المصدر.

(٢) القسم الثالث، بين يدي عاشوراء، ماذا علينا أن نفعل؟ وكيف نستفيد منها؟

(٣) نفس المصدر.

إنّ شجاعة الحسين وأصحابه وأهل بيته (سلام الله عليهم) تكمن في وجود إرادة وسط إحباط عام في الأمّة، هذا موضوع جادّ، الحديث عن خلق إرادة وسط مناخ إحباط وخمول وتكاسل عامّ شيء مهم للنهوض، وشيء ليس بسهلٍ أبداً، وهذا هو ما يقوم به المصلحون عبر التاريخ.[1]

كم نحن بحاجة اليوم لما بات يسمّى بـ «إنقاد النزعة الإنسانية في الدين»، حيث بتنا نشهد تديّناً عدوانيّاً صدامياً لا يعرف الرحمة ولا الشفقة ولا المودّة ولا الرقّة، حريّ بنا أن نستخرج إنسانيّات الثورة الحسينية لنضيء عليها مقدّمةً لإحياء النزعة الإنسانيّة في حياتنا.[2]

أشير في نهاية الكلام إلى نعمة الاجتماع والتواصل في عاشوراء، فهذه الحشود العظيمة التي تتلاقى كلّ يوم في المجالس والمراقد والحسينيات وفي كلّ مكان، هي بنفسها مظهر تواصل اجتماعي، كيف أستثمره؟ كيف يمكن لأهل البصيرة أن يستثمروا كلّ هذا الحشد الهائل للناس وكلّ هذا الاستعداد للسماع؟ من الصعب أن تجمع كلّ هذا العدد ليستمع في أيام معدودة، فكيف يمكنني أن أستفيد من هذا الاجتماع البشري مترامي الأطراف؟ [3]

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.

إنّ عاشوراء فرصة لإيصال الرسائل، فلو يكون هناك مجلس عالمي أو وطني للخطباء الحسينيين أو غيرهم ممّن لهم نشاط في هذه الأيام، وتكون هناك خطط استراتيجية لتحديد الموضوعات والأولويات العامّة والمناطقيّة لتداولها، فستكون لدينا قدرة تأثير كبيرة جدّاً، لأنّ طاقة الاستماع عند الناس مضاعفة في هذه الأيّام.[1]

ما صار رائجاً اليوم من أنّه كلّما كان الحديث عن أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم فلا حاجة معه لدليل، بل يكفي منامٌ هنا أو قصّةٌ هناك أو حديثٌ ضعيف هنا أو اطمئنان قلبي غير معقلن هناك، فهذا شيء خطر للغاية على سلامة البناء العقائدي في الدين والمذهب، فعلينا أن نحتكم دوماً في كلّ الأمور للدليل من عقلٍ أو نقل.[2]

ليس لأنّك تريد خدمة أهل البيت أو الصحابة فهذا مبرّر لك للكذب أو للتلفيق او لغضّ الطرف عن المنطق والعقل والبرهان والدليل أو للتلاعب بعواطف الناس، فهذه مفاتيح يمكن أن تؤدّي بعد عدّة عقود من الزمان ـ لو استشرت ـ إلى الإطاحة بالمنظومة العقلانية لعقائد الإماميّة أو للعقائد الإسلاميّة.[3]

(١) نفس المصدر.
(٢) إضاءات ٣:٩٣ .
(٣) نفس المصدر.

على كلّ مؤمن غيور أن يدافع عن المنهج المنطقي والاستدلالي في مختلف علوم الدين من الكلام وحتى الحديث والتاريخ، ويرفض أيّ محاولة ـ من مؤمن جاءت أم من ملحد ـ تريد إثبات شيء في الدين أو نفي شيء آخر منه بمناهج غير علميّة.[1]

بالنسبة لي أرى أنّ ثقافة أهل البيت عليهم السلام ـ تقضي من خلال مراجعة نصوصهم ـ بتمييز ذكرى شهادة الإمام الحسين عليه السلام عن سائر المناسبات الحزينة، بما فيها ذكرى وفاة الرسول الأكرم (صلوات الله عليه وعلى آله)، وهذا ما أفهمه من مجمل نصوصهم ـ عدداً ونوعاً ـ في أنّهم كانوا يريدون لذكرى الإمام الحسين أن تكون متميّزةً، مع الاحتفاظ لسائر المناسبات بحقّها الطبيعي، ولهذا أعارض ـ بحسب فهمي القاصر ـ جعل أيّ ذكرى حزينة أخرى مثل ذكرى الحسين عليه السلام، فإنّ هذا يخالف روح النصوص الكثيرة التي استحضرت قضيّة الحسين دون أن تستحضر غيرها بالطريقة عينها، بما يُفهم منه أنّه يراد لقضيّة الحسين أن تكون لها خصوصيتها، ومن الضروري أن نحفظ لها خصوصيّتها[2]

إنّنا ندعو إلى إحياء شامل لتاريخ الإسلام والإمامة، شرط أن لا يعطّل حياة الناس، ليس لأنّ حياة الناس أهم منه والعياذ بالله، بل لأنّ إحياء مناسباتهم وُضِعَ لتقديم حياة الإنسان في الدنيا والآخرة،

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر، ص ٨٧.

فإنّه يدفع الشيعة لكي يتقدّموا في مجتمعاتهم اقتصادياً وثقافيّاً وفكريّاً وعلميّاً وجامعيّاً وسياسيّاً واجتماعيّاً ودينيّاً، بدل أن نفتح مجال العطل ونؤسّس لثقافة العطل الكثيرة التي حاربها غير واحدٍ من علمائنا.[1]

المطلوب اليوم عموماً، وفي النطاق التاريخي خصوصاً، خطاب علمي منفتح يثبت أمراً دون أن يُشبع إثباتاته بجزم تعسّفي أو يسدّ الباب على إثارة احتمالات أو تصوّرات متعدّدة، وعبر هذه الطريقة يمكن تخفيف ردّات الفعل السلبية إلى حدٍّ ما.[2]

هناك حاجة لنشر ثقافة الجهاد الصحيح المتوازن في الأمة، الذي يقدّر حساب الأمور دوماً، ويزن المصالح والمفاسد بوعي، فلا يتهوّر في اندفاعه، ولا يجبن في انكفائه، وبهذا تتمكّن الأمّة من النهوض ــ بمختلف الأشكال ــ للدفاع عن نفسها من ظلم وجور الجائرين الفاسدين، بحولٍ من الله سبحانه.[3]

لقد جرت أحياناً كثيرة قراءة الحدث التاريخي من زاوية محدودة، غلب عليها السجال المذهبي، فعلى سبيل المثال، سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، جرت قراءتها بطريقة مجتزءة في بعض الأحيان هدفت

(١) نفس المصدر، ص ٨٩.

(٢) مسألة المنهج في الفكر الديني، ص ٣٦١.

(٣) من مقالة: فقه الجهاد في الإسلام، حاجات التجديد وضرورات المنهجة، العدد الثالث من مجلة الاجتهاد والتجديد، صيف ٢٠٠٦م.

-فقط وفقط- إلى إبراز الجوانب الشخصية، ودراسة الإمام عليه السلام بوصفه ظاهرةً مستقلّة عن المحيط، وقد أدّى هذا التغييب لوقائع تاريخية محيطة، وكذلك التغييب لبعض المصادر التاريخية تحت مسوّغات هي في العمق مذهبية.. أدى إلى صور منقوصة غلب عليها طابع الإسقاط.[1]

المطلوب قراءة شمولية للتاريخ ــ كما التراث كله ــ من جهة، ومعالجات محايدة من جهة أخرى، لم يعد يجذب ذاك المؤرّخ الذي يرسم تأريخه على صفحات كتابه الأولى، ليرى القارئ أنه حدّد مسار تأريخه أو دراسته سلفاً، الأمر الذي بات يفقد العقليات الجديدة ثقتها بالنتائج.[2]

وانطلاقاً من هذه الأسباب وغيرها، يجدر بنا تفهّم ظاهرة الشك المعاصرة، والتعامل معها بروح أبوية، كما واعترافاً بما تقدّم، يتم الميل أكثر فأكثر إلى الإقرار بضرورة إعادة قراءة التاريخ الإسلامي، لكن مع حذر هذه المرّة من الانطلاق من عُقد أو تصفية حساب.[3]

إن موجة الإطاحة بالتاريخيات الدينية، تحت ستار التجديد والقراءة الجديدة، وبطريقة تعسفية أحياناً، لا تصلح الأمور بقدر ما تزيد في تعقيدها، من هنا؛ كان المطلوب إحلال الاستقرار النفسي

(١) مسألة المنهج في الفكر الديني، ص ٣٦٣.
(٢) نفس المصدر، ص٣٦٤.
(٣) نفس المصدر.

للباحثين، وإزالة أسباب التوتّر المضرّ بموضوعية البحث التاريخي، مع الإقرار بأن حالةً كهذه، على رفضها من الزاوية المنهجية والقيمية معاً، مترقّبة من الزاوية السيسيولوجية بشكل لا يجدر بنا استغرابه واستهجانه.[1]

إن القارئ للتاريخ اليوم يفترض تحليه بمنهج واضح ومحدد، أما ما نجده أحيانا من تبعية بعض المؤرخين المعاصرين للنتيجة المقررة عنده سلفاً وصيرورة المنهج خادماً للنتيجة دون العكس، فهم ينم -في أكثر الأحيان- عن عدم وجود منهج أساساً، وهذه نقطة بالغة الحساسية، وكثيرة الحضور في الأوساط التاريخية المذهبية، فلا يكاد نص تاريخي يحضر لصالح الطرف الآخر، إلا ويصار إلى التشكيك فيه، كما لايكاد نص آخر يطرق الأسماع مؤيداً التوجهات المذهبية إلا ويجري قبوله والترحاب به.[2]

إن البحث الذي يستهدف الحقيقة يرجّح أن يكون هادئاً؛ لأن الصخب قد يعيق تصاعد التفكير وبشكل منتظم وممنهج، فكلما كان التفكير هادئاً كلما استطاع أن يحيط بجوانب الموضوع، وكلّما كان أقدر على قطع منافذ التوتر والإرباك، فالتفكير ممارسة كباقي ممارسات الإنسان التي يطالها الفشل والشلل والخلل عند ارتباك صاحبها أو توتّره.[3]

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.

البحث العلمي داخل الدائرة الإسلامية من المطلوب أن تحكمه حالة الهدوء والتفاهم والاستقرار، انطلاقاً من القاعدة القرآنية القاضية: ((رحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)) (الفتح: ٢٩)، هذه القاعدة ـــ حسبما يفهم من النص القرآني ـــ لا يخرج عنها سوى في حالة الصراع السياسي المتمثل في مفهوم البغي الذي يستدعي إثارة الهيجان في الدائرة الإسلامية ككل، وقد يعثر في النصوص على أمور أخرى، كحالات البدعة أو ما شابه ذلك، مما يتوقف عليه أحياناً حفظ الدين، وإلا فالأصل في علاقة المسلم بالمسلم هو علاقة الرحمة، وهي علاقة تجعل من أيّ نشاط فكري داخل هذه الدائرة نشاطاً هادئاً مستقراً.[1]

الحدث الزينبي وما حاطه من وقائع نسويّة هو بالتأكيد رسالة ضمنيّة للنصف الآخر من المجتمع أنّ بإمكانك أن يكون لك دور في اللحظات الحرجة على الأقلّ، فعندما أقدّم في المشهد التاريخي دور المرأة في لحظات الانهيار بشكل معاكس تماماً للنواح والعويل، ليبدو وكأنّه عصامية غير عادية، تقف في وجه أكبر حكّام العصر ـ عنيت يزيد بن معاوية وغيره من رجالاته ـ فهذا يعني أنّ المرأة ليست وظيفتها في الحياة النوح على القتلى من الرجال، بل خلق الحدث في لحظات الحزن، الحدث الإعلامي والسياسي والاجتماعي، هذا مفهوم بالغ التأثير اليوم يمكنه النهوض بالمرأة لتلعب دوراً في لحظات الشدّة، بدل أن نعلّمها النحيب واللطم على الوجه على ما افتقدت من أسرة وعيال.[2]

(١) نفس المصدر.

(٢) القسم الثالث، بين يدي عاشوراء، ماذا علينا أن نفعل؟ وكيف نستفيد منها؟

إنّني أدعو إلى تطوير الخطاب الديني، وتطوير الحوزات العلميّة، وتطوير الفكر الديني والفهم الديني، تطويراً جادّاً حقيقيّاً وعميقاً، ولا أرى في ذلك جنايةً أو ابتداعاً، بل أرى فيه الرضا لله تبارك وتعالى، وهو الذي سيسألنا يوم القيامة عمّا فعلناه في هذا الدين، عندما تركناه عرضةً للخرافة والبساطة وهجمات الخصوم الحضاريين، وإذا كنت استخدمت منهج النقد في غير كتاب أو مقالة مما سطرت، فإنّ ذلك لأنني أعتقد بأنّ الواقع الفكري الذي نعيش يحتاج لحركة نقدية قبل إصلاحه، وأنّه لا إصلاح بدون نقد، ولا يمكن الدفاع عن الفهم الذي نملكه للدين قبل أن تكون لدينا جرأة إصلاح الصورة، لكي ندافع عمّا هو حقّ لا عن ما هو واقع، فالمنهج التبريري الذي يستخدمه الكثيرون لا يصلح في كلّ لحظة.[1]

إرضاء الساحة من العلماء والناس ليس معياراً قطّ، ما لم يبلغ الأمر حدّ الضرورة والعذر الشرعي، لا حدّ الجبن والخوف اللذين امتلكا أعداداً وأسراباً من الباحثين والعلماء والكتّاب والناقدين اليوم. بل المعيار هو مبدأ الشجاعة المسؤولة والإرادة الواعية في بيان ما هو الحقّ من وجهة نظرك من جهة، ومبدأ الغائيّة الذي يعني أنّ بيان الحقّ يجب أن تكون غايته خدمة الحقّ ولو على المدى البعيد من جهة أخرى، وليس خدمة الحقّ على المدى القريب، إذ أغلب تجارب المصلحين والنقّاد عبر التاريخ كان بيانهم للحقّ مضرّاً بالحقّ على المدى القريب، لكنّ مرور الزمن جعل ما قالوه فرصةً

(١) إضاءات ١: ٤٩٧

تاريخيـة للتغيـير، ولـو أنّهـم ظلّوا سـاكتين لما جـاءت تلك الفـرص ولو للأجيـال القادمة.[1]

المعيـار هـو أن تحمـل هـمّ الحـقّ وتقدّمـه عـلى هـمّ رضـا النـاس والمؤسّسـات العلميّة والاجتماعية والسـلطوية، وفي الوقت عينه يدفعك هـمّ الحـقّ لخدمتـه، فليـس إبراز مـا تعرف هـو قيمـة مطلقـة، وإنّما ذاك الإبـراز المفـضي إلى خدمة الشيء الـذي تعرفه في أفقٍ منظـور ولو لم يكن قريبـاً. وليـس أصـلُ وجـود ردود مـن أفعال النـاس ولا تسـبّبُ فكرك بجـدلٍ بأمـورٍ توقـف عـن بيـان الحـقّ الـذي تـراه، إذ مـا من حـقّ عبر تاريـخ الأنبيـاء والأوصيـاء والأوليـاء والصالحين والعلـماء والمفكّرين إلا وأوقـع جـدلاً وانقسـاماً، فهـذه سـنّة الله في التاريـخ والاجتـماع، وأولئـك الذيـن يريـدون منّـا التغيـير الصامت مـا قدّمـوا يوماً شـاهداً عـلى نجـاح هـذه الطريقـة في تاريخ الشـعوب والأمـم والأفـكار، ولو كان الصمـت طريقـاً لكان في حـالاتٍ نادرة جدّاً. وكثـيرون يريدون أن يغـيّروا لكنّهـم يتذرّعـون بهـذه الذرائع خوفاً تـارةً في لاوعيهـم، وعدم اقتنـاع ـ أخـرى ـ بفكرهم التغيـيري اقتناعـاً حقيقيّاً، وعيشـهم ـ ثالثة ـ الهواجـس مـن الجديـد، فقـط هواجـس، وكأنّـه يمكن تقديـم ضمانات قطعيّـة لحصول تغيـير مجتمعـي دون أضرار.[2]

اليـوم تعصـف بأجيالنـا شـكوك وتسـاؤلات رهيبـة لا تكفـي معها

(١) إضاءات ٤:٤٦٥

(٢) إضاءات ٤:٤٦٦

المواعظ العابرة ولا أساليب الاستهزاء الساخرة، وعندما نهتمّ بالجانب الفكري ونخلق فيما بيننا مناخاً تنافسيّاً في العطاء الفكري فسيشعر الجميع بأنّ مشاركته في العمل البحثي والفكري تحقّق له وجوده الاجتماعي، وتعميق هذا الوجود الاجتماعي للباحثين والمحقّقين وتوعية الناس على أنّ الباحثين والمحققين هم أشخاص مقدَّرون محترمون، وليس فقط أصحاب النفوذ الاجتماعي هم المحترمون، فسنوجد عناصر تشويق وتشجيع تضمن استمرار العمل الفكري في مؤسّساتنا العلمية إن شاء الله.[1]

(١) حوارات ولقاءات في الفكر الديني المعاصر ج١، ص ١١٢.

المصادر

١. حب الله، حيدر، دراسات في الفقه الإسلامي المعاصر، مؤسسة الفقه المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١١-٢٠١٥م.

٢. حب الله، حيدر، إضاءات في الفكر والدين والاجتماع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٣-٢٠١٥م.

٣. حب الله، حيدر، رسالة سلام مذهبي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

٤. حب الله، حيدر، مسألة المنهج في الفكر الديني وقفات وملاحظات، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

٥. حب الله، حيدر، حوارات ولقاءات في الفكر الديني المعاصر، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

٦. مجلة الاجتهاد والتجديد، بيروت، العدد ٣ ، ٢٠٠٦م

٧. مجلة الاجتهاد والتجديد، بيروت، العدد: ٢٤، ٢٥، لعام: ٢٠١٢ ـ ٢٠١٣م.

٨. مجلة المنهاج، بيروت، العدد ٣٣ ، ربيع عام ٢٠٠٤م

٩. الموقع الرسمي للشيخ حيدر حب الله www.hobbollah.com

صدر للمؤلف/ الشيخ د.حيدر حب الله

تأليف

١. التعددية الدينية، نظرة في المذهب البلورالي
٢. نظرية السنة في الفكر الإمامي الشيعي، التكوّن والصيرورة
٣. بحوث في الفقه الزراعي (تقرير بحث المرجع الديني السيد محمود الهاشمي الشاهرودي)
٤. مسألة المنهج في الفكر الديني، وقفات وملاحظات
٥. علم الكلام المعاصر، قراءة تاريخية منهجيّة
٦. بحوث في فقه الحج
٧. حجية السنّة في الفكر الإسلامي، قراءة وتقويم
٨. فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٩. دراسات في الفقه الإسلامي المعاصر (خمسة أجزاء)
١٠. دروس تمهيديّة في تاريخ علم الرجال عند الإماميّة
١١. إضاءات في الفكر والدين والاجتماع (خمسة أجزاء)
١٢. حوارات ولقاءات في الفكر الديني المعاصر
١٣. المدخل إلى موسوعة الحديث النبوي عند الإمامية، دراسة في الحديث الإمامي
١٤. رسالة سلام مذهبي
١٥. حجية الحديث
١٦. الحديث الشريف، حدود المرجعية ودوائر الاحتجاج (مجلدين)
١٧. منطق النقد السندي، بحوث في قواعد الرجال والجرح والتعديل (ثلاثة أجزاء)
١٨. شمول الشريعة، بحوث في مديات المرجعية القانونية بين العقل والوحي
١٩. فقه المصلحة، مدخلًا لنظرية المقاصد واجتهاد المبادئ والغايات
٢٠. قواعد فقه العلاقة مع الآخر الديني، دراسة في ضوء النص الإسلامي والمسيحي
٢١. فقه الأطعمة والأشربة (ثلاثة أجزاء)
٢٢. الاجتهاد المقاصدي والمناطي ـ المسارات، والأصول، والعوائق، والتأثيرات (اجتهاد المعنى في أصول الفقه الإسلامي)
٢٣. مدخل إلى الوحي وبشرية اللفظ القرآني

مختارات

١. رمضانيات
٢. عاشورائيات (جزأين)

ترجمة

١ـ ابن إدريس الحلّي رائد مدرسة النقد في الفقه الإسلامي
٢ـ الأسس النظرية للتجربة الدينية، قراءة نقدية مقارنة لآراء ابن عربي ورودلف أتو
٣ـ بين الطريق المستقيم والطرق المستقيمة، وجهات فلسفية في التعدّدية الدينية.
٤ـ مقاربات في التجديد الفقهي

٥ـ المجتمع الديني والمدني
٦ـ الحجّ رموز وحكم
٧ـ الدولة الدينية، تأملات في الفكر السياسي الإسلامي
٨ـ الفكر السياسي لمسكويه الرازي، قراءة في تكوين العقل السياسي الإسلامي

تحقيق

١. بحوث في فقه الاقتصاد الإسلامي (تقريرات الشهيد محمد باقر الصدر)

إعداد وتقديم

١. المدرسة التفكيكية وجدل المعرفة الدينية
٢. سؤال التقريب بين المذاهب أوراق جادّة
٣. أسلمة العلوم وقضايا العلاقة بين الحوزة والجامعة
٤. اتجاهات العقلانية في الكلام الإسلامي
٥. المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر، قضايا وإشكاليات
٦. العنف والحريات الدينية، قراءات واجتهادات في الفقه الإسلامي
٧. مطارحات في الفكر السياسي الإسلامي
٨. فقه الحجاب في الشريعة الإسلامية، قراءات جديدة
٩. الوحي والظاهرة القرآنية
١٠. الإمامة، قراءات جديدة ومنافحات عتيدة
١١. الشعائر الحسينية، التاريخ الجدل والمواقف

إشراف

١. الموضوعات في الآثار والأخبار للسيد هاشم معروف الحسني (طبعة جديدة محققة ومنقّحة)
٢. المعتبر من بحار الأنوار (ثلاثة أجزاء)

إضاءات حيدر حب الله

عاشورائيات

سبق لي – والتوفيق من اللّه – أن كانت لديّ بعض المشاركات والكتابات المتواضعة المتفرّقة حول القضيّة الحسينيّة وما يتصل بها من وقائع تاريخيّة وشعائر دينيّة، وقد حاولت في هذه الأعمال أن أقدّم فهمي البسيط لهذه الأمور من بعض الزوايا، وإلا فالدراسات والبحوث ذات الصلة أوسع من أن تختصرها بضع كلمات.

يسعدني أن تلقى هذه المشاركات نصيبها من التأمّل والتقويم والنقد من قبل القرّاء الأعزاء؛ علّ ذلك يُسهم في تطوّر أفكارنا جميعاً إن شاء اللّه، واللّه ولي التوفيق.

حيدر حب اللّه

ISBN 978-614-420-663-8
9 786144 206638
eight
00961 3 017565
دار الولاء
لصناعة النشر
الرويس، شارع الرويس، بيروت - لبنان
Mob: 00961 3 689 496 | TeleFax: 00961 1 545 133
info@daralwalaa.com | daralwalaa@yahoo.com
P.O. Box: 307/25 | www.daralwalaa.com